اهداءات ١٩٩٨
مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

مصرع طاغية

الناشر باللغة الانكليزية بلومزبيري
الناشر باللغة العربية نادي الكتاب العربي
أيلول / سبتمبر ١٩٩٥

مترجمة عن رواية «ظل فوق بابل» وهي قصة خيالية من بنات أفكار الكاتب ديفيد ميسن ، الاسماء والشخصيات والوقائع والمحلات المذكورة في الرواية لا علاقة لها بالواقع . أما الاحداث والمواقع وأسماء الشخصيات فقد تم استعمالها لإضفاء بعض الواقعية على أحداث الرواية .

الطبعة الاولى باللغة الانكليزية في بريطانيا
عام ١٩٩٣

نادي الكتاب العربي - شركة محدودة مسجلة في المملكة المتحدة

Arab Book Club Publishing Co. Ltd., A UK Registered Company No. 2903952

المحتويات

مقدمة الكاتب

بعد فترة قصيرة من البدء بكتابة هذه الرواية في آذار (مارس) ١٩٩٢ ، اتضح لي بأني أسأت تقدير الجهود اللازمة لأنجاز الكتاب ، وأن كتابة القصة لا يمكن ان تكون عملاً جانبياً ضمن مشاغلي الاخرى ، ومنذ ذلك الحين لم استطع ان اركز على اي نشاط آخر ، عدا هذا العمل . لقد كان تشجيع الاخوة والاصدقاء حافزاً اضافياً على الاستمرار بالكتابة ، وبالمناسبة أود ان اشكر على وجه التحديد تم نيكولاس ، جوك تيلوستون ، جورج پلمتري وأخي روبرت ميسن لافكاره ونصائحه ومقترحاته . كما اكتشفت خلال هذه التجربة بأنني من غير المنظمين مكتبياً ، ولولا مساعدة تريشا جُويْس وسارة نينِدسُول لغرقت تحت اكداس الورق والوثائق والمراسلات ، وفي الوقت الذي اقدم شكري وامتناني لهم ، اعتذر لكل الذين لم استطع العناية بأمورهم وطلباتهم خلال تلك الفترة . لقد ساعدتني السيدة هيلاري توماس بالبحث الوثائقي في لندن كما ساعدني مشكوراً جيمس إدوردز لمتابعة أشرطة الانباء ووسائل الاعلام الاخرى والتحقق من حصولي على كامل المعلومات المتعلقة بالموضوع . أما زميلي الكابتن روديون كانتاكيوزن من البحرية الامريكية فقد زودني بمعلومات عن عمليات البحرية الامريكية والسيد نايجل كوپر الذي زودني بمعلومات وافية عن المملكة العربية السعودية ، وقد ساعدني مشكوراً كل من فرانك ساتون وشيلا ديوارت بتوفير المعلومات الاحصائية ، والدكتور مايكل كَنْوورذي براون ببعض المعلومات الطبية ، والسيد گراهام بمعلومات على الحاويات والسيد ستان ووكر حول الشحن البحري . أما الاسم المستخدم في الرواية ام . ڤي . مناتي للباخرة التجارية ، فحسب معلوماتي ، لا وجود لها . علماً ان باخرة اخرى بنفس المواصفات ابحرت من ميناء فليكستو بذات التاريخ وسلكت الطريق نفسه ، وأملي انها لم تصادف اية متاعب من الشرطة أو الجمارك في مومباسا/كينيا .

يلاحظ القارئ ان ثمة تفاصيل كثيرة عن بنادق القنص والصيد ، وقد ساعدنا بهذه التفاصيل جون ليتون دايسون ومالكم كوپر ، ومعلومات هذا الاخير عن الموضوع لا تضاهى . كما اشكر الدكتور ديڤ سلوگيت لمساعدته لي في مجال الاقمار الصناعية

وأساليب الرصد الجوي ، وهناك اربعة اشخاص آخرين ساعدوني بِحَبْك هذه الرواية وكانت مساعدتهم ثمينة جداً ، إلا انني لا أستطيع ذكر أسماءهم لاسباب امنية . كما تلقيت الدعم والتشجيع المستمر من ڤيڤيان شوستر ، إذ لولا حثها المتواصل لما استطعت انجاز هذا الكتاب .

هناك مقولة مفادها ان الكاتب على عداء دائم مع الناشر ، لكن تجربتي كانت عكس ذلك ، خاصة من نايجل نيوتن وديڤيد رينولدز وپيتي فليپس العاملين في شركة بلومزبري للنشر .

وطوال فترة عملي على هذا الكتاب ، أهملت العناية بأسرتي ، ولكني لم ألقَ منهم إلا التفهم والاسناد ، مزيداً من الشكر الى زوجتي مونيك وأعضاء أسرتي الآخرين .

ديڤيد پ ميسن

أبطال الراوية

المتآمرون

– الوزير	وزير في إحدى الحكومات المعادية لصدام حسين
– روجر آشَرْ	من أثرياء صناعة «الاعلام» في بريطانيا

المنفذون - فريق الاغتيال

– السير پيتر دارتنغتون	رئيس مجلس ادارة شركة داركون الدولية
– إد هاورد	رئيس شركة XF للأستشارات الأمنية المحدودة
– جوني بورن	ضابط سابق في الجيش البريطاني
– مايك زيغلر	ضابط سابق في القوات الامريكية
– أندي دينارد	طيار – القوات الروديسية سابقاً
– ميل هاريس	من القوات البريطانية – سابقاً
– بوب أوشر	من القوات البريطانية – سابقاً
– توني أكفورد	من القوات البريطانية – سابقاً
– داني ماكدونالد	صياد غزلان محترف
– كْرِس پالمر	مهندس طيران القوات الروديسية سابقاً

الولايات المتحدة

– جورج بوش	رئيس الولايات المتحدة (سابقاً)
– برنت سكاوكروفت	مستشار الرئيس بوش لشؤون الأمن القومي (سابقاً)
– جون كيلي	مساعد وزير الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الاوسط (سابقاً)
– الجنرال چارلس بيرنسايد	نائب القائد العام للقوات المسلحة الامريكية (سابقاً)
– دوغلاس لونغماير	مساعد وزير المالية (سابقاً)
– روبرت غيتس	مدير عام وكالة الاستخبارات الامريكية (سابقاً)
– دي ، دي ، آي (DDI)	مساعد المدير العام لشؤون الاستخبارات
– مارتن فاغا (NRO)	المدير العام لدائرة الوكالة الوطنية للاستكشافات الفضائية (سابقاً)
– والتر سورِنن (NRO)	ملاحظ الرقابة
– جونن كيرْون (NRO)	محلل أقدم
– جيري فريدمان (NRO)	محلل
– پيتر ستانارد (NRO)	محلل متدرب
– رَيْ سوليڤان	طيار

بريطانيا

– جون ميجور	رئيس وزراء (الحكومة البريطانية)
– السيرر پيتر مْبيرت	مدير عام شرطة منطقة لندن
– باتريك جونز	ضابط شرطة – رئيس قسم (SO11)

- هيو كارتر — ضابط شرطة تحريات
- پول هالام — ضابط شرطة – رئيس قسم التحريات
- جيري ولسن — مفتش شرطة
- الكولونيل — ضابط سابق في الجيش البريطاني
- ماكس غوديل — معاون المدير / المخابرات البريطانية (M15)
- ميجور هنري ستونر — من اتحاد نادي الصيد البريطاني
- جولييت شيلي — صديقة جوني بورن
- ليدي دارتنغتون — زوجة السير پيتر دارتنغتون
- دوروثي ويبستر — المساعد الشخصي للسير دارتنغتون
- جورج وميري چيفكوت — المشرفان على منزل وحديقة السير دارتنغتون
- موراج كاميرون — صاحب فندق كارفيج في اسكتلنده
- شيلا كاميرون — ابنة موراج كاميرون

المملكة العربية السعودية
- توني هيوز — المدير الاقليمي لمؤسسة داركون
- ألفن كيننغز — من السفارة الامريكية في الرياض
- جوناثان ميتشل — من السفارة البريطانية في الرياض

كينيا
- هاري كروسويل — السفارة الامريكية ، نيروبي ، كينيا
- روبرت موانزا — مفتش أقدم . . شرطة مومباسا /كينيا

جزر البهاما
- جوليان سميث — القنصلية البريطانية / ناساو – ضابط مخابرات

العراق
- صدام حسين — رئيس الجمهورية العراقية
- عزت ابراهيم — نائب رئيس مجلس قيادة الثورة
- طه ياسين رمضان — نائب رئيس الوزراء
- طارق عزيز — نائب رئيس الوزراء
- حسين كامل حسن — وزير الصناعة والتصنيع الحربي
- علي حسن المجيد — وزير الدفاع
- سعد طعمة عباس — رئيس أركان الجيش (سابقاً)
- علاء حسين علي — عقيد في المخابرات العراقية
- المقدم حسين عمير — آمر سرية في الحرس الجمهوري
- الملازم صالح سعود — ضابط سرية في الحرس الجمهوري
- الملازم عزيز علي — ضابط سرية في الحرس الجمهوري

القســم الاول

دوافــع غامضــــة

١

كان الصياد يدرس ما حوله بدقة من خلال الناظور وبعد ان تأكد من التفاصيل ، أعاد الناظور الى محله في المعطف الخاص الذي كان يرتديه . ثم التفت الى زميله وهمس بأذنه :

- «يجب ان نتعامل مع الخطوة التالية بتأني وحذر شديدين ، فهذه الغزلان الثلاث عقدّت الامور وسنكون على مرآى منها خلال الاربعين ياردة القادمة . . والى ان نستطيع ان نختفي خلف بعض الاحراش» .

أبدى الكولونيل المتقاعد ثقة عالية بزميله الصياد داني ماكدونالد ، وكان معجباً بكفاءته كصياد محترف ، وقد برهن ذلك خلال الساعة التي قضوها في تتبع الغزلان في جبال اسكتلندا . استطاع داني ان يتحرك بمهارة فائقة واستطاع ان يخفي أثرهم ، رغم الرياح الخفيفة التي تساعد الغزلان من الاستدلال على الصيادين . ولو حصل ذلك . . لضاع النهار بأكمله .

أما الكولونيل فقد كان مرتاحاً لصحبة داني ، فبالنسبة اليه كان اليوم ناجحاً حتى وان لم يفلحوا في الاصطياد .

اقترب الاثنان من مساحة مكشوفة كان عليهم عبورها ولم يكن هنالك أي غطاء يحجبهم عن انظار الغزلان ، فالمسافة بينهم وبين القطيع كانت بحدود مائة وخمسين ياردة . . وتحتم الظروف ان يزحفوا ببطء متناهي ، كان الصياد في المقدمة يتبعه على نفس الاستقامة الكولونيل ، ولم يجرأ ان يرفعا رأسهما لئلا ينبه قطيع الغزلان . كان الكولونيل يتبع داني دون ان يحرك رأسه يميناً أو شمالاً . . الى ان استطاع الاثنان ان يعبرا المنطقة المكشوفة ، ويصلا الى منطقة تسترها الاشجار والاحراش . توقفا لبرهة واستعدلا . . وأشار داني الى الكولونيل ان يجلس القرفصاء .

- «الغزال الهرم سيكون على بعد مئتي ياردة تقريباً» همس داني وهو يشير باتجاه القطيع ، «سوف نتسلق ست ياردات الى اليمين لتكون الرؤية واضحة . . والقنص أضمن» .

هز الكولونيل رأسه موافقاً وتبع داني . لم يكن الكولونيل قد لمح الوعل الهرم منذ ساعتين ، عندما أشار داني باتجاه القطيع قبل مسافة نصف ميل . ومع ان الكولونيل كان يحتفظ بصحة جيدة ولياقة بدنية معقولة ونظر طبيعي ، إلا ان داني اضطر ان يؤشر باتجاه الوعل للمرة الثانية . أشار داني للكولونيل ان يتوقف . . وزحف ببطء الى الأمام لوحده ، واختفى تقريباً بين الحشائش والنباتات البرية .

تنفس الكولونيل بعمق وراح يفكر بأحداث اليوم وما ينوي القيام به الآن ، لم تكن هذه المرة الأولى التي يخرج الى صيد الغزلان ، حيث مارسها لثلاثين عاماً خلت ، إلا ان الاثارة كانت تتجدد وكأنه يخرج الى الصيد لأول مرة ، ووصل الى قناعة بأنه يعشق هذه الرياضة . وكان يبقي عادة اسبوعاً واحداً كل عام يمارس هواية الصيد ، يعود بعدها الى لندن وقد استعاد نشاطه وحسه الفطري . فاق الكولونيل من تفكيره يساوره شعورين متناقضين . . الأول يحفزه لبلوغ الهدف والقنص ، والثاني يثنيه لأنه سيقتل حيواناً بريئاً .

عاد الصياد بنفس الطريقة الصامتة تقريباً وهو يزحف على بطنه ؛

- «ما زال الوعل الهَرِمْ في نفس الموقع الذي شاهدناه من قبل ، واعتقد بأننا نستطيع تصويبه من الطرف الآخر» .

- «أين هو» سأل الكولونيل وأضاف : «وما هي المسافة؟» .

- «انه في مواجهتنا» أجاب داني . . واستطرد . . ولكنك يجب ان تكون حذراً . . فهناك بعض الغزلان بيننا وبين الوعل الهَرِمْ . . وأي صوت يبدر منا سَيهزّم القطيع .

- «وكيف تصفه . .؟؟» .

- «انه قطعاً في أعوامه الأخيرة . . ولا بأس في اصطياده . . يبلغ وزنه بحدود ١٧٠ رطلاً . . ويبدو عليه التعب» .

ارتاح الكولونيل لسماعه ذلك ، فلم يكن يرغب باصطياد غزال في عنفوان شبابه وأشفقُ عليه من ان يتركه يُعاني الشيخوخة . . ويموت جوعاً وعطشاً . . أو تنهش جثته

حيوانات وطيور الغابة الأخرى . . لضعفه وعدم قدرته المقاومة طويلاً .

أخرج الصياد بندقيته من نوع رگبي ونزع الغطاء البلاستيكي الواقي ، ووضع الناظور على البندقية ، وبصمت تام استطاع ان يعبيء البندقية طلقة من عيار ٠,٢٧٥ كانت المسافة بينهم وبين الغزال مائة وأربعون ياردة ، وهذه أقرب نقطة استطاعوا ان يصلوا اليها منذ الصباح وفي نظر الصياد كانت مسافة معقولة بالنسبة للكولونيل ، حيث شاهد مهاراته في اليوم السابق . لا شك ان الكولونيل سوف يستطيع اصابة الهدف من هذه المسافة . . أشار داني للكولونيل ان يتبعه الى أعلى السفح ، زحفا على بطنهما . . فتبعه دون أي تردد .

بعد مسافة قصيرة كان القطيع على مرآى منهما . نظر الكولونيل الى الفسحة التي ظهرت أمامه فجأة وشاهد الغزال الهَرِمْ جالساً على الأرض بمفرده واتخذ هو موقعاً ملائماً للتصويب .

فجأة التفتت الغزال القريبة من الكولونيل . . وحدقت فيه لثوان . جمد الكولونيل في محله . . كل منهما يحدق في وجه الآخر . . لا شك ان الغزال شعرت بحركة غريبة ، وها هي تركز لمعرفة مصدرها . شعر بقية القطيع بعدم الراحة . . وشملت الحركة معظمه ، بعد لحظات معدودة . . عاد القطيع الى الرعي ، إلا ان القلق كان بادياً عليه بوضوح وهو يحاول معرفة مصدر الصوت أو الحركة غير الطبيعية .

تنفس الكولونيل الصعداء . . عندما تأكد أخيراً ان القطيع عاد الى وضعه الطبيعي وبمزيد من التأني ، رفع الكولونيل بندقيته ونظر من خلال ناظور البندقية الى ان شاهد الغزال بوضوح وحدد الضربة بالقرب من الكتف الأيمن للوعل ، كانت الاضاءة في تحسن مستمر ، وبينما كان يستعد للضربة ، سقطت حزمة من ضوء الشمس على المنطقة . . واعطته وضوحاً أكثر للاصابة . . وبدأ يتنفس ببطء وأصبعه يضغط على الزناد بحزم وتأني ، وفجأة انعكس ضوء الشمس من عدسة الناظور . فأنتبه انتباه الوعل الذي كان لا يزال تترقب حركة غير طبيعية من مصدر تواجد الصيادين .

أطلقت الغزال صوتاً عالياً لتحذر القطيع وانطلقت بالاتجاه المعاكس وتبعها بقية الغزلان .

ومع انه سمع صراخ الوعل ، إلا انه كان يركز على الوعل الهرم في وسط عدسة

الناظور، الحالة بأكملها استغرقت لحظات، ولم يستطع الكولونيل استيعاب كل الموقف . . ضغط الكولونيل على الزناد . . ورأى الوعل الهَرِمْ يَهُمّ بالوقوف وينطلق مبتعداً عن مصدر الاطلاقة . أصيب الوعل في الجهة اليمنى من جسده، لكنها لم تكن اصابة قاتلة . . فاندفع الى الأمام .

- «لقد أُصيب يا كولونيل» صاح داني وهو يراقب الوضع من خلال ناظوره الحربي . واستمر داني . . لقد أصبتَه بلا شك . . ولكن لنتأكد تماماً أرجو ان تعيد لي البندقية» .

- «أعدك يا داني . . لقد تحرك الحيوان . . صدقني . . فقد تحرك أثناء الاطلاقة . . نصف دقيقة . . كل ما كنت احتاج اليه» .

بدى الضعف والتعب على الوعل الهَرِمْ، خاصة بعد اصابته باطلاقة الكولونيل . . ومع ذلك فقد حاول الابتعاد عن مصدر الاطلاقة . . والالتحاق بالقطيع الذي هرب بسرعة فائقة ودون أي جهد، وبعد مائة ياردة انحدر القطيع الى الوادي واختفى عن أنظار الصيادين .

نهض داني واقفاً وقال للكولونيل : «هيا بنا . . قبل ان نفقد أثره» وما ان اقترب داني من حافة الوادي، حتى انبطح على الأرض، تناول البندقية واسندها على كتفه . أفرغ البندقية من رصاصة الكولونيل . . وعبأها برصاصة أخرى . . وبدأ يراقب القطيع، في السفح المقابل للوادي . من خلال ناظور البندقية .

- «لماذا توقفنا؟» سأل الكولونيل . . «أليس من الأفضل ان تلحق بالقطيع؟» .

- «هل ترى تلك الغزلان الفتية يا كولونيل؟ . . فالوعل الهرم إما ان يكون معه أو انه قد مات في أسفل الوادي . . . دعني أجرب أن أضربه أنا» .

تمدد الكولونيل على الأرض بموازاة داني . . ونظر اليه من طرف عينيه . . أليس من الأفضل ان تقترب أكثر لنتأكد من الضربة؟

لم تبد أي من علامات التوتر على وجه داني . كان الكولونيل يراقب الانفعالات على وجه داني . . فجأة ضاقت فتحة العينين . . التفت الكولونيل ليشاهد منظر الغزلان على السفح الآخر من الوادي . . وفعلاً فقد كان الوعل الهرم يتبع خطى القطيع ويتسلق معهم ببطء .

- «يا للسماء . . أنت محق يا داني . . فقد جرحتُ الحيوان . . وهو الآن على مسافة

بعيدة منا . . ما العمل؟» .

- «يجب ان أركز الآن يا كولونيل» قالها داني وهو يصوب البندقية صوب الوعل الهَرِمْ . عاد الكولونيل لينظر الى داني مرة أخرى . . واستبعد ان يكون داني جاداً في محاولة تصويب الحيوان من هذه المسافة البعيدة . . كانت المسافة بين الصياد والوعل أكثر من خمسمائة يادرة بتقدير الكولونيل .

لحظات وضغط داني على الزناد . انطلقت الطلقة عبر الوادي بسرعة آلفين ميل في الساعة ، وفي أقل من ثانية أصابت الهدف .

لم يسمع الوعل الهرم الاطلاقة . . ولكنه شعر بشيء حارق في عنقه . . ومن ثم غاب عن الوعي . وتردد صدى الاطلاقة في أرجاء الوادي . .

لم يكد الكولونيل يصدق عينيه . . فقد خر الغزال صريعاً في الحال!

- «لم أرَ اطلاقة بهذه الدقة من قبل يا داني» .

نهض داني بهدوء ، وأفرغ البندقية ثم وضع الغلاف البلاستيكي على الناظور ، وأعاد البندقية الى حقيبتها الخاصة ، وقال : «اعتقد ان الحظ قد حالفني يا كولونيل . . أو كانت مجرد صدفة ، هيا بنا لنذهب الى الحيوان ونتدبر أمره» .

إلا ان الكولونيل كان متأكداً بأن الضربة لم تكن مجرد صدفة . . ولا علاقة للحظ بما شاهده ، كما ان داني هو من أمهر القناصين الذين التقى بهم في حياته في الجيش أو خارجه .

بقي الكولونيل مندهشاً وقد أعجب ببساطة الصياد ، اذ شاهد تعابير وجههِ وهو يصوب بندقيته ، بات متأكداً بأن الحظ لم يكن قد لعب دوراً على الاطلاق .

٢

ابتسم الوزير وهو يشد على يد روجر آشر بحرارة مرحباً به

«أهلاً بك يا سيد آشر ، أشكرك على تلبية الدعوة رغم مشاغلك الكثيرة» .

كان الوزير حريصاً ان لا يكثر من مظاهر الترحيب ، حيث اعتاد ان يرحب بحرارة اضافية بالاشخاص اللذين لم يكن يستسيغهم . ولحسن الحظ ، فقد كانت شخصية الوزير المحبوبة ولباقته كافية لأن تغطي على تصرفاته الأخرى ، وتساهم في تقدمه المهني ونجاحه السياسي .

تفحص الوزير وجه آشر بتمعن واستخفاف ، لم يظهر على تقاسيم وجهه التي استمرت بالبشاشة . وقد تنبه ان المديح بالنسبة لروجر آشر هو ما اعتاد عليه . وفي الحقيقة أن أشر لم يتلق من معارفه ومقربيه سوى الاطراء والمديح . . وفكر الوزير لبرهة؟ هذا ما يتوقعه المرء إذا أحاط نفسه بالمنافقين وأصحاب المنافع .

– «حصل لي الشرف . . سيادة الوزير» كان رد فعل آشر .

وهنا أشار الوزير للسيد آشر بالجلوس ، فاتجه بجسده الضخم الى احدى المقاعد الجلدية الوثيرة وجلس ببعض الجهد ، ولاحظ الوزير ان العرق كان يتصبب على وجه روجر آشر ، ولكنه لم يستطع ان يعلل السبب، الذي جعل السيد آشر ان يهمل نفسه الى هذه الدرجة ، وفي الواقع فقد كان روجر آشر مثالاً لما قد يصبح عليه المرء نتيجة النهم وعدم ضبط النفس .

– «نعم . . . شكراً سيادة الوزير»

ملأ الوزير قدح آشر بعصير الليمون وجلس أمامه يراقبه وهو يحتسي عصير الليمون

بنهم . وفكر الوزير بالثروة الهائلة التي جمعها آشر ، وتصرفاته الفجة التي لا تتناسب وثروته . لا شك ان شعور العظمه الذي يحيط بهذا الرجل يتناسب مع ضخامة حجمه وسوء تصرفه ، فلم يعد يهتم برأي الآخرين فيه . لا شك ان مجالسته مع الناس المهمين في عالم السياسة والاعمال . . ودوام طلب استشارته من قبل السياسيين والوزراء في بلدان كثيرة من العالم منحته طابع الكبرياء والفظاظة في تصرفه . وفي الحقيقة فقد استغرب الوزير للسرعة التي قبل بها روجر آشر دعوته لزيارته واللقاء معه .

– «آمل ان تكون رحلتك موفقة» .

كان آشر قد سافر بطائرته الخاصة «گالف ستريم ٤» من نيويورك والتي جهزت من الداخل بشكل يتناسب وذوق آشر ، ومع انها كانت مريحة . . الا انها بعيدة عن الذوق الرفيع .

– «شكراً معالي الوزير ، كانت الرحلة مريحة جداً . . إلا انني في العادة لا استمتع بالطيران» .

تناول جرعة أخرى من عصير الليمون . . واعاد القدح الى مكانه .

بعد ان انتهوا من الملاطفات . . خيم السكون على جو اللقاء . . كان الوزير خلالها يحدق الى اصابع يده اليسرى . . ويستعد للدخول في الحديث .

– «لدى حكومتي مشكلة معقدة بعض الشيء» . . توقف وكأنه يحاول ان يتذكر كيف يواصل حديثه . لقد كان يعلم ما يريد قوله ، الا انه أراد ان يتظاهر ببعض التردد والخجل ، يقينا منه بأن لديه من المواهب ما تؤهله للتعامل مع مستويات عدة من الناس ، الا انه أراد ان يقول الكلام المناسب وبما يليق بالموضوع . من المعروف ان آشر كان ناجحاً جداً في حياته ويمتاز ببعد النظر ومعالجة المواقف الصعبة . ولم يكن الوزير بأقل خبرة ومهارة من آشر في التعامل مع الناس . وقد ساعدته هذه المهارة في الحفاظ على موقعه خلال عقد الثمانينات العصيبة التي مرت بها البلاد . أما خلفية الوزير ومؤهلاته التي حصل عليها من كلية ايتون وجامعة اكسفورد في انكلترا وانتمائه لأسر عريقة . . لم تكن عاملاً مساعداً في عقد الثمانينات والذي تميز بالتغييرات الجذرية والتطرف . استطاع الوزير خلال هذه الفترة ان يحجب أو يقلل من الاشارة الى هذه الخلفية واستمر في خدمة الدولة الى ان جاءت القيادة الجديدة الى الحكم والتي تعتبر أقل حدة

وتطرفاً من سابقتها . . وأكثر انفتاحاً على العالم الخارجي وتعاطفاً مع اتجاهات التجديد . وكان الوزير يتطلع الى نتائج الانتخابات القادمة في ربيع العام ١٩٩٢ للتأكيد على هذا الاتجاه .

واصل الوزير حديثه «هنالك قضية سببت بعض الحرج للحكومة ونحن الآن حريصين ان نضع حلاً لهذه القضية ، وقد فكرنا بأنك تستطيع ان تنصحنا بهذا الاتجاه . . مع ما تراه من خطوات عملية» .

كان الوزير على ثقة من ان هذا المدخل في الحديث مع روجر آشر سوف يروق له . ونظر الوزير الى وجه هذا الرجل الضخم الجالس أمامه وتأكد من انه لا زال يصغي له باهتمام . واستمر : «الموضوع الذي نحن بصدده حساس جداً» قاطعه آشر «معالي الوزير» اتشرف ان اكون في خدمتكم . . وبتقديم أية مساعدة ممكنه» فكر الوزير لبرهة «فالسيد آشر لم يتراجع» علماً ان اشارات الوزير من ان المهمة التي سيكلف بها قد تكون صعبة وذات مضاعفات لا يحمد عقباها . ولكي يتأكد الوزير دون ادنى شك قرر ان يضع النقاط على الحروف : «لقد توصلنا وعلى مضض الى قرار حاسم في اننا يجب ان نتعامل مع هذه القضية بشكل حازم» ومع ذلك لم ير الوزير أية علامات للدهشة أو الامتناع على وجه آشر . . فاستمر الوزير «القضية لها علاقة بأحد الاشخاص!» ولم تتغير قسمات وجه آشر . . بل فاجأ الوزير يقول «لا شك ان الحكومة لها مشاكل مع العديد من الناس وتعتبرهم مصدر قلق لها . . . ما هي أبعاد المشكلة مع هذا الشخص؟» ومد آشر يده ليصب قدحاً آخر من عصير الليمون «لذيذ جداً هذا العصير . . واستمر في كلامه السابق «ما هي درجة الازعاج الذي يسببه لكم هذا الشخص» .

«واضح جداً» عقب الوزير وهو لا زال محتفظاً برباطه الجأش . . «واضح انني سوف لن احتاج الى اللف والدوران حول هذا الموضوع ، كنت دائماً معجباً بحنكتكم وبعد نظركم وقراءتكم للامور وليتني استطيع ان أقيم الناس الآخرين الذين التقي بهم بنفس المستوى» وهز روجر آشر رأسه متفقاً مع الوزير . . بينما استمر الوزير في حديثه . . «أرى من المفيد ان أدخل في الموضوع مباشرة» .

* * *

بعد ربع ساعة اختتم الرجلان الحديث ونهضا إيذاناً بخروج السيد آشر . . شد الوزير

على يد روجر آشر مصافحاً بحرارة وشكره لمجيئه ولعرضه السخي لمساعدة الوزير في القيام بما عرضه عليه ، ووعد آشر ان يتولى كل شيء ، دون ان يكون هنالك أي ربط بما سيقوم به مع الحكومة . عملية نظيفة دون أثر!!

وعندما ترك الرجل الضخم المكتب غلق الوزير بابه . . واتكأ لبعض لحظات على الباب . . يفكر بالسلاسة التي سار بها الاجتماع وبالسهولة التي تواصلت من دون متاعب .

٣

اندهش السير بيتر دارتنغتون حينما تسلم الدعوة ، وشعر ايضاً بنوع من الاطراء والحماس ، رغم أنه كان على يقين بأن رجال الاعمال البارزين مثله يجب أن يسيطروا دائماً على مشاعرهم . انه شديد الفخر بالنجاحات التي تحققت في حياته ، بعد عناء مضنٍ ، وبالمركز الاجتماعي المرموق الذي يشغله الآن . لم يساوره الشك يوماً بأن حياته كانت مثيرة للاعجاب أو انها قد الهمت الكثيرين ودفعتهم الى الكفاح من أجل تحقيق النجاح . نعم كانت حياته شاقة للغاية وهو فخور بذلك وممتن بنجاحه رغم بداياته البسيطة ، ومن الاصابة المؤلمة التي غيرت مجرى حياته الى الابد ، اذ تمكن أن يطور شركة والده «دارتنغتون وولده للبناء المحدودة» الى مؤسسة داركون الدولية .

نعم ، كان قدوة للآخرين – وكم من المرات سمع هذا الوصف يوجه اليه في خطابات الشكر وبأكثر من مناسبة ، المئات لا بل الالوف من المناسبات كان دائماً يرد على خطابات المديح هذه بروح من النكتة والتواضع التي تحوز دائماً على اعجاب المستمعين . اذ كان دارتنغتون متكلماً لبقاً وخطيباً يشار بقابليته على تحريك جمهوره وهو يتكلم بلهجته الريفية الغليظة التي لم يجرب يوماً أن يبدلها باللهجة الانكليزية الارستقراطية .

كان السير بيتر مُهمِلاً لمعظم الاعراف السائدة التي يحترمها رجال الاعمال الناجحون ، الا أنه لم يهملها كلية . حيث اكتشف منذ بداية طريقه ، بأن النجاح في عالم البناء يتطلب درجة من القسوة التي ما كان يعتقد بأن لها مكاناً في قلبه ، لكنه سرعان ما وجد نفسه مقتدراً على اتخاذ قرارات صارمة ، او حتى قاسية ، بشكل يكاد يكون عفوياً اذا ما تطلبت منه ظروف العمل ، فلم يعاكسه ، او يقف في طريق اعماله التجارية إلا قلة من الناس الذين اكتشفوا فيما بعد وعن تجارب مريرة مقدار حزمه

ومدى صلابة عوده . الا أنه تمكن ، رغم ذلك ، من المحافظة على سمعته كشخصية محبوبة ، مخفياً طموحاته الكبيرة تحت ستار من البساطة والسلوك المتواضع على الخلاف من أقرانه الذين لا يخفون عادة مدى اعتزازهم ومفاخرتهم بكسب مظاهر الجاه والنفوذ ، ولهذا السبب فقد كان يُدعى باستمرار الى المناسبات الاجتماعية والعامة .

إلا أن هذه الدعوة بالذات ، اختلفت عن غيرها لجاذبيتها ولأهميتها . «السيد روجر أشَرْ» يأمل لقاءك خلال فترة عطلة نهاية الاسبوع على متن يخته «الاميرة شهرزاد» ، في مدينة «كان» . بادرت السكرتيرة الشخصية للسيد أشَرْ بالقول بأنه اذا كان السير پيتر ينوي قبول الدعوة – وكان يبدو على صوتها علامات الثقة المطلقة بأنه ينوي قبولها – فان طائرة السيد أشَرْ الشخصية تحت تصرفه لتنقله الى «كان» وارجاعه الى لندن ، وبأن سيارة السيد أشَرْ ستقوم بنقله من والى مطار «كان» .

أصيب دارتنغون بالذهول ، ووجد صعوبة في الرد ، فقد سمع بالسيد أشَرْ – وقليلون الذين لم يسمعوا به – إلا أنه لم يقابله شخصياً من قبل . فأجاب سكرتيرة السيد أشَرْ بأنه سينظر في جدول اعماله واتصل فوراً بسكرتيرته ، التي أبلغته بأن ليس ثمة من مواعيد مسبقة له أثناء عطلة نهاية الاسبوع ، فزوجته ستقوم باحدى زياراتها المعهودة الى مصحها المفضل ، وسيبقى هو لوحده في بيته الكبير ، فقبل الدعوة .

وها هو الآن على متن اليخت مستلقياً على احدى الارائك مُحاطاً بعدد من الخدم يلبون كافة رغباته . واندهش مرة أخرى حينما اكتشف بأنه سيكون والسيد أشَرْ الراكبين الوحيدين على ظهر السفينة – ما عدا الطاقم المتكون من أحد عشر رجلاً – وازدادت دهشته ايضاً حينما طلب السيد أشَرْ من الخدم أن يتركوهم لوحدهم مساءً بعد اعداد مائدة الطعام ليتمكنا من الانصراف الى المناقشة . واي نقاش كان! فلم يكف ذهنه عن التفكير .

ياله من عرض هائل! فكر دارتنغتون مع نفسه «يا پيتر ، يجب أن تحذر على نفسك في هذا المكان» .

«صباح الخير يا پيتر» رفع دارتنغتون رأسه ليرى السيد أشَرْ وهو يخرج من الصالون مرتدياً لباس النوم ، هم بالجلوس على احدى الارائك القريبة وهو يصرخ بإتجاه الصالون «هل ترغب بشراب آخر؟ . . أندروا!» .

اجاب دارتنغتون : «صباح الخير يا روجر» وقرر عدم اظهار انزعاجه على تأخر مضيفه في النوم اذ ان الوقت قارب فترة الظهيرة ، بينما تعود هو على الاستيقاظ مبكراً صباح كل يوم . وما كان يرغب باحتساء المزيد من الشراب فكان المسكين أندرو قد جلب له ثلاثة أقداح ولم يشرب منها شيئاً ، الا أن أندرو أستمر في تغيير الاقداح بإنتظام . قال له السيد أشَرْ فجأة : «هل فكرت ملياً» بما ناقشناه ليلة البارحة؟»

قام دارتنغتون من على الاريكة وتحرك بإتجاه أحد الكراسي المقابلة له فاجاب وهو يختار كلماته بحذر :

- «لابد بأنك ستفهم يا روجر بأني أشعر بنوع من الضياع أمام مهمة كهذه ، إذ اني لم أقم بمثل هذا العمل من قبل» .

فأجابه السيد أشَرْ ببشاشة : «انا مثلك يا عزيزي ، لم أفعل شيئاً مثله من قبل . فهي وسيلة غير مطروقة عادة لتحقيق الاهداف . إلا أن ما يهمنا هنا هو المصلحة الوطنية . انا رجل وطني وأنت طبعاً لا تقل عني وطنية . هذا هو الشيء الاساسي . فسنقوم بهذا العمل من أجل خدمة البلاد» . قالها أشر . . محاولاً إخفاء الدافع الحقيقي للعملية .

- «انني أتقبل تطميناتك هذه برحابة صدر يا روجر . وفي الحقيقة فلا توجد لدي اية شكوك بما تقوله . الا اني اتساءل عن سبب عدم قيامهم هُم بهذا العمل . أعني بذلك القوات الجوية الخاصة SAS او أية جهة أخرى . ولا أفهم سبب ترك القيام به لحد الآن» .

- «لا أعتقد بأنني سأفشي أية أسرار الآن اذا ما قلت لك بأنهم تدارسوا الموضوع ملياً ، إلا ان هناك ثلاث مشاكل . اولاً سيحتاجون الى وقت يزيد عن السنة من أجل وضع رجالهم في المواقع المحددة لانجاح العملية ، وهذه فترة طويلة . ثانياً فان الاحراج السياسي للحكومة في حالة الفشل ستكون كبيرة جداً ، وهذا غير مقبول علماً بأن نجاح المشروع هو غير مضمون بأي شكل من الاشكال ، وثالثاً فان هناك قانوناً غير مكتوب يقول بأن الحكومات يجب ألا تسلك سياسات شخصية . يمكنهم أن يتعاملوا بقسوة مع دول ، إلا انهم يجب الا يستهدفوا الافراد . وأستطيع الآن أن اؤكد لك بأنه في هذه الحالة بالذات ستتفجر الاوضاع الدولية وستؤدي الى فضيحة سياسية كبيرة اذا ما كشف الامر . وهناك بعض الامثلة الجديرة بالدراسة والتي تبين كيف تتأزم الاوضاع في

حالة مخالفة هذا القانون غير المكتوب» واستمر السيد أشَرْ بِعَدِّها على اصابع يده» الحالتان الاكثر وضوحاً تتعلقان باعمال قامت بها الولايات المتحدة الامريكية اولاً حينما داهموا السيد نوريغا في بنما واخذوه أسيراً ، وثانياً عندما اعتدوا على القذافي وقاموا بقصف ليبيا من الجو . نظر العالم الى الحالتين على انهما اعتداءات شخصية ، موجهة ضد اشخاص ما كان لاحد أن يحزن عليهما في حالة مقتل او هزيمة اي منهما» هز السيد أشَرْ رأسه بحزن «وكانت الولايات المتحدة متهَمَة ، في الحالتين ، بالاعتداء الصريح على السيادة الدولية ، وباتباع أساليب الشغب والارهاب الدولي من قبل هؤلاء الاغبياء في الأمم المتحدة . فالمشكلة هي أن تسعين بالمئة من الدول الاعضاء في الامم المتحدة يحكمها ، بشكل او بآخر ، طغاة او فئات مستبدة ، والذين لا يريدون تأييد اية اجراءات من هذا النوع لانها اذا ما ثبتت كسابقة قانونية ، فانها قد تتخذ ضدهم يوماً ما ، ومن هنا تجدهم يتكاتفون فيما بينهم في رفضها . ولذلك فان الحكومات ذات الخبرة والتعقل ، لا تقوم بمخالفة هذا القانون غير المكتوب» .

كان يبدو على السيد أشَرْ بأنه قد انتهى من حديثه ، الا أنه خطرت له فكرة اخرى فقال : «هناك طبعاً مثالاً لدولة كانت قد اهملت هذا القانون باستمرار وقامت بملاحقة أشخاص ، وفي معظم الاوقات ، ارهابيين من الذين كانوا قد ارتكبوا جرائم ضد شعبها . وأتكلم هنا بالطبع عن اسرائيل . ولا اعتقد ، يا پيتر بانني سأكون بحاجة الى أن أذكرك بالفترة الطويلة التي كانت فيها اسرائيل ، بنظر المجتمع الدولي ، تعد أحدى أكثر دول العالم عُزلة» .

وقف دارتنغتون على قدميه وأكفهر وجهه وقال «اذن ما تقوله لي يا روجر ، هو انهم حينما يريدون القيام بمثل هذه الاعمال المحرجة ، يستنجدون باشخاص مثلنا لوضعها قيد التنفيذ؟»

أجابه أشَرْ بلهجة تدل على قلة الاكتراث» ليس لدي أية فكرة عن ذلك ، إذ لم يسبق أن طلب أحد مني أن أقوم بمثل هذا العمل من قبل . إلا انني أفترض بأن هذا هو الذي يحدث ، أليس كذلك؟»

تساءل دارتنغتون «ولماذا أنا بالذات؟»

– «الاجابة واضحة ، فأنهم لم يستشيروك بل قاموا باستشارتي أنا . فهم لا يعرفون

بأنني أكلمك بهذا الخصوص . وقمت انا باخبارك قبل غيرك أولاً لأنني أعلم بأنك محب لوطنك ، وثانياً لان الشركة التي تديرها لها جذور عميقة في المنطقة المعنية بالامر ، ويمكننا اذن أن نستفيد منها كقاعدة إنطلاق للعملية . اما السبب الثالث ففيه ما يكفي من التعقيد واعتقد بأنني ملزم أمامك أن أشرحه لك الآن ، فسيسهل عليك أن تفهم سبب عدم تورط الحكومة بعملية غير قانونية كهذه» . وكان روجر أشَرْ يحاول أن ينوه أن الحكومة البريطانية تقف وراء العملية . . ولكن دون أن يقولها بصراحة .

توقف السيد أشَرْ لبرهة واستمر بعدها بالكلام : «صدق او لا تصدق ، وأعتقد بأن الناس عموماً سيصدقوني اذا قلت ، بأن الحكومة البريطانية تسعى دائماً للحفاظ على مواقفها ضمن حدود القانون . فهذا هو مطلب الشعب . لذلك تكون الاوضاع السياسية محرجة ، الا أن هذا الموقف يضمن بأن الحكومة ستبقى دائماً فوق الشبهات . ولو حاولت حكومة أقدم نظام برلماني ديمقراطي في العالم ، ان تتحدى القانون ، فيمكنك أن تتخيل آثار ذلك العمل على حكومات أخرى خصوصاً تلك التي لا يمكن وصفها بالديمقراطية . المحافظة على مثل هذا الموقف المبدئي قد يكون مكلفاً أحياناً ، إلا أن الفوائد هي دائماً أكبر من الكلفة . لقد كنتُ قبل فترة عضواً في البرلمان كما تعلم ، واستطيع أن اؤكد لك بأن هذا هو واقع الحال» .

- «الا أن الحكومة تجد نفسها بين الحين والآخر ، تحت ضغوط لمخالفة هذا المبدأ مثلما حصل الآن . دعني أشرح لك الامر بالتفصيل» توقف السيد أشَرْ ليحتسي بعض الشراب من قدحه وأستمر قائلاً «كما تعلم ، فأنني ملتزم بمبدأ الوحدة الاوروبية واعتقد بأن انجازاتي السياسية لتحقيق هذا الهدف معروفة لدى الجميع» .

هز دارتنغتون رأسه بالموافقة ، فقد أشتهر هذا الرجل الضخم بتأييده للوحدة الاوروبية ولكن ما شأن كل ذلك بهذه الامور؟

واستمر أشَرْ بالتحدث : «قد يتصف شركاؤنا في اوروبا بالتعنت في بعض الاحيان . فكما تعلم ، نحن الآن في المراحل الاخيرة من المباحثات التي ستؤدي الى توقيع معاهدة ماسترخت بعد حوالي شهرين من الآن . فأن بعض القضايا العالقة يجب حلها الآن . وان معظم الدول ترغب بإتخاذ سياسة فدرالية ، إذ أن شكوكهم بالفدرالية هي اقل من تلك التي رسخت في اذهان البريطانيين . وقد قررت الحكومة البريطانية ، بناء

على ما لديها من معلومات عن الرأي العام البريطاني ، أن ترفض تطوير السياسات الفدرالية للفترة الراهنة فلا داعي طبعاً الى أن تجازف الحكومة بمعاكسة رغبة الشعب مما قد يؤدي الى رفض شعبي للمعاهدة بأكملها . وقد تغير الحكومة موقفها فيما بعد حينما يتضح للشعب فوائد الفدرالية ، إلا أن سياسة الانتظار الى ذلك الحين قد تكون سياسة حكيمة في الوقت الحاضر . لا أريد أن أكثر من الكلام عن اوروبا سوى أن أقول بأن بعض شركائنا هناك لهم آراء أخرى فيما يتعلق بالسياسة الفدرالية ولعلك عرفت عمن أتكلم» .

قال دارتنغتون «الفرنسيون؟ لعنة الله عليهم! وما شأنهم بكل ذلك؟»

واستمر أشَرْ في حديثه : «لقد اهتزت تجارة فرنسا نتيجة للظروف الدولية . ومثلما تعلم ، حصلت بعض الفضائح التي تناقلت أخبارها الصحافة الفرنسية مما أضر بسمعة البلاد وبقابليتها التجارية ، والفرنسيون لهم القابلية على التعامل الحدي في ظروف كهذه ، وقد يقومون بتوقيع معاهدات تجارية مع أية دولة على الاطلاق ، ومهما كانت اتجاهاتها السياسية . أتذكر فرحتهم حينما تمكنوا من تزويد الارجنتين بالقذائف أثناء حرب الفولكلاند؟» .

– «إلا أن فرنسا وجدت بأن بعض أهم تعاقداتها الدولية قد جمدت الآن وهي ترغب بعكس هذه الظروف وحماية مصالحها . وهناك عقبة واحدة فقط أمام ذلك . افهمت مقصدي الان؟»

أشار له دارتنغتون بالايجاب وقال : «لكن ما علاقة الحكومة البريطانية بهذه الظروف؟»

أجابه السيد أشَرْ قائلاً «بكل بساطة ، ان الفرنسيين ليست لديهم الوسيلة على إزالة هذه العقبة بأنفسهم . فعرضت الحكومة البريطانية مساعدتهم شرط أن تغير فرنسا سياستها بشأن الوحدة الاوروبية . وتقوم الحكومة البريطانية بحماية موقفها باللجوء الى أساليب خاصة في تحقيق هذا الهدف بدلاً من اللجوء الى أجهزتها السرية ، وهذا ما لا يعلمه الفرنسيون» .

واصل السيد أشَرْ حديثه : «على كل حال ، فهذه هي خلفية الموضوع . التفاهم مع فرنسا هو السبب الوحيد للقيام بهذا المشروع ، ولا أعتقد بأن الحكومة البريطانية كانت

ستهتم به لسبب آخر . والحقيقة فان هناك نقاشاً جارياً يدعو الى ترك الاوضاع ، على حالها ، إلا أن توقيع معاهدة ماسترخت من مصلحة بريطانيا ، وهذا يعني بأن هناك ضرورة لرعاية مصالح فرنسا ايضاً .

حدق السيد أشَرْ في عيني دارتنغتون وقال : «أعتقد بأنك عرفت الآن السبب من وراء اختياري لك . فانك وطني مخلص بالاضافة الى كونك مؤيداً للسياسة الاوروبية لبلدك ، وهناك سبب آخر ، إلا انني ، قبل أن أطلعك عليه ، سأطلب منك أن توافق على القيام بالمشروع» .

أدرك دارتنغتون مدى رغبة أشَرْ بالحصول على تأييده وهو بالرغم من كونه وطنياً مخلصاً ، فله أيضاً ميل طبيعي الى الحذر فقرر التأخر بعض الشيء في الاجابة وقال : «أعذرني يا روجر ، إلا انك تطلب مني الكثير . أتمهلني بعض الوقت للتفكير بالموضوع؟» ، فأجابه أشَرْ «حسنا ، هذه فكرة جيدة ومعقولة . دعنا ندخل لتناول طعام الغداء» .

تناول الرجلان الطعام بصمت . كان السيد أشَرْ يحتسي أقداح الشمبانيا ويأكل بشراهة ونهم الى درجة اندمج بالاكل تماماً ولم تكن له فرصة لمواصلة النقاش ، أما دارتنغتون فكان يأكل ببطء ويبدو عليه بأنه غارق في التفكير . فكر ملياً بما قد يورط نفسه به ، وبدأ يفهم المنطق من وراء الموضوع تدريجياً . لم يتأثر دارتنغتون بخطاب السيد أشَرْ حول موضوع الوحدة الاوروبية ، إذ أنه يتبع سياسة واقعية دائماً . ولم تكن له أية آراء او ميول شخصية حول سياسات الدول الاوروبية ، وكل الذي يدفعه الى القيام بالعمل هي مصالحه التجارية . وكانت تلك المصالح ، وبدون أدنى شك ، تتطلب من بريطانيا أن تبقى على علاقة قوية مع اوروبا . أما هذا الكلام ، الذي سمعه من الساسة الاوروبيين عن «الحلم الاوروبي» في الوحدة ، فما كان يعتبره سوى هلوسة .

إلا أنه ، على الرغم من كل ذلك ، فقد وجد نفسه معجباً بالمشروع الذي وضعه أمامه السيد أشَرْ . يالها من رواية! ولم لا يا ترى؟ فالاعوام تمضي بسرعة ولكل رجل الحق بالقيام بما يمكن أن يعتبره انجازاً يفخر به . وها هو الآن ، على وشك أن يهز العالم بأعماله . أمضى اعوامه القليلة الماضية مهموماً بأمور مؤسسته والمشاكل التي تواجهه بسبب الكساد الاقتصادي العالمي ، اما الآن فلعله يتمكن من التخلص من هذه الاجواء

الكئيبة .

أكمل الرجلان غداءهما قبيل الساعة الثالثة ، وجاء لهم أندرو بالقهوة . كانت علامات الارتياح تبدو على دارتنغتون حينما بادر مضيفه بالكلام :

- «حسناً يا روجر ، فلقد اقنعتني ، وأعتقد بأنني أعرف من اين سأبدأ» .

فأعترضه السيد أشَرْ مستبشراً «هائل! هائل! لقد اتخذت قراراً معقولاً ووطنياً وأستطيع أن اؤكد بأن الحكومة ستظهر لك مقدار إمتنانها»

- «لا أفهم ماذا تقصد ، فلقد قلت لي بأن الحكومة ليست على علم بعلاقتي بالموضوع»

- «هذا صحيح وستبقى الحكومة بغير علم بعلاقتك بالموضوع . . رسمياً . مع ذلك فأنني مخول أن أعقد اتفاقاً بهذا الخصوص بالنيابة عن الحكومة» .

- «ماذا تقصد بذلك»

- «ان الاوضاع الاقتصادية صعبة علينا جميعاً . أعذرني على ما أقوله إلا انني قمت بدراسة أوضاعك ، علاوة على ذلك فأنني أمتلك بعض الاسهم في مؤسسة داركون فلقد كانت سنة صعبة على قطاع البناء» .

بدا على وجه دارتنغتون بعض الامتعاض وقال «ما الذي تنوه اليه يا روجر؟ اذا كنت تتصور بأن مؤسستي هي معروضة للبيع ، فانك على خطأ» .

- «لا يا عزيزي! لا بحق السماء! انني أقترح حلولاً تختلف عما تفكر به تماماً من أجل حل مشاكلك . أسمح لي أن أشرحها لك رجاء» . أبتسم أشَرْ وبدأ بشرح موقفه وعلامات الثقة مرتسمة على وجهه «تتقدم داركون بعروض ضخمة للحصول على أي من عَشر مقاولات ضخمة حول العالم ، ثلاثة منها في بريطانيا ، اثنتان في اوروبا ، والبقية في الخارج . وعندما أقول ضخمة أقصد بما يزيد عن الخمسين مليون دولار للمشروع الواحد» .

اندهش دارتنغتون لسماعه كلام أشَرْ الذي استمر بحديثه بسرعة :

- «لو نَجَحتْ داركون بالحصول على واحدة من هذه المشاريع فستنجو المؤسسة على مدى المستقبل المنظور ، وستنجو أنت . أما اذا حصلتم على مشروعين ، فسيكون مستقبلكم زاهياً» . سأكون صريحاً معك ، لو نجحت بتنفيذ المشروع الذي عرضته عليك

فان الحكومة المعنية ستضمن لك مقاولتين . وسيبقى المجال مفتوحاً أمامك للحصول على عقد ثالث ورابع على ضوء الكفاءة طبعاً . إلا انني أتعهد لك بعقدين على أقل تقدير» .

ازدادت دهشة دارتنغتون الى الحد الذي بات لا يصدق ما يسمعه . وقف على قدميه ومد يده لمصافحة السيد أشَرْ .

***

بعد ثلاث ساعات ، وعلى متن الطائرة الخاصة لآشر ، قالت المضيفة لقائد الطائرة بأن بيتر دارتنغتون يتصرف بنوع من الغرابة . فبين الحين والآخر يهم بالضحك بصوت يشبه صوت ضحك الفتيات ، ومن دون سبب ظاهر ، فهل يعتقد قائد الطائرة بأن دارتنغتون على ما يرام؟

أخبرها قائد الطائرة بألا تقلق ، فان رئيسهم كثيراً ما يؤثر على الناس بهذا الشكل الغريب .

٤

يبلغ إد هاورد الخامسة والاربعين عاماً من العمر ، نحيف طويل القامة ، ذوعينين غامقتي اللون ، له خبرة عسكرية مداها ثلاثة عشر عاماً ، كضابط في البحرية الملكية وفي صنف الخدمات الخاصة بين عامي ١٩٦٦ و١٩٧٩ .

تزوج العام ١٩٧٦ ، وسرعان ما بدأت زوجته كلير بالالحاح عليه لإيجاد عمل آخر له كي يتمكن من قضاء فترات اطول في المنزل . وحينما عُرِضَ عليه عمل اداري من قبل والد أحد اصدقائه ، ضغطت كلير عليه بشدة للاستقالة من البحرية وقَبِل فعلاً العرض الجديد بعد تردد كبير .

كان هاورد على يقين بأنه سوف يفتقد الحياة العسكرية ، إلا أنه ، على الرغم من ذلك ، اندهش لمدى نفوره من العمل الاداري ، فبعد أسبوع واحد من التخبط في مكتبه الجديد أخبر رئيسه السيد زيغلر بأنه يجد نفسه غير مناسب للمنصب . فكانت لهذه المصارحة الاثر المعاكس على السيد زيغلر الذي أعجب به وبأمانته وقال له : «يا إد ، انني لم أستخدمك لأستفيد من علمك بالاسواق المالية ، بل ، لأنك تتصف بالحكمة والقابلية على إتخاذ القرار . فأنك تتمتع بقابلية وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، ثم تتمكن من الاشراف عليه ، وهذا كل ما أرجوه منك» . ورغم صراحته ، فلم يفصح زيغلر عن طموحه لهاورد وكثيراً ما تمنى أن يكون نجاح تجربة هاورد محفزاً الى أن يقتدي به ولده مايك وأن يترك عمله كضابط في الجيش الامريكي ويلتحق هو الآخر ، بشركة والده .

إزدادت ثقة السيد زيغلر بهاورد عبر السنوات الثلاث التي تلت ، استمر هاورد في البحث في أسواق العمل في بريطانيا عن أصحاب الخبرات الجيدة في العمل ويقوم باغرائهم على ترك أعمالهم والالتحاق بالشركة ، حاملين معهم خبراتهم ، بالاضافة الى

شبكات علاقاتهم الادارية الواسعة ، وعندها يمنحهم ثقته المطلقة مصحوبة بمغريات مالية كبيرة ، وعلى هذا المنوال سرعان ما بدأت شركة زيغلر بالازدهار .

ورغم المعاملة الحسنة والاجور العالية التي كان يتلقاها هاورد ، إلا انه كان يشعر بالملل الشديد في عمله الاداري هذا ، وبدأ يفكر جدياً بالبحث عن عمل آخر . وبعد مضي ثلاث سنوات استطاع أن يخبر زيغلر بأنه قرر الاستقالة . وتقبل الرجل الكهل قراره هذا بحزن قائلاً : «ماذا ستقوم به الآن يا إد»؟

- «سأعمل في مجال الامن الشخصي ، بالاضافة الى تقديم استشارات للشركات الكبيرة حول قضايا أمنية ليتمكنوا من تجنب مشاكل قد تسببها لهم الجماعات الارهابية . فهي تجارة رابحة في هذه الايام الى جانب انها أقرب الى مجال تخصصي العسكري»

- «هل ستأخذ مايك معك ايضاً؟ فقد صح تخمين السيد زيغلر حيث قام ولده مايك بالاقتداء بتجربة هاورد في ترك عمله في الجيش ، إلا أنه كان يشعر هو أيضاً بالملل من العمل الاداري .

- «لم أطلب منه ذلك لحد الآن . ولن أفعل من دون رضاك . قد يريد الالتحاق بشركتي الجديدة ، إلا انني قررت عدم عرض أي عمل عليه . ولكنه اذا طلب مني الانضمام الي فلن أتردد بقبول طلبه» .

أستسلم الرجل الكهل للامر الواقع وقام بتوديع هاورد بحرارة وتمنى له الموفقية في خطوته الجديدة .

خاب أمل كلير ، زوجة هاورد عندما سمعت بترك هاورد لعمله ، وجن جنونها حين علمت بما يخطط القيام به في عمله الجديد ، ولم يتوقف شجارها معه لفترة أسبوعين الى الحد الذي بدأ يظهر ضجره من علاقتهما المتردية . فجن جنونها مرة اخرى وانهالت عليه بالضرب والشتائم فبادرها هاورد ، وبكل برودة أعصاب ، بسكب محتويات صحن كبير من الحلويات على رأسها . فلم يكن يحبذ أكل الحلويات لما كانت تسببه له من سوء الهضم! .

كان هاورد يكره الدخول بخلافات قانونية مطولة ، واتصف محاميه بالاضافة الى ذلك ، بالضعف والكسل ، مما أدى الى خسارة هاورد الكثير من املاكه في دعوة الطلاق

التي أقامتها عليه كلير . حيث خسر نصف منزله في منطقة (فولهام) في جنوب غربي لندن ، بالاضافة الى معظم مدخراته التي صرفت لأجور المحامين ولتعويضات الاعالة لكلير وما كان له من الباقي ما يكفي للاستثمار في شركته الجديدة الا النزر اليسير .

جاء دور مايك زيغلر لمساعدة هاورد . فقد دخل الى الشركة كشريك وقاما سوية باستخدام فريق من العسكريين المتقاعدين كان أغلبهم يعمل في صفوف القوات الخاصة SAS . وتخصص مايك زيغلر بمساعدة أربعة من رجاله بالعمل في الاسواق الامريكية والآسيوية وتركزت أعمالهم في لوس أنجليس ، أما هاورد والآخرون فانصب أهتمامهم حول الاسواق الاوروبية الاكبر حجماً ، الى جانب أفريقيا والشرق الاوسط وتمركزوا في لندن . هكذا نشأت شركة XF للخدمات الامنية .

لاقت الشركة نجاحات ملموسة ، حينما جرت محاولة لاختطاف أحد رجال الاعمال الايطاليين ، اذ كان أحد رجال هاورد مع موكلهم آنذاك وتمكن من إفشال المحاولة بنجاح ملفت للنظر ، فقد تمكن من مداهمة المختطفين الثلاثة الذين نقلوا الى المستشفى لفترة أسابيع عدة قبل حلول موعد المحاكمة . بسبب جراحهم البالغة ، احدى النقاط التي أثارها المحامي المدافع عنهم الذي تهجم مراراً على ما اعتبره حالة من العنف غير المبرر وقسوة فائقة كان قد أظهرها السيد هاريس ، صاحب الوجه المخيف ، تجاه موكليه . وما كان محامي الدفاع بحاجة الى الاسهاب بالكلام ، اذ كان منظر «الضحايا» الثلاثة الذين حضروا الى المحكمة تحت اشراف طبي ، وصفاً كافياً لما كان قد جرى لهم .

لكن الحاكم لم يكن متعاطفاً مع المتهمين إطلاقاً وأستمع بإعجاب متزايد الى إفادة السيد هاريس ، الذي شرح بلغته البسيطة بأن أفضل اسلوب لمنع رجل مسلح من استخدام سلاحه هو أن تكسر يديه ، وازداد اعجاباً حينما أستمر السيد هاريس في توضيح رأيه بأن الطريقة المثالية لمنعه من الهرب بعد ذلك هي أن تهشم مفاصل ركبتيه ، وأكد هاريس بأن عمليته كانت سريعة وبسيطة إذ انها لم تستغرق أكثر من عشر ثوان منذ بدايتها حتى نهايتها .

أعجب الحاكم بالمنطق البسيط الذي تصرف على ضوئه هاريس ، وفي تلخيصه الختامي للقضية ، امتدح هاريس وقال بأنه قد قام بعمله الشجاع هذا بخدمة المصلحة العامة ، وبأن مثل هذه الخدمات باتت ضرورية بالنسبة الى أي رجل أعمال ينوي أن

يأمن من خطر أعمال الاختطاف والارهاب . ونالت المحاكمة على إهتمام صحافي كبير وإنهالت عروض العمل على شركة هاورد التي بدأت بالازدهار السريع .

انعكس حظ هاورد بشكل مؤقت ، بعد حادثة رجل الاعمال الايطالي بقليل ، حيث قضى فترة ستة أشهر في احد سجون تركيا بصحبة أحد رجاله . فقد حوكم بسبب قيامه بدفع مبلغ من المال كانت قد طالبت به احدى الجماعات الارهابية كثمن لاطلاق سراح أحد الرهائن الذي كان قد أختطف من قبلها . وعلى الرغم من تمكن هاورد من الافراج عن الرهينة ، فان السلطات التركية اتهمته بأنه إرتكب جريمة التفاوض مع جهات اجرامية . لكن الشركة التي كان يعمل لحسابها الرجل المختطف ، قدرت أعمال هاورد ، خصوصاً وانه لم يفصح عن دور الشركة في تشجيع عملية التفاوض ، فقامت الشركة بعد ذلك بالتعامل مع شركة هاورد للقيام بكافة احتياجاتها الامنية .

كانت الشركة المعنية بالامر هي شركة دارتنغتون للبناء المحدودة والتي تحولت فيما بعد الى مؤسسة داركون الدولية .

جلس هاورد الآن مواجهاً رئيسها في منزله الفخم في مقاطعة «كنت» جنوبي انكلترا .

- «هل أنت جاد فيما تقوله يا پيتر؟»

كان أد هاورد على يقين بأن پيتر دارتنغتون واثق من موقفه ، اذ أنه تذكر معنى النظرة التي كانت قد ارتسمت على وجه الرجل الجالس أمامه . ولوهلة تصور هاورد بأن دارتنغتون فقد صوابه ، ودار في ذهنه احتمال قطع علاقته الطويلة والمربحة للغاية معه .

- «انني غاية من الجد يا آد . اريدك أن تدرس الموضوع نظرياً وتعلمني برأيك عنه . واذا كنت قد توصلت حقاً الى النتيجة بأنها عملية مستحيلة فسيكون علينا أن نتناسى هذا الحديث . أما اذا كنت تعتقد بأن انجازها ممكن ، فأريد منك أن تكتب لي تقريراً مفصلاً تشرح فيه الخطوات التي يجب إتخاذها . وأرغب برؤية هذا التقرير جاهزاً خلال أسبوعين» .

فكر هاورد ملياً ثم قال : «سوف أحتاج الى أكثر من اسبوعين لاكمال مثل هذا التقرير يا پيتر . إلا انني قد أتمكن من انجاز بعض البحوث الاولية ، فالحقيقة انني لا أعرف شيئاً عن هذا الموضوع غير الذي اقرأه في الصحف اليومية . أمهلني فترة للنظر بالموضوع» .

- «حسناً ، إلا أنه هنالك ، مع الاسف ، بعض التقييدات التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار ، اولاً ، يجب أن يبقى هذا الموضوع بيننا فقط . وان لا يعلم أحد من رجال داركون به ، واذا كنت بحاجة لاستشارة رجالك فأرجو أن تحاول قدر الامكان أن تقلص من عدد الذين ستناقش الموضوع معهم ويجب ألا يعلموا بعلاقتي الشخصية بالموضوع لاي سبب كان . ثانياً يجب ألا تتصل بأحد من الذين قد يبلغون السلطات بالموضوع اي انك لن تتمكن من الاستفادة من علاقاتك الواسعة برجال الشرطة او الامن العسكري . فالقضية هي اذاً ، سرية للغاية ، ويجب أن تبقى كذلك» .

أجابه هاورد ، بعد وهلة :

- «عندي بعض الاسئلة حول الموضوع يا پيتر ، اولاً ، أفهم من كلامك بأنني لو تمكنت من الوصول الى خطة معقولة لانجاح المشروع ، فستطلب مني أن أقوم بدور التنفيذ ، أصحيح هذا؟»

- «هذا صحيح»

- «حسناً ، فقد أردت مجرد التأكد من موقفي . ثانياً فان هذا المشروع هو من الخطورة . بل أنه أخطر من أي موضوع آخر كنت قد عملت به طيلة حياتي . ويصح هذا الكلام بالنسبة لرجالي ايضاً . افهمت ما اقصده؟»

- «لا ، الحقيقة لم أفهم»

- «يجب أن تفهم بأن الدخول بهذا المشروع سيغير من أمور كثيرة بالنسبة الينا جميعاً . ولو نظرنا الى احتمال فشلنا فسيعني ذلك بأن المغريات يجب أن تكون كبيرة جداً . فإننا نتكلم هنا عن قضايا كبيرة للغاية ، فأرجو أن تعذرني لو سألتك عن ميزانية المشروع» .

نظر دارتنغتون في عيني هاورد وقال :

- «يا إد ، لقد أخبرتك بأن المشروع كبير وفي غاية من الاهمية . فلو تمكنت من إنجاز المهمة فسأدفع لك خمسة ملايين جنيه استرليني» .

- «آسف يا پيتر ، إلا انني لا أعتقد بأن ذلك سيكفي ، فسوف أحتاج أن أعد فريقاً من أصحاب الاختصاص والكفاءة . وسيمكن مثل هذا الفريق أن يحقق لنفسه ارباحاً لا تقل عن العشرة ملايين جنيه أسترليني لو مارسوا اعمالاً اجرامية كسرقة البنوك مثلاً .

وسيتمكنون من القيام بذلك دون التعرض الى خطر الموت . أما مشروعك فسيعرضهم لذلك . وسأقوم بالاضافة الى ذلك بإستخدام رجال اشراف لا صلة لهم بحياة الاجرام من أجل القيام بعمل سيعتبر وفق اي مقياس ، جريمة كبرى» .

سكت دارتنغتون وبدت عليه بعض علامات التردد وإستمر هاورد في حديثه : «سأطلب منك مبلغ خمسين الف جنيه كمصاريف لاعداد التقرير الاولي فقط . أما بعد ذلك فستكون المصاريف باهظة ، وعلينا الا ننسى أهمية الحافز المادي خصوصاً بالنسبة للرجال . فأعتقد ، بكل اخلاص ، بأن العملية لن تنجز بأقل من عشرة ملايين جنيه أسترليني» .

فأجابه دارتنغتون «لقد فهمت موقفك يا أد . ابدأ بموضوع التقرير وسأهيء لك المبلغ الذي ذكرته» .

هم دارتنغتون بالوقوف ، الا أن هاورد قاطعه بإشارة من يده وقال «هناك شيء آخر أود أن أبحثه معك يا بيتر . فهناك عوامل كثيرة يمكن أن تؤدي الى فشل هذا المشروع ، ولذلك فأن الكتمان هو في غاية من الاهمية . فرغبتي في السرية المطلقة لكل ما يتعلق بما بحثناه قد تكون أكثر مما تتوقع . فستجبر أنت بعد اليوم أن تعيش حياة مزدوجة داخل مؤسستك وحتى ضمن حدود عائلتك . فلن تتمكن من أستخدام السكرتيرة او أن تترك اي اثر في سجلاتك . وأنا كذلك سأقوم باجراءات مماثلة . هل تتفق معي؟» ، فأشار دارتنغتون بالموافقة .

فأستمر هاورد في حديثه «لعلنا نتمكن ان نبدأ الآن» .

نظر اليه دارتنغتون وعلامات الاستفهام بادية على وجهه .

مد له هاورد يده قائلاً : «هلا تعطيني شريط التسجيل يا بيتر؟»

فهم دارتنغتون مقصده ومد يده داخل الدرج الجانبي لطاولته الكبيرة واغلق جهاز التسجيل الذي كان يعمل بصمت طيلة فترة المحادثة . اخرج منه الشريط وسلمه لهاورد قائلاً :

– «اعتذر عن إغفالي لهذا الموضوع وانني مسرور بأنك قد فكرت بالقضية من جميع جوانبها» .

ابتسم هاورد وهم بالوقوف وقال :

- «سأتصل بك بعد أسبوعين ولو تمكنت من وضع خطة ، فساعد لك تقريراً مفصلاً عن التكاليف وسأجلبه معي لتقرأه بحضوري . أما بعد ذلك فسنحرقه . هل لديك ما تريد أن تقوله لي قبل رحيلي؟»

- «ليس لدي أي شيء آخر» ، أجاب دارتنغتون وأصطحب هاورد الى سيارته الواقفة في ساحة المنزل الامامية .

انصب تفكير هاورد ، أثناء عودته الى لندن ، على محادثته مع دارتنغتون ، وأجبر نفسه لبرهة من الزمن ، بالتفكير بما امتنع عن قوله ، وحاول أن يركز على الدوافع المحتملة التي جعلت دارتنغتون يقدم على مثل هذا المشروع ، فقد اظهر دارتنغتون نوعاً من التردد عندما كلمه عن كلفة المشروع . طبعاً ، فان عشرة ملايين جنيه استرليني هو مبلغ ضخم حتى بالنسبة لرجل مثل دارتنغتون بحيث لو ذكر هذا المبلغ لاي شخص آخر لاظهر دهشته او فزعه من حجم الكلفة ، اما دارتنغتون فلم يفزع بل كان متردداً فقط . ولماذا يقدم دارتنغتون على هذا العمل بنفسه؟ كان هاورد على علم بعمليات ومصالح شركة داركون ولم يجد في اختصاص الشركة ما يستوجب القيام بمثل هذا المشروع .

بقي هاورد في حيرته هذه الى أن وصل الى منزله . ذهب فور وصوله الى مكتبه وبدأ يطبع مقدمة التقرير على جهازه الالكتروني ، لكنه سرعان ما شرد ذهنه مرة اخرى وأخذ يفكر بالاحداث الغريبة التي مر بها أثناء النهار ، في حين كانت السطور الثلاثة على شاشة الجهاز التي طبعها للتو تلمع أمام عينيه .

الى : ب .د .

من : أ . هـ .

الموضوع : اغتيال صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية .

٥

مكث هاورد في شقته لفترة عشرة ايام وهو منغمس في القراءة ، لم يخرج منها الا لفترات قصيرة للقيام بزيارات خاطفة الى المكتبات لاقتناء أكداس من الكتب حول الشرق الاوسط وحرب الخليج ، بالاضافة الى كتابات متناثرة حول شخصية صدام حسين ، وكان يدفع ثمن الكتب نقداً مبتعداً عن استخدام الصكوك البنكية لكي لا يترك أثراً لاسمه . وتمكن ايضاً ، أن يحصل من خلال صديق له يعمل كمراسل صحافي في هيئة الاذاعة البريطانية (BBC) أثناء حملة «عاصفة الصحراء» على نسخ لتسجيلات الفيديو من أرشيف الاذاعة ، لكافة التقارير التلفزيونية عن الغزو العراقي للكويت والحرب التي تبعتها . وكم كان يتمنى هاورد لو كان بمقدوره الا يطلب من صديقه هذا أن يزوده بالتقارير المتعلقة بصدام حسين فقط ، اختصاراً للوقت ، إلا أنه وجد نفسه مرغماً بتوسيع نطاق بحثه قدر الامكان .

كان يقضي ساعات طويلة في البحث عن صور تناسب مطلبه وحينما يجدها ، ويظهر وجه الدكتاتور على شاشته ، يبطئ من سرعة الجهاز ويقوم بدراسة تفصيلية لمظهره ومظهر مرافقيه .

قضى هاورد ساعات طويلة في مكتبة الصحافة البريطانية في «كولينديل» في شمال لندن في قراءة الصحف والمجلات وتدوين ملاحظاته عنها تارة وتصوير بعض اجزائها تارة اخرى ، ثم قام بزيارة مؤسسة «هوارد ستانفورد» حيث اشترى نسخاً لكافة الخرائط المتوفرة عن العراق والشرق الاوسط .

أخيراً وفي نهاية الاسبوع ، قرر إد هاورد بأن ما لديه من معلومات غير كافية ، فمن ناحية لم تكن الخرائط بالتفصيل المطلوب ، ومن ناحية اخرى لم يكن هو شخصياً خبيراً «حول موضوع الشرق الاوسط ، فكان عليه اذن أن يعتمد على احد اعوانه ، «جوني

بورن» بهذا الخصوص .

قرر هاورد أن يبدأ بمشكلة الخرائط لانها كانت ابسط المشاكل . وقام بالاتصال باحد زملائه السابقين في القوات الخاصة SAS الذي خدم في مركز جمع المعلومات اثناء حرب الخليج .

- «كيف حالك يا ديريك؟ إد هاورد يكلمك»

وروى له هاورد رواية حول ارتباطه بشركة كانت قد بدأت اعمالها في الخليج مؤخراً في مشاريع اعادة البناء في شمال الكويت .

- «المشكلة قد تبدو غريبة بعض الشيء ، الا أن الخرائط الموجودة ، او بالاحرى ، تلك التي تمكنت من الحصول عليها من مؤسسة ستانفورد ، لا تظهر عليها التفاصيل الكافية ، فهل تعتقد بأني سأتمكن من الحصول على خرائط اكثر تفصيلاً من وزارة الدفاع مثلاً؟»

كان اقتراح ديريك أن يجرب هاورد الاتصال بمركز الخرائط في لندن ، وعندما اخبره هاورد بأنه قد جرب حظه هناك ايضاً ، ذكر له عنوان مركز الخرائط العسكري .

- «المشكلة ، هي انني سأضطر ان ارسل سائقاً لا ستلام الخرائط منهم ، لانهم كما تعلم لن يرسلوها بالبريد»

فقال له هاورد «سأذهب بنفسي لاستلام الخرائط اذا كنت تعتقد بأنها ستفي بالغرض» .

- «بكل صراحة ، فانني لا اعلم مدى دقة ما لديهم ، وربما كانت شبيهة بتلك التي حصلت عليها من مؤسسة ستانفورد ، التي كما تعلم ، تجمع احدث الخرائط المتوفرة لكل مناطق العالم» .

اقتنع هاورد بجواب صديقه ، فلمؤسسة ستانفورد شهرة عالمية بجمع ادق وأفضل الخرائط . فكر قليلاً ثم قال :

- «ولكن ماذا عن وزارة الدفاع؟ هل لديهم بعض الخرائط المستقاة من صور محطات الارسال الفضائية؟»

أظهر ديريك تحفظه لذلك وقال :

- «نعم ، لقد سمعت بأن مثل هذه المعلومات كانت قد جمعت اثناء حرب الخليج ، الا انها سرية ، وعلاوة على ذلك ، فقد تم تصوير المناطق المحددة فقط . ولا اعلم اذا كانت

صفة السرية قد رفعت عنها بعد انتهاء الحرب وهي على كل ، تفصيلية وحديثة للغاية ما عدا فيما يتعلق بالابنية والجسور التي قصفتها طائرات الحلفاء . وهذه الخرائط تخص العراق وانت تقول بأنك مهتم بالكويت ، وشمالي السعودية» .

فرح هاورد لسماعه هذه التفاصيل ، وقال : «تبدو هذه الخرائط مناسبة تماماً لاغراضي ، ولكن كيف يمكنني الحصول عليها»

- «بصعوبة بالغة . لانني قد اكون ما زلت محتفظاً ببعض النسخ في مكان ما . .»

حاول هاورد أن يتكلم بهدوء وقال : «هل يمكنني استعارة ما لديك لمقارنتها بخرائطي . سأعيدها بعد يوم او يومين فقط» .

- «ولم لا؟ اعتقد بانني وضعتهما في المخزن ، سأبحث عنها ، لم لا تزورني لتأخذها مني اليوم . الا اني سأطلب منك أن تعيدها لي بأقرب وقت»

- «سيكون هذا مدهشاً» . طبعاً سأرجعها بسرعة . . يوم الاربعاء القادم ، فاني لا اريد سوى أن ألقي نظرة سريعة عليها . والحقيقة فبامكاني الحضور حالاً ، خلال ربع ساعة فهل تمانع من ذلك؟»

ذهب هاورد فوراً لاستلام الخرائط من ديريك وحين عودته ، بعد حوالي ساعة واحدة ، القى نظرة سريعة عليها ، وتأكد بأنها تفي بالغرض تماماً . قرر تصويرها بسرعة واعادتها لديريك ويكون بذلك قد اجتاز العقبة الاولى . أما العقبة الثانية فيجب أن يجتازها مع جوني .

٦

- «هل يروق لك مظهري»؟

- «لطيف . . لطيف جداً» قالها جوني بورن دون ان يلتفت الى الفتاة التي كانت تخاطبه . جلس جوني في مقعده الدوار في مواجهة النافذة ، يراجع تقريراً كان قد أعده خلال اليوم ويجب ان يُقدمه قبل صباح اليوم التالي .

- «انظر اليّ على الأقل . . أيها الوغد»

«آسف يا جوليه . . كنت أركز على التقرير» ودار كرسيه ليواجه جوليه ، الفتاة التي تشاركه المسكن .

نظر جوني بورن اليها وكأنه يراها للمرة الأولى . لقد تغير مظهرها بالكامل . . فقد غيرت هندامها الذي كان تعود عليه منذ ان انتقلت الى شقته قبل ثلاثة اسابيع وخلال هذه الفترة . . كانت أمينة وحريصة في كل ما تفعله في المنزل وتعوض كل تستعمله من حاجيات المنزل .

والآن وقد تغير مظهرها وبانت له جميلة ولكن بهدوء . . كما ان بساطتها اضفت عليها جمالاً .

- «أين تسهرين الليلة؟» .

- «سنذهب للعشاء في مطعم قريب ، اتوقع ان يمر عليّ صديقي خلال الربع الساعة القادمة» - وسكتت برهة «ثم سألت جوني بورن «هل تشرب شيئاً؟» .

- «نعم»

عادت جوليت بقدحين . . ووضعت احدهما على الطاولة التي كان يعمل عليها ثم سألته «ما الذي يشغلك يا جوني . . وما هو موضوع التقرير الذي تعده؟» .

- «تقرير أمني لشركة المانية . . انه عمل ممل» .

- «صحيح انه عمل ممل، تساءلت جوليه وهي تمشي بخطى بطيئة خلف الكرسي الذي يجلس عليه جوني . . وبد يشم رائحة العطر الذي ارتدته وانتابه شعور غريب لأول مرة منذ انتقالها الى الشقة ،اقتربت منه أكثر فأكثر . . ثم وضعت يدها اليسرى على كتفيه فارتعشت يده بشكل تلقائي ، وحرك يده اليمنى ووضعه على يدها دون ان يلتفت اليها . . وسألها بصوت واطئ . . «وماذا عن صديقك الذي ستخرجين معه هذه الليلة للعشاء» .

- «اتصلت به هذه الظهيرة وألغيت الموعد» .

- «إذاً كنت تكذبين؟» .

- «كنت أراقبك يا جوني منذ ثلاثة اسابيع» ولم أرغب ان اخطأ مرة أخرى في حياتي . . فلم اهتم بهندامي وتصرفت بشكل متحفظ معك خلال هذه الفترة لاختبر نواياك . . لقد كنت رجلاً كريماً ومثالاً للاخلاق واحترمتني طوال هذه الفترة» .

التفت جوني لينظر اليها مرة أخرى ، التقت نظراتهم . . ولم تكن هنالك حاجة لمواصلة الكلام بعد جمعت النظرات آلاف المعاني . .

***

في صباح اليوم التالي . . كانت جوليه تعيد ذكريات الليلة الماضية ولم يساورها الشك في انها وجدت أخيراً شريك حياتها .

٧

- «ما هو سبب تحملهم لهذه الاوضاع اذن؟ لماذا يسكتون على جرائمه وما يسببها لهم من مآس الواحدة تلو الاخرى؟»

- «يجب أن تدرك يا إد ، بأنك تسأل سؤالاً معقداً للغاية ، وقد تطول الاجابة عليه ساعات طويلة . فالجواب المبسط هو أنه يحكم بالارهاب والخداع والقتل والاعلام المضلل ، الا أن الحقيقة التي يجب ادراكها هي اننا في الغرب نحب الاجابات المبسطة ، وهذا يفسر عدم تفهمنا لهم ، ولذلك فقد ارتكبنا الحماقة تلو الاخرى في هذه المنطقة من العالم» .

وتوقف جوني بورن ليسحب نفساً آخر من سيجارته ، ثم استمر في الحديث . تركه هاورد يتكلم وكان منجذباً الى موضوع الحديث والمعلومات التي يدلي بها جوني . كان هاورد يسجل هذا الكلام . . . لكي يعود اليه إذا ما تطلب الامر . واستطرد جوني :

- «فلننظر الى حقيقة علاقتنا بالعرب . كان الغرب وبالاخص الانكليز والامريكان ، قد خدعوا العرب بالاكاذيب والاضاليل وقاموا باستغلالهم منذ اليوم الاول لاحتكاكهم معهم . اما العرب فينظرون الينا كلصوص ومخربين لا هَمّ لنا سوى تدمير حضارتهم ، وقد يكونون على حق . فنحن ننظر الى العرب على انهم متخلفون ومنافقون وصورتهم في اذهاننا هي لاشخاص مخادعين ، يرتدون ثياباً طويلة وقذرة ويحملون خناجر كبيرة يودون غرسها في ظهورنا . وجاءت هذه الصورة من اجهزة الاعلام بالطريقة البدائية التي تصورها لنا الافلام السينمائية . وبين الحين والاخر نرى صورة الشيخ البدوي بالثياب الناصعة الفضفاضة ، فنحبها لمجرد اننا نتصور بأنه يحمل قيماً غربية ويفكر مثلما نفكر نحن . هذه الصور هي خاطئة تماماً ، حيث أن العكس صحيح . . . ففي البداية تعلمنا منهم الكثير ، اذ أن حضارتهم هي اقدم وانبل من حضارتنا . بل أن مبادئ النبل

والسلوك المشرّف وليس السلوك الانتهازي ، قد تعلمناها من العرب والحضارة العربية القديمة والعكس ليس بصحيح! .

وهم الآن يحاولون بقدر الامكان أن يعيشوا وفق هذه القيم والمقاييس فقيرهم وغنيهم . أما نحن في الغرب فقد خسرنا كل هذه القيم ونساها معظمنا .

وأكمل بورن حديثه : «ولهذا السبب وعندما يبرز بينهم رجل قوي مثل صدام حسين ، ويحاول أن يعرض عليهم العودة الجاهزة للقيم فانهم يتبعونه ، لانهم يجدون فيه الحل للمأساة العربية . فهم يريدون تصديق كلامه بأن العرب سينتصرون على المستعمرين وبأن الحضارة العربية ستعيد امجادها القديمة ، انهم يبحثون عن الحقيقة ، والحقيقة بالنسبة لهم هو ما يودون تصديقه ، فالشرف والشريعة الاسلامية بالنسبة للعرب يمثلان الحق والعدالة ، والشرف هي الحقيقة غير المنتقصة وهنالك جوانب عديدة لهذا الموضوع في ثقافتهم وقيمهم الحضارية ، وهم مستعدون للتضحية في سبيلها وانه لمن المؤسف بأن قادتهم نادراً ما يمثلون الحق والعدالة . .»

جلس هاورد يستمع باعجاب لشرح جوني بورن المفصل عن الاوضاع السياسية العربية واندهش لمقدار ثقافته وإلمامه بالموضوع من جميع جوانبه . واستمر جوني في كلامه :

«نعم ، فلقد خذل شعبه مراراً ، ولذلك نجد الكثير منهم يكرهه ويعمل على ازالته ، الا أن هذا لا يعني بأنهم غيروا طريقة تفكيرهم واصبحوا مقتنعين بطريقة تفكيرنا نحن . فقد يفرحون بزواله ، الا انهم سيريدون رجلاً قوياً آخر ليحل محله وليتمكن من تحقيق طموحاتهم .

«فالمشاكل الحالية التي ساهم النظام في تعميقها تعود الى الاختلاف في وجهات النظر بين الفئات الثلاث المختلفة عرقياً وطائفياً . . وأن الخلافات تزداد يوماً بعد آخر» .

تحول حديثهما ، بعد فترة ، الى امور اكثر تفصيلاً تتعلق بالجوانب العسكرية والادارية لمهمتهم .

ولم يكن جوني قد سأل هاورد لحد الآن عن طبيعة المهمة لانه اعتاد ان يمارس مثل هذا العمل كلما كلفته شركة XF بمهمة جديدة . وكان هاورد قد ترك اختصاص المنطقة العربية لجوني .

توقفا عن العمل في الساعة الواحد بعد الظهر لتناول طعام الغداء ، وكانوا قد قضوا

اربع ساعات في عمل متواصل في شقة إد هاورد .

نظر هاورد الى جوني الذي كان يلتهم طعام الغداء بنهم ، وبادره :

- «جوني»

- «ماذا تريد»

- «ما اسمها؟!» ، وتفاجىء جوني لهذا السؤال المباشر . . . واستمر هاورد بإلحاح :

- إخبرني بالله عليك . . . من هي . . . ما أسمها» .

وبعد ان استعاد جوني رباطة جأشه ، إرتخت اعصابه بعض الشيء وأجاب :

- «انها كالملاك . . . انني غارق في الحب حتى اذني!» .

واستمر جوني بكيل المديح لصديقته الجديدة .

- «هل تعرفها منذ مدة؟»

- «كلا . . . التقيت بها مساء أمس» . وقفز هاورد من مكانه صائحاً في وجه جوني :

- «مساء أمس؟»

- «الذي اود ان اقوله . . . انني كنت اعرفها منذ فترة . . . ولكنها لم تلفت نظري حتى مساء امس . . . وفي الحقيقة انها الفتاة التي تشاركني السكن . . . في شقتي؟»

- أرجوا ان لا تسيء فهمي يا جوني . . . فاني سعيد جداً . . . انك وجدت شريكة حياتك ، ولكنها مفاجئة . . . طبعاً فإني اتمنى لكما كل السعادة . . . بالمناسبة ماذ تعمل خطيبتك هذه؟!»

- «لقد كنت اعتقد بأنها طالبة . . . لأنها كانت مشغولة طوال معرفتي السابقة بها بالدراسة ومطالعة الكتب . . . ولكن اتضح بأنها تتهيأ لامتحان الترفيع الى وظيفة أعلى»

- «نعم . . . نعم . . . ولكن ماذا تعمل . . . في اي اختصاص»

- «انها في سلك الشرطة . . . وتحاول ان تترقى الى وظيفة مفتش في شرطة التحريات الجنائية!»

تفاجأ هاورد بهذه المعلومة . . . أغمض عينيه وشعر بأنه سيغمى عليه .

***

أفاقت جولييت شيلي من النوم في الساعة الواحدة والربع بعد الظهر وبدأت تركز تدريجياً على ما حولها . . . وعند صحت تماماً ، تيقنت من ان جوني كان قد غادر

الشقة . . . إلا انها وجدت منه رسالة يعلمها بأنه سيعود الساعة السادسة مساءً وأنه سيدعوها لتناول طعام العشاء معه ، كما أخبرها بأنه سيصطحبها غداً لشراء خاتم الخطوبة! .

كانت جولييت سعيدة بهذا الخبر . . . ومتشوقة للتحدث مع احدى صديقاتها حول الموضوع ، فجلست على أريكة مريحة قرب الهاتف ، رفعت السماعة وبدأت تدير رقم صديقتها جيني ، كان موضوع حديثها مع جيني يتركز على خطوبتها المرتقبة لجوني بورن .

***

تردد هاورد بعض الشيء قبل ن يطلع جوني على تفاصيل المشروع ولم يكن امامه خيار آخر حيث كان جوني الخبير الوحيد في الفريق والذي يجيد اللغة العربية ويفهم المنطقة ، اضافة الى قابلياته التنظيمية ، وعلى اي حال فان وجود جوني ضمن الفريق مهم جداً في مراحل اعداد المشروع . . . وحتى وان لم يشارك في مرحلة التنفيذ . كان هاورد يعلم جيداً بأنه يستطيع ان يثق بجوني بورن ، وان الاخير سيولي المشروع ، اذ حصلت الموافقة النهائية على تنفيذ ، كل اهتمامه .

فاق هاورد من تفكيره ، ووجه الكلام الى جوني : «هنالك مشكلتين منفصلتين تواجهك الآن . . . الاولى من وجهة نظرك والثانية من وجهة نظرها . بالنسبة اليك إنك في حالة نفسية صعبة . . . وخاصة بالنسبة لشعورك تجاهها ولا شك بأنك تود ان تنفتح وتخبرها عن كل شيء . . . الماضي والمستقبل . . . أعني بذلك ، الامور التي يجب ان لا تبوح بها الى خطيبتك . . . هل فهمت ما أقصده» .

واستمر هاورد : «آسف ، ان كنت قاسياً معك . . . فسوف تحاول ان تعرف عنك كل شيء . . . بطريقتها الخاصة . . . وسوف تهتم بكل شيء تسمعه منك . . . لانها كما يظهر شديدة التعلق بك . . . لا اعني طبعاً انها سوف تتجسس عليك ولكنها سوف تسألك عن تفاصيل حياتك الدقيقة . . . عن معارفك وأصدقائك هل تفهم ما أعني؟»

مرة أخرى هز جوني رأسه بالموافقة ، وتابع هاورد

«والأدهى من هذا وذاك . . . أنها ذكية جداً وبارعة . . . بحكم كونها في شرطة التحريات الجنائية . . . وطموحة بحكم رغبتها في الترقي الى وظيفة أعلى ، أضف الى

ذلك فأنك رجل مستقيم وصريح وكلا الصفتين بادية على ملامح وجهك . . . وقد يكون ذلك مصدر جاذبيتك لها . أرجو ان لا تسيء فهمي يا جوني ، أنا لا ادعي بأنها ستتعامل معك كضابط المباحث ، ولكني آمل أن تكون قد وضحت الامور بما فيه الكفاية» .

كان جوني بورن يستمع بصمت الى تحليل هاورد لوضعه الشخصي ، فقد كانت ملاحظات هاورد منطقية ،

– «انت على حق يا إد . . . ولكني مع الاسف لا أستطيع ان اخدع اصدقائي ، ومع ذلك فسوف اضطر ان اكون حذراً معها «الى ان تنجلي الامور» .

لم يتلق جوني اي رد فعل من هاورد . . . فأستمر في حديثه :

– «قد نحتاج الى بعض أصدقائنا في السعودية ليساعدونا في الاعداد لهذا المشروع . . . أما اذا سألتني جولييت عن عملي فسوف أخبرها بأنني أعمل في مشروع بالسعودية . . . دون ان اخبرها بكل الحقيقة» .

وبدءا بمراجعة تفاصيل الخطة التي كان قد وضعها هاورد مدققين بكل كبيرة وصغيرة ، وأثير اعجاب جوني اكثر من مرة لبعض التفاصيل التي أدخلها هاورد في الخطة ، وقاما أيضاً بإضافة بعض التعديلات حيثما وجد ثغرات فيما يتعلق بالتنفيذ وناقشا امور النقل واساليب التنفيذ والمعدات ، التفاصيل الادارية والخطط البديلة الى جانب القضايا الامنية للمشروع ، وتمكنا ايضاً من الاتفاق على شخصيات مناسبة لتشكيل الفريق . أما جوني بورن ، فقد كان دوره في المشروع في غاية من الاهمية ، اذ انه بالاضافة الى قدراته العالية ، فقد كان الوحيد الذي يجيد اللغة العربية بطلاقة .

وفي الساعة الخامسة والنصف بعدالظهر ، توقف النقاش بعد ان عملا بتركيز طيلة النهار وقاما بتغطية كافة جوانب المشروع ، وتوفرت لدى هاورد الآن ما يكفي من المعلومات لكتابة التقرير للسيد دارتنغتون . قرر هاودر ان لا يتضمن التقرير اية تفاصيل عن اسلوب التنفيذ ، لكي يحافظ على السرية التامة للمشروع .

عاد هاورد الى المقعد الذي كان جالساً عليه ، بعد ان غادر جوني الشقة . أزاح المقعد ومن ثم البساط . . . وفتح الخزانة المدفونة في أرضية الغرفة وأخرج منها الاشرطة التي طبع عليها التقرير وادخلها الحاسبة الشخصية . . . وبدأ بطباعة التقرير النهائي .

***

في مساء نفس اليوم . . . كان جوني وجولييت في طريقهما الى المنزل بعد ان تناولا طعام العشاء على ضوء الشموع .

- «هل صحيح سنذهب الى المجهوراتي غداً»

- «نعم»

- «هل تستطيع ان تخبرني اسم المحل؟»

- عليك ان تكوني صبورة . . . وتكتشفي ذلك صباح غداً»

- لم تخبرني عن الوقت الذي قضيته في الجيش . . . أريد ان تخبرني بكل التفاصيل!!»

٨

جلس هاورد بصمت اثناء قراءة دارتنغتون للتقرير المتكوّن من ثلاثين صفحة ، فقد استغرقت عملية اعداده اسبوعين . كان هاورد قد قرأ الكثير عن المواضيع وتضمنت اربعة كتب عن التاريخ ، وثلاثة كتب عامة وخمسة كتب تعالج موضوع الشرق الاوسط بشكل عام بالاضافة الى ثلاثة كتب دوّنت بسرعة ظاهرة ، عن الحرب في الخليج . واعتقد هاورد ، بعد كل هذا المجهود ، بأنه كوّن فكرة واضحة عن الاوضاع السياسية في العراق ، وعن الطاغية الذي يحكم شعبه . اما دارتنغتون فكان يقرأ بتركيز وتأمل ولم يرفع رأسه حتى انتهى من القراءة . ثم قال لهاورد :

- «نعم ، لقد احسنت العمل فعلاً . عندي بعض الاسئلة وبعض التحفظات ، خصوصاً فيما يتعلق بالفقرة الاخيرة ، إلاّ اننا سنناقش ذلك فيما بعد . هل جرت حقاً كل هذه المحاولات لاغتياله؟»

- «لا بل كان هناك اكثر من المحاولات الست التي ذكرتها في التقرير ، إلا أنه هناك صعوبات في معرفة هوية المرتكبين في معظم الحالات . فقد كان بعضها محاولات قام بها عراقيون لاسباب داخلية ، اما البعض الآخر فقد كانت مخططات لدول اجنبية وعلى رأسها اسرائيل وامريكا ، ورغم طموحاتهم في ازالة صدام والتخلص من خطورته على دولة اسرائيل ، إلا ان مواطنوها لم يشتركوا مباشرة في محاولات للاطاحة به ، واكتفوا لحد الآن بتشجيع الفئات المعارضة له وتزويدهم بالمعدات والاموال والاسلحة . مع ذلك ، فان هذه المحاولات الست هي الوحيدة التي سَمِعْتُ بها منذ قيام حرب الخليج الى الآن ، وهي لا تشمل طبعاً ، تلك المحاولات الفاشلة في تنظيمها التي ما كان بامكانها أن تنجح اطلاقاً» .

اندهش دارتنغتون بعض الشيء وسأله : «لقد فهمت دوافع اسرائيل ، وبعض الفئات

العراقية للتخلص منه ، ولكن امريكا؟ ألم يعلن جورج بوش بأنه لن يتدخل بذلك ، وان على الشعب العراقي أن ينتفض ضد صدام؟ فهل كان يكذب يا ترى؟»

- «لا . . . لم يكذب بوش لثلاثة اسباب . اولاً فما قلته من علاقة امريكا بمحاولات الاغتيال كان مجرد تخمين ، ثانياً فلو كانت هناك علاقة ما فمن المحتمل أن لا يكون بوش شخصياً على علم بها - اعني انها قد تكون مبادرة خاصة من اجهزة الاستخبارات الامريكية ، ثالثاً ، فلو كانت هناك علاقة للاستخبارات الامريكية بالموضوع ، فلن يستخدموا رجالهم مباشرة فقد يقوم الامريكان بالاتصال ببعض الفئات المعارضة ضمن الجيش العراقي ويحفزونهم بوعود بالسلطة ، وهذا ، كما تعلم ، هو ما يجري اعتيادياً . فمن ناحيته سيتمكن بوش من القول بأن العملية هي عراقية وليست امريكية» .

- «وكيف كان لك أن تسمع بهذه المحاولات» . تساءل دارتنغتون ،

- «لي علاقات واسعة في الاستخبارات ، كما تعلم . فمثلاً جاء تقرير في الصحف عن تصفيات في صفوف قادة الجيش العراقي»

- «وهل كان التقرير صحيحاً»

- «نعم ، وقد اشرف صدام بنفسه على عملية توقيف وتعذيب عدد كبير من قادة جيشه ثم قام بقتل البعض منهم بنفسه رمياً بالرصاص . كان من بينهم بعض المتآمرين في احدى المحاولات الانقلابية التي ذكرتها» .

- «وماذا عن الضباط الابرياء»

- «لقد قُتلوا . هذا هو اسلوب صدام المعروف ، فهو يحب أن يخلق جواً من الارهاب ، وهو مستعد لان يقتل اياً كان من اجل الحفاظ على نفوذه . هذا هو اسلوبه حتى مع المقربين اليه مثل وزرائه وحتى افراد اسرته . بل يمكننا القول بأن المخاطر على حياة المقربين اليه هي اكبر . فكان قد تخلص من معظم مؤيديه المخلصين لمجرد بروزهم سياسياً او لحصولهم على درجة ، مهما كانت صغيرة ، من النفوذ . قتل احد اعضاء وزارته اثناء انعقاد مجلس الوزراء ، ويمكنك أن تقدر تأثير ذلك على نفسية الوزراء الآخرين . فهو يعتقد بأن الارهاب هو الاسلوب المفضل للحكم وهو يلجأ الى هذا الاسلوب بدون تردد . ومن المعروف ، فان البقاء في العهد الصدامي ، كان من نصيب اولئك الضعفاء الذين ينصاعون دائماً لرأيه لان صدام يعتبر الذين يجد فيهم الذكاء والمقدرة على انهم

قد يشكلون خطراً على حكمه . وهذه احدى اسباب بقائه السياسي» .

- «اذن كيف ستنفذون العملية؟ لم اجد اية تفاصيل عن ذلك في تقريرك»

- «لقد تعمدت ذلك لاسباب امنية ، فهذه اجراءات ضرورية في حالة انكشاف امرنا ، وعليك انت ايضاً أن تتخذ مثل هذه الاجراءات»

ظهرت على دارتنغتون علامات الارتياب واستمر في الحاحه . «مع ذلك ، فمن حقي أن اتمكن من تكوين فكرة في ذهني عما ستقوم به»

حين سماعه لهذا الكلام ايقن هاورد بأن دارتنغتون هو ليس المحرك الاساسي من وراء العملية فاجاب بحذر :

- «سيكون فريقنا صغيراً . وسيكون اسلوبنا هو أن نضرب ضربة سريعة بحيث نقضي اقل فترة ممكنة داخل العراق وسنلجأ الى التحايل والخداع بدلاً من المواجهة المباشرة وطبعاً سنحاول الخروج دون علم احد بنا . اعتذر يا پيتر ، الا انني اعتقد بأني يجب أن اكتفي بهذا القدر من الشرح عن العملية» .

هز دارتنغتون برأسه وغيّر من اتجاه اسئلته وقال «وماذا عما ذكرته في تقريرك عن هؤلاء «الاشباه» لصدام؟ اتعتقد بأن في ذلك اشكالاً؟»

- «نعم ، فان هذه مشكلة . فعلى حد علمي ، لصدام اثني عشر شبيهاً يستعملهم بين فترة واخرى . يبعثهم للتجول في الاماكن العامة ، ليتمكن الناس من مشاهدته اثناء ما يكون هو متغيباً في مكان أمين ، وهناك من بين هؤلاء الاشباه من يشبهه اكثر من غيره اما اثنان منهم فيشبهانهه تماماً . فمثلاً هل تذكر التقرير التلفزيوني عن صدام وهو يتحدث الى جنوده داخل الكويت ما بعد الغزو؟»

- «نعم ، اذكر ذلك . هل تعني بأن . .؟»

- «صحيح ، فلم يكن ذلك صداماً ، بل كان احد اشباهه ، اما صدام فيتخذ اجراءات امنية مشددة للغاية والاهم من ذلك ، فلن يسمح لاحد من جنوده أن يحمل سلاحاً بحضوره وقد كان هؤلاء الجنود مسلحين . بالاضافة الى ذلك ، فان صدام يحمل مسدسه اينما ذهب ، اما الرجل الذي شاهدناه في الكويت فلم يكن يحمل سلاحاً» .

- «وكيف عرفت بوجود هؤلاء الاشباه؟»

- «لقد اخبرني احد اصدقائي في الاستخبارات حين التقيت به ايام حرب الخليج

عن اخصائيين في جراحة التجميل» .

- «جراحي تجميل؟»

- «جراحين ، احدهما ألماني والآخر سويسري . وقد عرضت عليهم اجوراً ضخمة لاجراء عمليات جراحية في فرنسا حيث اختفيا . وعلمت المخابرات الاسرائيلية فيما بعد من احد مخبريهم العراقيين والذي كان طبيباً ، بانهما قد رحلا الى بغداد حيث اجريا العمليات الجراحية لاشباه صدام ، ويعتقد بانهما قد قتلا بعد ذلك . وتزامنت هذه الفترة مع فترة ورود الاشاعات عن وجود اشباه لصدام ويقال بأن احدهم يمتاز عن كل الآخرين بشبهه له لحد أنه من الصعب تمييزه حتى من صوته . الا أن الاشباه يمنعون دائماً من حمل السلاح» .

هز دارتنغتون برأسه وهو يقول بدهشة :

- «فكيف اذن ستتمكن من الوصول الى صدام؟»

- «هذا هو ما قصدته في الفقرة الاخيرة من التقرير يا پيتر . فلن أتمكن من الوصول اليه دون معلومات دقيقة عن تحركاته . وبدون هذه المعلومات ستكون المهمة مستحيلة»

- «أهذا ما قصدته في تقريرك عندما قلت بأنك تود التحدث مع «رئيسي»؟»

- «لنكف عن المخادعة يا پيتر . اني على يقين بأنك لست وراء هذه العملية . فهذا ليس اسلوبك بالتعامل . ثم انك ، على الرغم من كونك رجلاً ثرياً ، إلا انك لست بالثراء الذي يمكنك أن تدفع لاحد عشرة ملايين جنيه استرليني بدون اي تردد وبدون تدوينها ضمن مصروفات مؤسستك . علماً ان ليس هنالك اي تأثير لسياسة صدام على مصلحة مؤسسة داركون وهذا يعني بأن هناك شخصاً آخر او مؤسسة اخرى من وراءك . وبما انك ، حسب علمي لا تتعامل مع جهات مشبوهة ، فالاحتمال الوحيد حسب رأيي ، هو انك تعمل لحساب الحكومة البريطانية وانني متفهم لعدم رغبتهم بالتخلص من صدام باستعمالهم أجهزتهم الرسمية» .

واستمر هاورد في حديثه : «وكل الذي اريده منك هو أن تعطيني فرصة للتكلم مع المسؤول المباشر . هذا لا يعني بأني سأضطر للقائه - يمكننا التحدث هاتفياً . عندي سؤال واحد اريد توجيهه له ويستحسن الا تكون انت موجوداً لاسباب امنية ، فبكل بساطة يجب أن احصل على معلومات دقيقة عن تحركات صدام . احتاج أن اعرف

المكان والزمان المناسب لتنفيذ العملية وانني اشك بقابليتك على تزويدي بمثل هذه المعلومات ، ولو تكلمت مع المسؤول المباشر للعملية ، لتمكن من مساعدتي بكل تأكيد» .

نظر اليه دارتنغتون لفترة طويلة ثم قال :

- «حسناً ، لقد كنت أتوقع بأنك ستدرك حقيقة الامر عاجلاً أم آجلاً . انك على حق فأن هناك من هو وراء العملية ولكنني لن اتمكن من اخبارك اكثر من ذلك فقال هاورد «لقد اتفقنا اذن سيتصل بي احد من المسؤولين هاتفياً وسأستلم المكالمة على جهاز الهاتف المتنقل الذي يعود لمؤسستك من اجل الحفاظ على السرية . اطلب منهم أن يتصلوا بي يوم الاثنين ما بين الساعة الثامنة والساعة التاسعة صباحاً ، واخبره بأن اسمي السيد هاتچر ويجب أن يعرف نفسه بي بأسم السيد جثرو» .

اتفق مع دارتنغتون الذي ردد «حسناً سافعل ذلك» .

قال هاورد «هذا جيد ، هناك شيئ آخر اريده منك وهي موافقتك على ان اقوم بالسطو والسرقة لهذا المنزل»

اندهش دارتنغتون وقال «ولماذا تريد ذلك؟»

- «بالدرجة الاولى ، من اجل حمايتك . فسأحتاج معلومات يمكن لمؤسستك داركون توفيرها من اجل تسهيل امورنا في السعودية ، الا أن ذلك سيثير الشبهات حول داركون اثناء التحقيق . ولذلك فستحتاج الى تفسير لحصولنا على المعلومات من داركون يرضي رجال الامن دون توريطكم بالعملية . والتفسير سيكون بأن المعلومات كانت قد سرقت منك . سأتصل بك فيما بعد لتحديد الموعد . ويستحسن أن تكونوا انت وزوجتك خارج المنزل اثناء قيامنا بعملية السرقة ، الا أن هذا لا يعني بأن المنزل يجب أن يكون خالياً من الناس فلا بأس اذا كانت الخادمة موجودة في غرفتها . اريد منك أن تترك لي بعض الاشياء الاخرى لغرض التمويه . ارجو أن تخبر الشرطة المحلية حال معرفتك بالسرقة»

- «انسيت بأنني انا الذي وضعتها؟ اطمئن فلن تكون هذه مشكلة»

حدد هاورد الملفات التي سيحتاجها من اجل أن يضعها له على الطاولة حسب الاتفاق ، ثم نهض وغادر المنزل .

٩

خرج هاورد من منزله صباح الاثنين ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) واستقل سيارته قاصداً مركز لندن . وحين وصوله منتصف الطريق توقف وسط الزحام الشديد وامامه الوف السيارات تزحف ببطء بإتجاه المدينة كعادتها في اوقات الدوام . كان هاورد قد تعمد ذلك اذ كان يرغب أن تكون سيارته محصورة بين مئات السيارات الاخرى ما بعد الساعة الثامنة ، موعد مكالمته مع السيد جثرو ، وذلك من اجل التمويه على مصدر المكالمة فيما اذا كانت ستتعرض للرصد الالكتروني . وبعد الساعة الثامنة بدقائق قليلة ، رن صوت الهاتف المتنقل وأجاب هاورد :

– «هنا السيد هاتچر . من يتكلم رجاءً؟»

– «انا السيد جثرو . لقد أخبرني زميلي بأنك تريد مكالمتي»

– «شكراً يا سيد جثرو . اعتقد انك ستتمكن من مساعدتي فكما تعلم ، فقد كُلِّفت بالقيام ببعض الاعمال التي تخصك في الخارج ، الا انني سأحتاج الى بعض المعلومات المهمة من اجل القيام بالعمل فأنني أواجه مشاكل كبيرة في العثور على الشخص الذي سنحتاجه ويجب على أن اعرف عنوانه وموعد تواجده فيه قبل شهرين من الموعد على اقل تقدير لاتمكن من ترتيب اجراءات السفر . فهل يمكنك أن تخبرني بشكل مفصل عن موعد ملائم؟»

– «سأحتاج الى بعض الوقت للحصول على هذه المعلومات يا سيد هاتچر . سأتصل بك الاسبوع القادم بنفس الوقت اما اذا تعذر علي ذلك فسيكون الاتصال في الاسبوع الذي يليه» .

– «شكراً جزيلاً . سأنتظر مكالمتك اذن»

– «مع السلامة يا سيد هاتچر»

انتهت المكالمة وجلس هاورد في سيارته يفكر بالمكالمة السريعة هذه ، وبالصوت الخشن الذي إستمع اليه . صوت السيد جثرو جاء مشوهاً لاستعماله اجهزة الكترونية خاصة بهذا الغرض ، وعلى الرغم من ذلك فقد ايقن هاورد بأنه كان يكلم رجلاً قوياً وصاحب نفوذ واسع مما أكد له بأن السيد جثرو يمثل جهة حكومية وانه بالاضافة الى ذلك رجل حذر لانه اراد اخفاء صوته الحقيقي . وضع هاورد الهاتف جانباً وتوجه الى ناديه للقاء احد اصدقائه على موعد الغداء . .

***

أغلق روجر أشَرْ جهاز التلفون ثم اغلق جهاز تمويه الاصوات الالكتروني ، وبدا عليه التوتر . لم يكن يتوقع كل هذه التعقيدات . كان عليه الاتصال بالوزير مرة اخرى وكانت هذه عملية شاقة خصوصاً وأن الاتصال يجب أن يتم بشكل شخصي دون أن يكلف مكتبه بذلك .

***

وصل هاورد الى ناديه بعد تجواله في اسواق لندن ، ليلتقي بصديقه على موعد للغداء وكان صديقه قد وصل قبله وجلس بانتظاره في البهو . شاهده من بعيد فرحب به هاورد قائلاً :

- «اهلاً يا هنري كيف حالك يا عزيزي؟»

الميجور هنري ستونر رجل في مطلع الخمسينات من عمره وأحد زملاء هاورد في الجيش . يمتاز بقابلية في الرماية لذلك فقد كُلّف بتدريب فرق الرماية المحلية والدولية في نادي الرماية في «بيسلي» . جرهم الحديث الى الذكريات القديمة وبعض المواقف الحرجة التي مرا بها ، فقد كانا يكنان الود والاحترام لبعضهما رغم سنوات الفراق بعد التقاعد . وتغير الموضوع بالتدرج ، كما كان متوقعاً ، الى الرماية ، اذ كان ستوفر من عشاق هذه الرياضة ولن يمل ابداً من الحديث عنها .

- «لقد تطورت تكنولوجية الرماية بشكل سريع في الاعوام الاخيرة يا إد ، ودخلت الكثير من الأجهزة المتقدمة لتحسين المستوى»

- «ألا تعتقد بأن هذه هي خسارة؟ في السابق كان الرماة يعتمدون على مهاراتهم الشخصية للوصول الى دقة في التصويب»

- «أما هذه الايام ، فالعكس صحيح حيث يحتاج الرماة الى مقدمة كبيرة وعليهم تنمية قابليتهم ضمن اطار التكنولوجيا الحديثة ، ويتفوق منهم اولئك الذين لهم قابليات طبيعية في التسديد»

- «اخبرني اذن ، كيف تقوم انت باكتشاف هذه القابليات؟ هل تتجول بين ساحات الرماية العسكرية باحثاً عنها؟»

- «لا بالعكس . فأصحاب القابلية المتميزة ينجذبون الى «بيسلي» عاجلاً ام آجلاً حيثما نتمكن من تقييمهم ومعرفة الموهوبين منهم . المشكلة التي تواجهنا هذه الأيام هي الانخفاض الكبير في المستوى بشكل عام بسبب تقليص الميزانية العسكرية . وفي هذه الايام تجد بأن المدنيين بدأوا يتفوقون على العسكريين في هذا المجال ، ففيهم عناصر مدهشة حقاً» .

- «وتقوم انت باكتشاف هذه المواهب؟»

- «طبعاً لقد اكتشفت العديد من الموهوبين عبر السنين الماضية ، وابذل جهدي لتشجيعهم على ممارسة هذه الرياضة بجد وللاكثار من تدريباتهم . الا انني قد لا انجح في ذلك دائماً»

- «ماذا تقصد بذلك؟»

- «مثلاً ، اخبرني صديق لي عن شاب اسمه ماكدونالد وهو يعمل كصياد غزلان محترف . وطبعاً ، فان الصيادين هم في العادة رماة مهرة ، الا أن هذا الشاب يبدو عليه انه متميز في قابليته . كتبت اليه لاطلب لقاؤه ولم يرد على طلبي . هو يسكن في سكوتلندا طبعاً وكم كان بودي أن اتمكن من اختباره بنفسي»

قال هاورد «اخبرني عنه بالتفصيل»

***

انهى الوزير مكالمته مع أشَرْ وكان يبدو عليه بعض القلق . فلم يكن مرتاحاً من اتصال أشَرْ به وهو في منزله ، الا أن الامر كان لا بد منه ، وانه لا يريد الدخول بمثل هذه المجازفات في المستقبل ، اذ اصبح الآن بمقدوره ان يتصل مباشرة بالسيد هاتجر بعد أن حصل على رقم تلفونه من أشَرْ وكان يعرف كيف يمكنه مساعدة السيد هاورد .

***

مضى يومان على اتصال أشَرْ بالوزير ، ودخل الى مكتبه الخاص مراسل يحمل رسالة خطية من الوزير واصر على تسليمها ليد السيد أشَرْ مباشرة ، وعندما منعته السكرتيرة من ذلك ، اصر على موقفه وقال :

- «اخبرني السيد اشر بأن القضية متعلقة بالسيد جثرو» .

كانت السكرتيرة متخوفة من ازعاج السيد أشَرْ لما قد ينجم لها من متاعب بسبب ذلك فقالت :

- «حسناً سأخبره ، الا انني استطيع أن اؤكد لك عدم الجدوى من ذلك»

تبين لها على الفور بأنها كانت على خطأ ، فقد طلب أشَرْ مقابلة المراسل واستلم الرسالة منه ثم طلب منها أن تغادر مكتبه . وبعد عشر دقائق ، طلب منها ترتيب سفره على متن طائرته الخاصة الى جبل طارق صبيحة اليوم التالي .

- «جبل طارق يا سيدي؟ طبعا ، هل تريد أن اخبر جوزيف؟»

- «لا ، سوف لن يرافقني جوزيف»

- «حسناً ، ساقوم بالترتيبات فوراً»

قام أشَرْ بعد ذلك بحرق رسالة الوزير في وعاء زجاجي ، في مكتبه .

***

بعد اربعة ايام ، في جبل طارق استلم أشَرْ مكالمة هاتفية من الوزير . مرة اخرى هناك تغيير في الخطط . انزعج لسماعه بالخبر فقد كان عليه حضور عدة اجتماعات مهمة في اليوم الثاني في لندن ، الا أن الامر هو في غاية من الاهمية . اتصل بقبطان يخته «الاميرة شهرزاد» الذي كان جاثماً في الميناء القريب من فندقه وطلب منه أن يجري الترتيبات اللازمة للسفر الى «تَنَرِيفْ» ، في جزر الكناري .

١٠

كان دارتغتون في قلق شديد يوم الثلاثاء المصادف ٥ تشرين الثاني (نوفمبر)، بعد سماعه لنشرة الاخبار الصباحية وكان قد اتصل بمكتبه واخبر سكرتيرته بأنه مريض وطلب منها الغاء كافة مواعيده، ثم جلس لوحده في البيت يفكر بالامر. هل يتصل بهاورد؟ لا فان ذلك قد يثير الشبهات، فقرر أن يترك الموضوع لفترة.

عند المساء جاء مراسل الى بيته يحمل له رسالة سلمها الى زوجته. فدخلت عليه وهو جالس في مكتبه «وصلتك هذه الرسالة يا عزيزي»

- «رسالة؟ ممن تكون؟»
- «لا علم لي»

فتح دارتنغتون المظروف بسرعة ولم يجد عنواناً ولا توقيعاً او تاريخاً للرسالة التي تكونت من بضعة اسطر مطبوعة.

«سير بيتر: سيكون قلقك حول احداث الاربع وعشرين ساعة الماضية امراً مفهوماً. اكتب اليك لتتأكد بأن الاتفاقية ما زالت قائمة وعليك الا تقلق على شيء. سننفذ المشروع حسب الاتفاق».

١١

في صباح يوم الاثنين الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) كان هاورد في سيارته وسط الزحام الكثيف كما كان في الاسبوع الماضي ينتظر مكالمة السيد جثرو ولم يتوفق هذه المرة . في الاسبوع التالي رن جرس الهاتف حوالي الساعة الثامنة والنصف واجاب كما فعل في السابق

– «هنا السيد هاتچر . من يتكلم رجاءً»

– «انا اتكلم بالنيابة عن السيد جثرو ، انا احد معاونيه»

اندهش هاورد لسماعه الصوت الجديد كان الرجل يتكلم بلهجة انكليزية كلاسيكية وبدون جهاز التشويه الالكتروني وكان صوته هادئاً ومتزناً .

– «ارجو الا تمانع بنيابتي عن السيد جثرو»

وقال هاورد «لا بالعكس . يفترض بأن السيد جثرو قد اخبرك بأني بحاجة الى معلومات متعلقة بزميلنا الذي تريدون الاتصال به في الخارج»

– «لقد اخبرني فعلاً وقد كان طلبك معقولاً ، اذ أن زميلنا يصعب الاتصال به . الا أنه سيكون متواجداً في قريته لحضور اجتماع يوم ٢٨ نيسان (ابريل) القادم . سيكون الاجتماع ضخماً ونحن على أمل بأنك ستكون هناك لحضور الاجتماع واللقاء به» .

إرتاح هاورد لسماعه الخبر . فقد حصل اخيراً على ما كان يريده – المكان والزمان – وما بقي عليه الا أن يعثر على هذا المكان في احدى خرائط العراق .

– «في قريته يوم ٢٨ نيسان (ابريل) . اشكرك ، هل لديك معلومات اخرى؟»

– «سيحضر الاجتماع بعض الممثلين عن شركات اخرى ، كمراقبين فقط . يمكنك اهمالهم تماماً . هذا هو كل ما اتمكن قوله الان» .

– «اشكرك ، لا شك ان هذه المعلومات كافية . سأنظر بالموضوع واعتقد بانني سأتمكن

من حضور الاجتماع . ارجو أن تتصلوا بي انت او السيد جثرو باستمرار ، كما في السابق ، فقد احتاج معلومات اخرى . في حالة عدم اجابتي فسيعني ذلك بأن الامور تسير على ما يرام . وارجو منك ومن السيد جثرو كتمان سر الاجتماع»

- «لا تقلق على شيء يا سيد هاتچر فسنعاود الاتصال بك . شكراً على مساعدتك»

جلس هاورد يفكر بحديثه مع «معاون» السيد جثرو . لقد كان بكل تأكيد يمثل الحكومة وكان هاورد يرغب بسؤاله عن سبب عدم قيام الحكومة نفسها بمهمة اغتيال صدام حسين . فلو كانوا على ثقة بمكان وزمان تواجده ، كان بامكانهم ضربه بصاروخ «كروز» بكل بساطة ، الا أن هذا العمل يسبب لهم احراجات سياسية كبيرة . وقد نوه «المعاون» باحتمال وجود دبلوماسيين اجانب في محل «الاجتماع» ونوه ايضاً بانهم لو تعرضوا لخطر او حتى للقتل ، فلا مانع لديهم من ذلك . الى هذه الدرجة يريدون التخلص منه!

ثم فكر هاورد بموضوع التاريخ ، ولم يعرف المناسبة . عيد الجيش؟ كلا فسيكون ذلك يوم ٦ كانون الثاني (يناير) . عيد الثورة؟ يوم الحزب؟ كلا . كان عليه أن يدقق في هذا الموضوع . شعر هاورد وهو يتوجه بسيارته الى بيته بحماس كبير بعد أن وصلته المعلومات التي كان بانتظارها . لقد ابتدأت العملية وتحددت ساعة الصفر .

١٢

وفي ليلة الاربعاء من نفس الاسبوع قام هاورد بزيارة قصيرة لدارتنغتون في منزله في مقاطعة «كَنْتْ» من اجل الاتفاق حول جدول الاعمال للفترة القريبة القادمة . واتفقا على أن يغادر دارتنغتون منزله مساء يوم الثلاثاء المصادف ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) وان يترك الملفات التي كان قد طلبها هاورد على طاولة مكتبه . ثم استفسر هاورد عما اذا كان لدارتنغتون اية مشاريع سفر في العام المقبل .

- «نعم ، في الحقيقة كنا نخطط للسفر الى جزر الباهاما لفترة ثلاثة اسابيع اثناء شهر أيار (مايو) القادم» .

- «وهل يمكنك تغيير موعد سفرك بعض الشيء الى الاسابيع الثلاثة الاخيرة من نيسان (ابريل)؟ فالامر في غاية من الاهمية» .

- «لا يا إد ، فقد اتفقنا مع عدد من الاصدقاء على السفر في مجموعة واحدة» .

- «الا أن الامر مهم جداً . يجب الا تكون موجوداً في هذه الفترة لتتمكن من اجتناب بعض الاسئلة المحرجة التي قد تثار حول علاقتنا بمؤسستك ، ولذلك فعليك أن تخبر مكتبك بأنك بحاجة ماسة الى الراحة والاستجمام وبأنك لا ترغب بالاتصال باحد الا في حالات الضرورة القصوى . وسيفترض الجميع بأنك قد وافقت على اجراءات جديدة دون أن تخبرهم وستتمكن انت من نكران ذلك تماماً عند عودتك . بذا تكون قد برأت ساحتك من العملية تماماً» .

- «حسناً ، سأفعل ما تريد»

ادرك دارتنغتون على الفور بأن عملية الاغتيال ستتم في فترة ما في نهاية نيسان (ابريل) ، وسرعان ما بدأ يرتاح لفكرة غيابه عن المؤسسة في تلك الفترة بالذات . وقرر

ايضاً أن يلغي مشروعه للسفر على متن يخت خاص وان يحجز لنفسه غرفة في احد الفنادق ، خصوصاً وأنه كان متخوفاً من فكرة اليخت .

١٣

وفي يوم الخميس ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ، كان هاورد واقفاً في قاعة الانتظار في مطار هيثرو ليستقبل صديقه ، مايك زيغلرالذي قدم الى لندن من لوس انجلوس . كان لقاؤهما مشحوناً بالود ، اذ كانت علاقة الصداقة الحميمة التي تربطهما تعود الى اكثر من عشرين عاماً حين كانا قد التقيا في عملية تدريب مشترك بين جيشيهما . وبعد فترة قصيرة من تبادل الاخبار والذكريات السريعة وحينما كانا في السيارة يتجهان الى لندن بدأ مايك بالتساؤل عن سبب استدعائه الى لندن .

لم يفصح هاورد عن التفاصيل واكتفى بالقول بأن العملية في غاية من الاهمية والخطورة ثم قال له : «حاول أن تحزر بنفسك . فمن هو اكثر شخصيات العالم ظلماً ويريد الجميع التخلص منه؟»

نظر مايك الى هاورد وعيناه تبرقان وقال بحماس :

- «صدام؟ هل سنقوم نحن بزيارته اذن؟»

- «لقد حزرت»

وبدأ هاورد بشرح خلفية العملية دون أن يذكر اسم دارتنغتون واشار اليه بأسم «صاحبنا» ، الا أنه افصح عن شكوكه حول هوية المحرك الفعلي من وراء العملية وابدى زيغلر رضاه عما سمعه وقال :

- « وماذا عن الاشخاص الذي كلمتهم بالهاتف؟ من هم هولاء؟»

- «لا اعرف ، كل الذي اتمكن من قوله أن السيد جثرو هو شخص متنفذ للغاية ، ويجب أن يكون كذلك اذا كان قد وضع «صاحبنا» في جيبه ، اما الآخر ، معاونه ، فلم أتمكن من معرفة أي شيء عنه ، أنه رجل يتكلم بلهجة انكليزية باردة ، بارد ، ولا يبدو عليه بأنه معاون لأي كان . قد يكون مسؤولاً حكومياً رفيعاً ومن المحتمل جداً أن يكون

مرتبطاً باجهزة الاستخبارات ، على كل حال ، فمن الواضح بأن هناك ارتباط حكومي بالموضوع ، والا لما دخل بها «صاحبنا» .

- «اتفق معك ، فما هو العمل الان؟ كيف سننفذ هذه العملية؟»

- «سأشرح الخطط لك حينما نلتقي بالآخرين ، كنت اريد توضيح بعض الامور قبل وصولنا»

- «تفضل»

- «اولاً ، اريد أن اضع جوني بورن كنائب لي في هذه العملية ، اعتيادياً يكون هذا هو دورك ، الا أن جوني له اطلاع واسع في المنطقة وسنكون بحاجة ماسة الى ارشاداته ، وهو الوحيد ، ما عداك ، الذي كان قد اطلع على موضوع العملية» .

- «لا مانع لدي من ذلك»

- «ثانياً ، هناك شخصان لا تعرفهما انت ، سيعملان معنا وهما أندي دينارد وكريس پالمر»

- «بماذا يتخصصان؟»

استمرا بالحديث الى أن وصلا الى شقة هاورد في «وندزورث» حيث التقيا بالآخرين .

***

نظر هاورد من حوله الى الرجال السبعة المجتمعين في بيته وقال :

- «لقد اخترت كلاً منكم لكونه يتمتع بأعلى درجات الكفاءة في مجال تخصصه ، أما عن موضوع العملية فلا يعرفه احداً منكم سوى جوني ومايك ، فقد اخبرتكم بأنها عملية ضخمة وبأن المكافأة لكم كبيرة جداً وبأنها من الصعوبة بحيث أن احتمالات نجاحها ليست اكثر من خمسين في المئة .

وسأقول لكم الآن بأن احتمالات خروجنا من ساحة العمليات بسلام هي اقل من ذلك . فهل يريد احد منكم الانسحاب؟»

- «والعملية ، هل تعتبر اجرامية؟وما هي احتمالات السجن في حالة القاء القبض علينا؟» كان المتكلم بوب أوشر وهو رجل في نهاية الثلاثينات من العمر ، وكان قد قضى مع هاورد ستة اشهر في احد سجون تركيا فقد كان متخوفاً من احتمالات الحبس

خصوصاً وانه كان قد عانى الكثير في تركيا حيث تدهورت صحته لسوء التغذية وفقد معظم شعر رأسه بسبب نقص في الفيتامينات .

- «اخشى بأن علينا مخالفة بعض القوانين الصغيرة هنا في بريطانيا ، الا أن هذه لا تدعو الى القلق . اما حيث نحن ذاهبون فسنواجه مصيراً مؤلماً لو ألقي القبض علينا . الا اننا سنكون قد أدينا خدمة للجميع .»

- «من ناحيتي سأقول بأنكم اذا كنتم مقتنعين بالامر انت ومايك وجوني فسيكون الامر مناسباً لي ايضاً ، يا سيدي» . كان المتكلم الجديد ميْل هاريس ، الذي كان قد تصدى للارهابيين الثلاثة في ايطاليا ، وهو مثل أوشر ، كان يعمل مع هاورد في وحدة القوات الخاصة في الجيش البريطاني SAS .

- «شكراً يا ميْل ، وماذا عنك يا توني»

- «ادخلني في القائمة ياسيدي ، فسأحتاج الى استراحة من زوجتي ، ولعل هذا المشروع سيوفر لي بعض الاسابيع بعيداً عن ازعاجاتها» . كان توني اكفورد رجلاً عملاقاً مفتول العضل ، خدم خمسة عشر عاماً في الفرقة الخاصة (SAS) وكانت زوجته امرأة ايرلندية اشتهرت بين اصدقائه بحدة اعصابها ، مما جعلها تطغى عليه دائماً رغم قصرها ونحافتها .

- «حسناً يا توني . ولكن ماذا ستفعل بك عند عودتك؟»

- «سأهديها باقة كبيرة من الزهور ، فهل لديهم زهوراً حيثما نحن ذاهبون؟»

- «اشك بذلك»

التفت هاورد الى الرجلين الاخرين وقال لهما «وماذا عنكما يا أندي وكْرِس؟» وقد كان أندي دينارد وكْرِس بالمر الوحيدين اللذين لم يكونا يعملان في شركة هاورد . كان هاورد قد اتصل بدينارد في بيته في زيمبابوي وكان الاخير قد اقترح اصطحاب صديقه بالمر لما كان يتمتع به من قابليات كميكانيكي للطائرات ، وسبق له وان كان زميل دينارد في فرقة الكشافة في الجيش الروديسي اثناء حرب التحرير في زيمبابوي .

تكلم دينارد وقال «اعتقد بأن العمل سيناسبنا ، فقد سئمت من العمل كطيار سياحي في جنوبي افريقيا» .

كان هاورد مرتاحاً من نتائج لقائه الاول برجاله فقد وافقه الجميع على مبدأ الدخول

في العلمية . اما الاجور فلم تكن بالنسبة لاحد منهم ذات اعتبار مهم فلم يكونوا مرتزقة . اما هو فكان يختلف عنهم بهذا الشأن ، اذ أنه كان متلهفاً للتخلص من ديونه الضخمة تجاه زوجته السابقة ، كلير ، ولم يتمكن هو الاخر من النظر الى هذه العملية على انها تجربة مثيرة ليس الا .

- «حسناً يا شباب ، هذا هو المخطط» .

شرح الموضوع بعبارات مختصرة قليلة وكانت ردود الفعل تتراوح ما بين الدهشة والعجب ، اما توني أكفورد فلم تظهر على وجهه اية علامات على الاطلاق ، وقال هاورد :

- «لا توجد اية مقارنة بين هذه العملية وخبرتنا العسكرية ، فسنفتقد الى الدعم والتموين ولن تتاح لنا فرصة للتخفي ويجب علينا الدخول والخروج مستخدمين التحايل كأسلوب ، الا انني اعتقد بأن النجاح سيحالفنا» .

اخرج هاورد سبعة مغلفات سميكة واعطى واحدة الى كل من الحاضرين وقال : «هناك عشرون الف جنيه استرليني في كل مغلف اريد أن يقوم كل منكم باستعمال نصف المبلغ لشراء سيارة مستعملة لا يزيد عمرها على السنتين على أن تكون سيارة متينة ولا تجذب الانتباه . اريدكم أن تقوموا باجراءات التسجيل بأنفسكم ، مستعملين اسماء مستعارة ويجب عليكم استعمالها لانجاز اعمال متعلقة بالعملية فقط وليس لاغراضكم الخاصة . لا تخبروا شركات التأمين عن وجودها بل قوموا بشراء غطاء تأمين لتشمل كافة السيارات ، وبذا لن تخالفوا القانون . لا توقفوها بالقرب من بيوتكم ، اما عن كيفية التخلص منها فسنتكلم فيما بعد» .

- «اما جوني فهو الوحيد الذي يحتاج الى شراء سيارة جيب وسيحتاج الى عشرين الف جنيه لذلك الغرض . وتعتبر بقية النقود مخصصة لمصاريفكم اليومية ، الا انني ارجو الا تصرفوها ببذخ وان تبتعدوا عن الاماكن الليلية» . والآن اريد منكم ان تفتحوا المغلفات الاخرى» .

وسلمهم هاورد المغلفات كان يحمل كل واحد منها اسم احد أعضاء الفريق ، وكانت تحتوي على قوائم للمشتريات والاعمال وبعض النقود يتناسب مقدارها مع الاحتياجات في كل من القوائم . التفت اليهم هاورد وقال :

- «انت يا ميْل لديك مهمة صغيرة يجب انجازها في الاسبوع القادم ، ثم ستقوم بعد ذلك باصطحاب أندي الى الولايات المتحدة . وبما انك قد قضيت بعض الوقت في ولاية تكساس فاقترح أن تبدأوا هناك بمهمتكم المشتركة وهي أن تلاقوا طياراً يشبه أندي في مظهره قدر الامكان . ولهذا الشبه اهمية بالغة تطغى على اخلاقه او شخصيته وحتى على نزاهته ما دام أنه يتمتع باجازة طيران نافذة المفعول . اعطوه عشرة آلاف دولار كدفعة اولية ووقعوا معه عقداً على استلامه تسعين الف دولار عند انتهاء المهمة . لا تخبروه عن تفاصيل المهمة ولا باسمائكم الحقيقية ، سنكون بحاجة الى تواجده معنا في شهر أيار (مايو)» .

ثم التفت هاورد الى زيغلر وقال :

- «اما انت يا مايك ، فعليك التوجه الى الولايات المتحدة ايضاً ولكن من اجل شراء بعض الاجهزة المتقدمة والتي يمكن شراؤها بسهولة هناك ، وسيخبرك جوني فيما بعد عن اجراءات الشحن الى بريطانيا» . واضاف

- «انت يا كْرِس ، عليك أن تبدأ فوراً باطالة لحيتك ، وستعمل لوحدك الى أن نتمكن من مساعدتك بعد اكمال بعض الترتيبات التجارية . فعليك اولاً أن تجد طائرة ركاب صغيرة للبيع او للتأجير . وسيقوم جوني بعلمية التمويل لانها ستكون اغلى مشترياتنا ولن نتمكن من دفع الاجور نقداً . يبقى امامي أن اقوم شخصياً بمهمة كبيرة ، فمشكلتنا هي أن فريقنا ما زال يفتقر الى رجل يتمتع بقابلية تخصصية معينة . واذا كان بعضنا يمتلك هذه القابلية ، فالرجل الذي نبحث عنه هو متخصص على مستوى رفيع جداً وهو المستوى المطلوب لانجاح العملية . فسنحتاج الى قناص من الدرجة الاولى» .

اظهر الرجال تأييدهم لما سمعوه من هاورد وازداد تقديرهم لجهوده حينما اخبرهم بأنه سيلتقي بقناص عما قريب من اجل مفاتحته بالموضوع ، ويعرض عليه أن ينضم الى الفريق . الا أن أحد أعضاء الفريق ، توني أكفورد كان يبدو عليه بعض القلق وهو يتمعن بقائمة المشتريات التي كان قد استلمها في مغلفة الثاني . التفت فجأة الى هاورد واستفسر منه :

- «لم كل هذه المشتريات يا سيدي؟ ماذا سنفعل بقارب صغير وسط الصحراء؟ وهناك ايضاً كثير من الاشياء المحيرة الاخرى مثل ازياء الغطس ومجداف واجهزة تكييف

الهواء وعشرة اطنان من القطع الكونكريتية واربعة اطنان من المارجرين وحاوية مجمدة واحدة كبيرة بطول اربعين قدماً . . لماذا بحق السماء؟»

كان هاورد مدركاً بغموض قائمة أكفورد وكان متهيأ لمثل هذا السؤال فأجاب وهو يرفع صوته فوق اصوات ضحك الرجال قائلاً : «فاتك أن تذكر الثلاثة اطنان من الخضار المجمدة فسوف تقوم بتهيئة وليمة من لحم الجمال لنحتفل لوحدنا في الصحراء» .

ثم انتظر قليلاً لغاية ما انتهى الاخرون من الضحك وبدأ يشرح تفاصيل قوائم مشتريات أعضاء الفريق .

١٤

تلقت السيدة وبستر ، سكرتيرة دارتنغتون مكالمة هاتفية في مكتبه صباح يوم الجمعة ، كان المتكلم شخص فض يريد التكلم مع «پيتر» ويقصد السيد دارتنغتون نفسه... استاءت السكرتيرة لهذا الاسلوب من الكلام وجربت التخلص منه الا أنه ألح عليها قائلاً :

– «انها قضية مهمة يا حبيبتي» .

ازداد استياء السكرتيرة فما كانت لترضى لنفسها أن يكلمها احد بهذا الاسلوب . واستمر المتكلم في قوله :

– «يجب أن التقي به قريباً ، وبإمكاني لقاؤه في منزله اذا كان ذلك مناسباً . سيتعذر عليّ ذلك هذا الاسبوع ، مع الاسف . فهل يناسبه موعد آخر مثل يوم الاثنين او الثلاثاء؟»

– «السير پيتر منشغل للغاية ياسيد...؟»

وانتظرت السيدة ويبستر الى أن يبوح الرجل بأسمه إلا أنه سكت . وقالت :

– «لن اتمكن من ترتيب موعد بدون أن اعرف غايتك ، وعلى اية حال فسيكون منشغلاً تماماً يومي الاثنين والثلاثاء» .

– «ماذا عن مساء يوم الثلاثاء اذن؟ بامكاني أن ازوره في بيته الريفي . نعم سيكون ذلك مناسباً تماماً» .

– «لا جدوى من ذلك يا سيد...؟» ومرة اخرى انتظرت لسماع اسمه

– «هارنغتون يا حبيبتي... برايان هارنغتون . ارجو تعديني بأن...»

– «اذن ، يا سيد هارنغتون ، فان السير پيتر لا يستقبل احداً خارج اوقات الدوام او خارج مكتبه» .

- «ولم لا يتواجد يوم الثلاثاء؟»

قررت السيدة وبستر أن تغير اسلوبها وان تواجه المتكلم بخشونة وقالت

- «اقترح عليك ، يا سيد هارنغتون ، أن توجه خطاباً مكتوباً الى السير بيتر ، تشرح فيه طبيعة عملك معه ، ويمكنك التأكد بأنك ستحصل على رد سريع» .

وفجأة انهى السيد هارنغتون المكالمة وانقطع الخط . نهضت السيدة ويبستر من مكتبها وهي منزعجة ودخلت الى مكتب دارتنغتون الذي كان منغمساً في اعماله وقالت :

- «يا سيدي بيتر لقد تلقيت للتو ، مكالمة هاتفية غريبة من رجل يسمي نفسه السيد هارنغتون ، يطلب لقاءك لسبب وصفه بأنه مهم» .

- «هارنغتون؟ لا اعرف احداً بهذا الاسم ، فماذا يريد؟»

- «لم يخبرني بذلك ، الا أنه قال بأنه يريد زيارتك في بيتك يوم الثلاثاء القادم» .

- «سأطرده اذا جاء فعلاً . اشكرك على ابلاغي بالامر» .

- «الا انك ستكون في لندن مع زوجتك مساء الثلاثاء ، فهل تريد مني ابلاغ السيد چيفكوت عن احتمال قدوم زائر في ذلك الوقت» .

- «نعم ، اخبري چيفكوت بأن يتوقع قدوم هذا الرجل وان يطرده اذا جاء . ولا تقلقي فاني اتلقى مثل هذه المكالمات الغريبة باستمرار» .

رجعت السيدة ويبستر الى مكتبها . اما دارتنغتون فكان على يقين بأن هاورد قد نجح في اثارتها وبأنها ستتذكر هذه الحادثة جيداً فيما بعد .

١٥

كان اهتمام هاورد منصباً على الخارطة التفصيلية لسكوتلندا وهو يبحث بدقة عن قرية صغيرة كان قد سمع اسمها من صديقه ستونر . بحث بتركيز في اكثر من خريطة واحدة لانه كان يريد ايجاد القرية دون أن يسأل ستونر مرة اخرى ، وكان له بعد اكثر من ساعة من الجهد أن يوفق في مسعاه . تناول الدليل السياحي للمنطقة بعد عثوره على القرية ولقي اسم الفندق الذي كان قد سمع عنه . انتابته موجة من الفرح لانتصاره الصغير هذا ، ولكن ما فائدة كل ذلك اذا لم يعثر على الرجل؟ وياله من اسم محير . ماكدونالد ، فهو اسم شائع جداً في هذه المنطقة ، ولكنه كان متأكداً بأنه قد سمع الاسم مؤخراً عند قراءته الصحف بالارتباط مع حادث معين ، اي حادث كان هذا؟ ومنذ متى حدث؟ لم تمكنه ذاكرته من الاجابة على هذه الاسئلة فاستمر في بحثه .

قرر أن يجرب حظه في مكتبة الصحافة البريطانية وقضى هناك ساعات عدة يتمعن بصحف محلية وعالمية وقبل انتهاء فترة الدوام ، عثر على الدليل . كانت القصة بتفاصيلها منشورة في احدى الصحف اسكوتلندية ، وقام هاورد فوراً بتصويرها وهم بمغادرة المكتبة . لقد اصبح انتصاره اكيداً الآن ، اذا تمكن من اقناع ماكدونالد بالتعاون معه .

١٦

اوقف ميْل هاريس سيارته الجديدة عند باب المزرعة وجلسا هو وهاورد بصمت في الظلام الدامس ينظرون الى المنطقة التي كانت تخلو تماماً من المارة ، كان الوقت يقترب من الثالثة بعد منتصف الليل . نزلا من السيارة وهم يرتدون الملابس الرياضية وقفازات يدوية وقاما باخراج حقيبة سوداء كبيرة من الصندوق الخلفي للسيارة . همس هاريس بصوت خافت :

- «اشعر بنوع من الغرابة وانا ارتدي هذه الملابس ، يا سيدي»

فأجابه هاورد :

- «لا تدع الامر يزعجك يا ميْل ، فمهمتنا سهلة وستنتهي بسرعة»

اقتربَ هاريس وهاورد من الجانب الخلفي من المنزل ، دون ان يصدر منهما اي صوت لكي لا يوقظا السيد جيفكوت الذي كان نائماً في الطابق الاسفل ، وقام هاورد ، حال وصوله الى الدار ، بتفحص الشباك . اتبع دارتنغتون تعليماته وتركها غير موصدة ، التفت هاورد الى هاريس واشار له بابهامه بأن كل شيء على ما يرام ، وعبر هاريس عن تعجبه لمثل هذا الاهمال اذ لم يكن على علم بدور دارتنغتون بالعملية . وبعد أن فتح الشباك اخرج هاورد جهازاً الكترونياً مربع الشكل وقام بكبس بعض الازرار فيه بتسلسل يتناسب مع شفرة جهاز الانذار الالكترونية والتي كانت شركته قد وضعته في دار السيد دارتنغتون كإجراء امني ضد السرقة . اشار الجهاز بإلتقاطه للشفرة ومد هاورد يده داخل الشباك لاول مرة . لم يصدر جهاز الانذار صوتاً فدخلا هو وهاريس من خلال الشباك . توقفا برهة ليعتاد سمعهما على اصوات الدار الاعتيادية فلم يسمعا شيئاً ، فقد كان السيد جيفكوت نائماً في احدى الغرف الجانبية اما كلابه المدللة فقد كانت هي ايضاً نائمة بسبب تخمتهما على اثر تناول كمية مضاعفة من طعامهما المفضل .

فتح هاريس حقيبته واخرج منها اربعة أغطية غامقة اللون وعلبة كبيرة تحتوي على اشرطة لاصقة ، وقاما هو وهاورد بلصق الاغطية على شبابيك احدى الغرف في الطابق الاعلى . وحينما انتهيا من العمل ، الذي تم بصمت مطبق ، قاما باسدال الستائر ليتمكن هاورد من اخراج مصباح صغير من جيبه واضاءته دون أن يسرب الضوء الى الخارج . عثر هاورد فوراً على الملف الذي كان قد طلبه من دارتنغتون والذي كان قد وُضعَ على الطاولة طبقاً لتعليمات هاورد وبدأ بمساعدة هاريس من تصوير اوراقه الثماني والثلاثين ، مستعملين جهاز التصوير في المكتب ، ثم اخذ هاورد بعض الاكداس من اوراق الشركة الرسمية التي كانت تحمل اسم وعنوان مؤسسة داركون ، وانتهت بذلك مهتمهما ، وبقي عليهما فقط الخروج من المكان بسلام بعد أن تركوا انطباعاً بأن السرقة كانت بدوافع اخرى . اسرع الرجلان بفتح ابواب المخازن وقلّبا الرفوف واخذا معهما جهازاً للتسجيل وبعض القطع النقدية القديمة التي كانت موضوعة في اطار فضي على احد الرفوف وغادرا الغرفة . عند خروجهما من الشباك اخرجوا الجهاز الالكتروني وعكسوا تأثيره مما ادى فوراً الى احياء اجهزة الانذار في المنزل ، الا أن هارود ترك امراً الكترونياً بأن يصدر تنبيهاً من الجهاز بعد خمس دقائق . تحرك هاورد وهاريس بسرعة بإتجاه السيارة بعد أن تعمدا ترك الشباك مفتوحاً .

ركبا السيارة وبعد لحظات رنت اجراس الانذار . وصلت سيارة الشرطة بسرعة الى منزل دارتنغتون واستقبلهما السيد چيفكوت في الساحة الامامية وهو في لباس نومه وكان يحمل بندقية صيد .

اما هاورد وهاريس فكانا على بعد اميال عدة يسرعون بسيارتهم بإتجاه مدينة لندن . لم يتوقفا الا لبرهة صغيرة في احدى الشوارع الجانبية ليتمكن هاريس من النزول ورمي كيس كبير كان يحتوي على ملابس الرياضة والكفوف وجهاز التسجيل في احدى سلال النفايات العامة .

١٧

جلس دلال العقارات الشاب في مكتبه وهو يبتسم لنفسه . فقد كان قبل دقائق قليلة تسوده افكار سوداء لتردي اوضاع تجارته وتأزم سوق العقارات عموماً ، وفجأة دخل عليه شخص ذو وجه مدور اسمه السيد بريس ، وقام باستئجار اسوأ ما لديه من عقار . يا لها من فرصة مدهشة! .

والحقيقة فلم يكن هناك ما يعيب مجموعة الوحدات الصناعية الواقعة في شارع لوندس سوى سوء توقيت بنائها ، الذي تم عام ١٩٨٨ . كانت الوحدات العشر بالقرب من شارع المطار وبقية الطرق الرئيسية المؤدية الى مركز لندن ، الا أن انكسار سوق العقار والنشاط التجاري والصناعي في بريطانيا حال دون إيجارها لحد الان . فقد جاء السيد بريس وحجز ثلاث وحدات مرة واحدة دون أن يعترض على السعر ، وهذا سيؤدي بالطبع الى تسويق بقية الوحدات ، كان الشاب مسروراً جداً لتغير حظه المفاجئ هذا .

وكان السيد بريس نفسه ، في غاية اللباقة في تعامله ولم يتمعن كثيراً بعقد الايجار حيث وافق فوراً على جميع الشروط في العقد ثم قام بالدفع لستة اشهر مقدماً بدلاً من ثلاثة وانطلق بعدها بسيارته الفخمة السريعة ، فمن الواضح أنه كان رجلاً يتمتع بقدرة مالية عالية .

انطلقت سيارة الرجل الذي كان يسمي نفسه السيد بريس بإتجاه مركز لندن ، وكان راكبها ، جوني بورن يزيل القناع البلاستيكي الذي كان قد استعمله لتغيير شكل وجهه وجعله يبدو مدوراً . ثم ازال العدسات الملونة من عينيه والاغشية البلاستيكية من اطراف اصابعه . لقد احسن في عمله اذ أنه كان قد لقي مركزاً ملائماً لاعضاء الفريق في منطقة هادئة وعلى إتصال قريب بشبكة الطرق السريعة المؤدية الى لندن ومطار هيثرو .

الاسبوع الماضي كان حافلاً بالنشاط بالنسبة لبورن ، فقد سافر الى لختنشتاين وقام هناك بتأسيس شركة برصيد مليون جنيه استرليني ثم عاد الى بريطانيا وأسس ثلاث شركات اخرى ، كانت الاولى شركة مبيعات والثانية شركة للنقل والشحن ، والثالثة شركة تجارية . ولم تكن هذه الشركات متصلة ببعضها اطلاقاً ، اذ قام بورن بربط كل واحدة منها بمكتب للمحاماة ومكتب للمحاسبة كل على حدة بحيث لن تشترك اي شركة بخدمات الشركات الاخرى . ثم حوّل مبالغ من المال من الشركة التي اسسها في لختنشتاين الى كل من الارصدة لهذه الشركات الثلاث التي كانت قد فتحت في ثلاثة بنوك بريطانية مختلفة ، وستبدأ الشركات الثلاث عما قريب بالتعامل النشط فيما بينها بشكل لن يعرف فيه مدير الشركة الواحد شيئاً عن ارتباط شركته بالشركتين الاخريتين ولا بالشركة في لختنشتاين وستقوم هذه الشركات بتوفير كافة احتياجات العملية .

١٨

وصل هاورد الى مدينة أدنبره في اسكتلندا يوم الجمعة ، التاسع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) قادماً من مطار هيثرو ، وبعد ان وصلت حقائبه ، ذهب الى شركة تأجير السيارات . . واستأجر سيارة فورد اسكورت كان قد حجزها مسبقاً . ترك المطار واتجه بسيارته شمالاً على الطريق السريع (M90) ماراً بضواحي مدينة (پيرث) الساحلية ، وبعد ساعة من السير غَيّر الاتجاه نحو الطريق (A9) الى مدينة (دال ويني) ومن ثم اتجه صوب جسرسپين ومدينة فورت وليام .

الرياح شديدة والبرد قارس وكانت السيارة تهتز من شدة الريح . الساعة تشير الى الرابعة إلا ربعاً بعد الظهر ، مما اضطره ان ينير مصابيح السيارة . كان الطريق خالياً والمناظر المنسابة في الخارج تبدو كئيبة ومملة .

عبر جسر سبين بخمسة أميال ثم خرج عن الطريق الرئيسي متجهاً الى قرية (كارفيج) . وفي تمام الساعة الخامسة مساءً بانت بعض الاضواء المتفرقة عن بعد . وصل هارود الى قرية كارفيج بعد عشر دقائق . . ولم يلاق صعوبة كبيرة في التعرف على الفندق القروي الصغير . أوقف السيارة على قارعة الطريق ، وحمل حقائبه متوجها نحو باب الفندق الصغير وضغط على الجرس .

فتحت الباب فتاة يافعة في الثامنة عشرة من عمرها كان جمالها هادئاً . . وكلّمته بصوت خافت «مساء الخير» هل لي ان أساعدك؟

-«اسمي هاتچر . . إدونْ هاتچر» كلمتكم قبل فترة بالتليفون لاحجز غرفة لليلتين . . آمل ان يكون كل شيء على ما يرام؟» .

- «طبعا . . سيد هاتجر . . تفضل ادخل ، كان عليّ ان أخمن على الفور» وابتسمت الفتاة وعرضت عليه ان تساعده بحمل حقائبه . استمرت بالحديث في محاولة لتلطيف

الجو ، واصطحبته الى صالون في الفندق الصغير . . ثم انصرفت لتهيء له كوبا من الشاي . وفي هذه الاثناء ظهرت سيدة تبتسم وهي تجفف يدها بمنديل وبان عليها وكأنها انتهت لتوها من غسل الصحون .

خمن هاورد عمرها في حدود الاربعين . . كانت محتفظة بحيويتها .

– «مساء الخير يا سيد هاتچر . . مرحباً بك في كارفيج . أنا موراگ كاميرون . . والدة شيلا» .

انتبه هاورد انه سبق وان كلمها بالتليفون . . وحجز الغرفة من خلالها وكان لها الحق ان تعجب من شخص يقدم الى هذه القرية الصغيرة في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) لقضاء عطلة نهاية الاسبوع . ولكي لا يسبب هاورد أية احراجات لنفسه وللآخرين قرر ان لا يستخدم اسمه الحقيقي . . ولهذا اطلق الاسم المستعار (أدونِ هاتچر) .

اصطحبت السيدة موراگ هاورد الى غرفته في الطابق الاول . . كانت الغرفة صغيرة ، لكنها مريحة . . وفي الواقع أكثر راحة مما كان يتوقع .

فتح نافذة الغرفة ، واستنشق الهواء الريفي البارد الممزوج برائحة البحر البعيد .

بعد حمام دافئ وراحة استغرقت نصف ساعة توجه هاورد الى صالون الاستقبال في الطابق الارضي . . وبادرته شيلا عن سبب قدومه الى هذه القرية الصغيرة في هذا الوقت بالذات من السنة ، اختلق لها قصة زيارته السابقة للمنطقة مع والده عندما كان صبياً في الثانية عشرة من عمره . كانت روايته نصف صحيحة ونصف مختلقة . . صحيح انه قدِمَ مع والده الى اسكتلندا عندما كان صبياً . . ولكن في محل آخر منها . . قاطعته شيلا «اني سعيدة بأننا نستضيف بعض الضيوف القدامى ، يا سيد هاتچر ، واستدركت شيلا قائلة «لا اعني انك كبير السن» .

ابتسم هاورد وقال . . افهم ما تعنين . . ولكن سيان الأمر لدي . . عندي من العمر خمسة واربعين عاماً . . ولا شك ان والدتك كانت طفلة عندما كنتُ هنا آخر مرة . .»

وهنا غيرّ هاورد الموضوع .

–«هل يمكنني الصعود الى الجبل صباح الغد ، ومن الممكن أن آخذ بعض (الفطائر) السندويتشات معي ، هل من الضروري الحصول على رخصة أحد من المسؤولين في المنطقة» .

- «أنا متأكدة انك تستطيع ان تذهب غداً . . ان موسم الصيد قد انتهى ولا اعتقد ان هنالك ضرورة لأي ترخيص ، طالما انك ستسلك الطريق العام ، كما استطيع ان أعد لك بعض الساندويتشات . . إذا اخبرتني عما تشتهي . . لدينا الجبنة ولحم البقر» .

- «أفضل لحم البقر . . شكراً . . كيف يمكنني الوصول الى هناك؟ هل هنالك طريق صالح للسيارات؟ حسب ما أتذكر ان مقر المرشد لا يبعد أكثر من ميلين» وكان هاورد قد حصل على هذه المعلومة بعد دراسة وافية لخارطة المنطقة .

- «تستطيع ان تأخذ سيارتك حتى مقر المرشد . . وتتركها هناك وتمشي بقية الاميال العشرة ، حيث الطريق وعر جداً» .

«هل يمكنني ان استعين بأحد؟ المرشد مثلاً؟» .

- «تستطيع ان تستعين بـ دنكان مكري ، فهو المرشد» .

دنكان مكري! ترى من يكون هذا . . هل سافر كل هذه المسافة ليلتقي بالشخص الخطأ؟وبادر هاورد بالسؤال مرة أخرى «أليس هنالك مرشد آخر»؟

- «نعم» أجابت شيلا «هنالك من يساعده ، لكن دنكان هو المرشد الرئيسي ويساعده في بعض الأحيان داني» .

- «داني؟» .

- «نعم داني ماكدونالد . . أحد اصدقائنا» .

- «كيف توصفين شخصية داني ماكدونالد . . هذا؟» .

وبدأت شيلا بكيل المديح وذكر خصال داني ماكدونالد . . وتبين هاورد من كلامها انها تكن له الحب والمودة .

اتضح لهارود خلال الحديث ان أسرة كاميرون وأسرة داني ماكدونالد كانا قد تعرفا على بعضهما قبل سنوات عدة ، وعندما حصلت المأساة ، كانت شيلا في التاسعة من عمرها فقط ، حصل ذلك عندما كان والد ووالدة شيلا وداني في رحلة سياحية في فورت ويليام ، وكانت والدة داني تقود السيارة . . . وفجأة ، في احدى المنعطفات الجبلية جاءت سيارة مسرعة في الاتجاه المعاكس ، حاولت والدة داني تفاديها . . إلا انها فقدت السيطرة وانحدرت السيارة باتجاه الوادي بعد ان انفتحت الباب الأمامية وقذفت والدة شيلا خارجها لتنفجر بعد لحظات السيارة . . وتوفي من فيها ، والد ووالدة داني ووالد

شيلا .

وفي ذلك الوقت كان داني قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره أما شقيقه الأصغر فيرگس فكان في عامه السادسة عشرة . كان والد داني من أمهر المرشدين والصيادين في تلك المنطقة . . وعندما توفي في حادثة السيارة استطاع داني واخوه ان يحصلا على عمل مؤقت كمرشدين ومساعدين لرئيس القناصين في منطقة فورت وليام .

وبعد مرور عامين من الحادث استغنت الوكالة المسؤولة عن الغابات ، عن المرشد الرئيسي نظراً لعدم كفاءته وعينت دنكان مكري بدلاً عنه . وكانت بمثابة فرصة ثمينة لداني ماكدونالد ليرتقي السلم الى وظيفة مساعد المرشد الرئيسي ، خاصة بعد ان برع وذاع صيته لمهارته في الصيد .

أما فركس ، الشقيق الاصغر لداني ، فقد تخرج من الجامعة كمهندس وانتسب الى شركة نفط في مدينة أبردين الاسكتلندية ، وبطبيعة عمله فقد كان كثير السفر الى خارج بريطانيا ويفضل العمل والاقامة خارج اسكتلندا ، وكانت ثمة فاجعة أخرى تخص فركس ، حيث لن يعود الى مسقط رأسه . . والى الأبد ، ولم يشأ هارود ان يسألها عن الفاجعة ، حيث كان التأثر ظاهراً عليها ، وسرعان ما غير مجرى الحديث ، وعادت شيلا الى حديثها المفضل ، الكلام عن داني . ومن خلال حديثها استطاع هاورد ان يرسم صورة شبه متكاملة عن شخصية داني واستقامته وصلابته ، ثم بادرها :

- «إذن فماذا يعمل خارج مواسم الصيد؟» .

- «يساعد عمه في مخزن للأدوات الرياضية في فورت ويليام وبالأحرى داني يشرف على كل شيء هذه الايام . . حيث ان عمه وزوجة عمه قد كبروا ولا يهتمون بشيء» .

وخمن هاورد ان سبب عدم اهتمامهم بالمخزن هو ادمانهم على الخمر ، ولكنه قرر ان لا يطيل في هذا الموضوع .

- «وهل يسكن داني مع عمه؟» .

- «كلا» اجابته شيلا «لديه منزل صغير ، تركته له جدته» .

- «أين يقع هذا المنزل؟ هل في هذه القرية؟» .

وشعر هاورد ان سؤاله محرج . . ولكن قرر ان يستمر في السؤال فقاطعته شيلا بحدة واستغراب «لا ، منزل داني يقع على طريق جسر سبين» وغيرت الموضوع بسرعة

وخاطبته باقتضاب «يجب ان أذهب وأعد لك طعام العشاء قبل أن يكتظ مطعم الفندق ، لدينا سمك طازج . . . ما رأيك؟» .

- «شكراً . . هذا جميل»

وبعد فترة قصيرة جاءت والدة شيلا تحمل صحن السمك المقلي وبادرته «آمل أن يروق لك هذا السمك . . هل ترغب بأي شيء آخر؟» يا سيدة كاميرون . . كل شيء على ما يرام» . ابتسمت بارتياح وهمت بالعودة الى المطبخ ، فناداها السيد هاورد

- «يا سيدة كاميرون» هل لك ان تجلسي معي بعض الوقت . . كلانا متعب ، انت من عناء العمل في المطبخ طوال اليوم . . وأنا من عناء السفر» .

- «أشكر لطفك يا سيد هاتچر» وجلست في مقعد أمامه . . تدرس تفاصيل وجهه المليء بالتجاعيد والخطوط . . «لا شك ان هذا الرجل قد قاسى في حياته» كان هذا انطباعها الأول .

- «خبرني يا سيد هاتچر ، ما الذي جاء بك الى هذه الاطراف؟» وبدأ هاورد يجيب على سؤالها بصوت خافت ، وأعاد لها القصة التي رواها لابنتها ، ولكن سرعان ما غير اتجاه الحديث وبدأ يسألها عن هواياتها ، ويخبرها عن هواياته . دام حديثهم قرابة النصف ساعة ، وفجأة نظرت موراك كاميرون الى الساعة ونهضت تعتذر من هاورد «أرجو معذرتي» يجب ان أذهب الى المطبخ لاعداد الطعام ، لقد تمتعت بالحديث» .

- «وأنا كذلك يا سيدة كاميرون» .

- «طابت ليلتك سيد هاتجر ، آمل ان تكون غرفتك مريحة» .

صافحها بحرارة «طابت ليلتك يا سيدة كاميرون هل يمكنني ان أدعوك موراگ» قالها وهو يأمل ان يتبسط معها باسمها الاول .

صعد هاورد الى غرفته . . . وجلس يحاول ان يركز على الرواية التي كان يقرأها . وعلى مدى الساعة التي تلت صعوده الى الغرفة ، سمع صوت الزبائن في مطعم الفندق ولم ينته صخبهم حتى الساعة الحادية عشرة والنصف .

وقرابة منتصف الليل نهض هاورد من فراشه وفتح باب الغرفة ، وسار خلال الممر الى ان رأى باباً كتب عليه «خاص» . دفع الباب ودخل الى باحة صغيرة وثلاثة أبواب أخرى . كان هناك ضوء خافت ينفذ من تحت أحد الأبواب .

طرق على الباب . . وَفَتِحَ الباب وكانت موراگ كاميرون تقف داخل الغرفة بملابس النوم . . دخل هاورد الى الغرفة وحاول ان يضمها اليه ، فارتدت الى الوراء وصفعته بقوة . نظرت إليه باستغراب ، لم تتحرك أي من عضلات وجهه . . ابتسم . . وحاول ضمها الى صدره مرة أخرى . . هذه المرة لم تمانع ولم يلق أي اعتراض .

في الساعة الخامسة صباحاً ، تسلل هاورد من غرفة موراگ كاميرون بهدوء الى غرفته . . ومجموعة كبيرة من الافكار تجول بخاطره .

١٩

في نهاية شهر تشرين الثاني (نوفمبر) كان هاريس ودينارد يتجولان في جنوبي ولاية تكساس وكانا قد قطعا اكثر من الف ميل يتجولان بسيارة مستأجرة في بحثهم عن طيار تتناسب اوصافه مع متطلبات المهمة ، وكان دينارد قد اندهش حينما القى بأول نظرة على خارطة الولاية حيث كانت تظهر فيها مواقع المطارات الصغيرة منها والكبيرة وقال :

– «يا الهي تبدو هذه الولاية وكأنها مغطاة بالمطارات . هل يمتلك كل مواطن فيها طائرته الخاصة ام ماذا؟

– «فعلاً ، يمتلك الكثير من الناس هنا طائراتهم الخاصة . المسافات هنا بعيدة للغاية ، فمساحة الولاية هي اوسع من مساحة بريطانيا بعدة اضعاف ، ويفضل الناس الطيران على قيادة السيارة . فلنبدأ هنا في الجنوب ولنركز على المطارات التي لا تبعد باكثر من مئة ميل عن سان انتونيو وعلى مقربة من الحدود مع المكسيك» .

تمعن دينارد بالخارطة لفترة ساعة كاملة ثم قال :

– «انظر الى هذه الدائرة الحمراء التي رسمتها ، انها تمثل مسافة مئة ميل عن مطار سان انتونيو الدولي . ويقع ضمنها مطاران دوليان – سان انتونيو واوستن ويمكننا تجنبهما . وتضم الدائرة ايضاً خمسة عشر مطاراً آخر كبيراً نسبياً ، وتعود خمسة منها الى السلاح الجوي الامريكي ، ولذلك يمكننا اهمالها ايضاً سيكون الشخص الذي تبحث عنه في احد المطارات الاصغر حجماً منها» .

– «اما بقية المطارات فيصل عددها الى المئتين وخمسة وعشرين مطاراً يمكن تقسيمها الى قسمين . القسم الاول يتكون من المطارات التي تعد كبيرة في حجمها ، الا أن هذه الصفة تُطلق على كل مطار له مدرج يزيد طوله على الثلاثة آلاف قدم . قد تكون مطارات تجارية مزدحمة بالطائرات وتقوم بخدمة المدن الصغيرة ، او قد تخدم شركات

النفط او اصحاب المزارع الاثرياء . وقد تكون مطارات شبه خالية بسبب نقص في مرافقها مثل وسائل مكافحة الحريق او الرادار فلا يجوز استقبال طائرات الركاب الكبيرة فيها . اما القسم الثاني فيشتمل على المطارات الصغيرة والتي لا تصلح لاستقبال الطائرات الضخمة فقد يكون مدرجها ترابياً او يكون طوله اقصر من ثلاثة آلاف قدم وقد تكون معظمها مطارات خاصة ، الا أن بعضها الاخر قد تعود الى اندية الطيران او شركات الشحن الصغيرة» .

نظر اليه هاريس بقلق وقال :

- «سنحتاج الى وقتٍ أطول لزيارة كل هذه المطارات ، فهل هناك وسيلة لاختصار الوقت؟»

أجابه دينارد :

- «نعم ، فهناك بعض المناطق التي يمكن تجنبها وهي التي تحيط بالمطارات العسكرية حيثما تكون الرقابة شديدة . وتضم هذه المناطق عدداً كبيراً من المطارات . فلنبدأ بهذه المنطقة الواقعة الى الشمال يوم غد» .

واتفق معه هاريس على الفور وقال :

- «حسناً فلنبحث هناك غداً . اما الآن فأكاد لا اتمكن من الوقوف لشدة تعبي . هل تعلم بأن الوقت يقترب من الساعة الرابعة صباحاً بتوقيت بريطانيا؟»

كان عليهما أن يزورا ، خلال الايام الستة التالية ، عشرات المطارات الصغيرة العاملة منها والمهجورة ، متحججين برغبة تعلم الطيران . وقد التقوا في هذه الفترة بالعديد من الطيارين لكنهم لم يجدوا من بينهم من كان مناسباً ، اذ كان يبدو على معظمهم بأنهم مستقرين في اعمالهم ولن يرغبوا بحياة الاثارة والمغامرة واخيراً بدت على دينارد علامات الارهاق وقال لهاريس :

- «صحيح ما يقال عن هذه الولاية ، انها كبيرة للغاية الا انني لم ألاقِ احداً يشبهني ولو قليلاً لحد الان» .

وأجابه هاريس : «لدينا الكثير من الوقت . لابد اننا سنلاقي احداً عن قريب ، اطمئن ولنجرب حظنا غداً» .

وفي اليوم السابع من زيارتهم الى تكساس وصلا الى لوس موريلوس التي تبعد

ثلاثين ميلاً عن مدينة اوستن ، كانت اسماء شركات الطيران في دليل المطار تزيد عن العشرين شركة .

قال هاريس : «يبدو بأن هناك أملاً لنا هنا»

- «كم مرة قلت هذه العبارة لغاية الآن؟»

ذهب هاريس الى مكتب الاستعلامات واستفسر عن اسعار الرحلات السياحية واخبره الرجل بأن كافة الطيارات قد حُجزتْ وعليهم الانتظار لفترة ساعة على اقل تقدير ، وبينما كانا يناقشان عن جدوى الانتظار فيما بينهما التفت اليهم رجل الاستعلامات وقال :

- «فاتني أن اذكر رَي سوليڤان»

فقال دينارد «وبأية شركة يعمل هذا؟»

- «انه يعمل لوحده ، فهو طيار ماهر الا أنه يقوم باعمال الصيانة لطائرته بنفسه» .

تبادل هاريس ودينارد النظرات واتجها نحو مكتب رَي سوليڤان وحين وجداه جالس خلف مكتبه الصغير توقف دينارد لبرهة وبدأت ابتسامة صغيرة ترتسم على وجهه . .

***

بعد تسعين دقيقة نزلا من طائرة رَي سوليڤان ودار بينهما نقاش سريع . فقال هاريس :

- «ما رأيك بقابليته على الطيران؟»

- «لا بأس بها . سألته عن اجازته وتبدو انها صالحة للأعمال التجارية ، ثم لديه خبرة طويلة»

وواصل هاريس بحماس :

- «اعتقد أنه سَيَفي بالغرض . يبدو أنه رجل متزن ، وبالاضافة الى ذلك فقد ذكر بأنه محتاج الى المزيد من المال . فلنفاتحه بالامر»

- «اسمع يا ميْل . أنه اطول مني باكثر من بوصتين ، وعلى الرغم من بعض الشبه فاني اشقر في حين ان شعره غامق اللون ولديه شارب» .

فقال هاريس «اسمع يا عزيزي ، لندعوه لتناول العشاء معنا لنتمكن من التأكد من صدقه في تفاصيل اجازته ، واذا كان كل شيء على ما يرام ، فبامكانك أن تطيل شاربك وان تغير لون شعرك . هيا بنا» .

كان رَي سوليڤان في غاية من السعادة عند عودته من دعوة السيد هوسكينز والسيد داكمان للعشاء . فقد كان قد استلم مبلغ عشرة آلاف دولار وهو مبلغ كبير جداً بالنسبة له .

كان عليه أن يستمر بشكل اعتيادي في لوس موريلوس وبدون أن يلفت النظر الى الزيادة في مصاريفه ، وذلك لغاية عيد الميلاد . ثم عليه أن يبيع طائرته ويتجه في اواسط آيار (مايو) الى مدينة اخرى وان يتصل بالسيد داكمان . سيسافر بعدها الى لندن ومن بعد ذلك بشهر واحد سيتقاعد ، ويسكن حيثما يشاء .

٢٠

ارتدى هاورد ملابسه استعداداً ليوم طويل سيراً على الاقدام في الغابة ، ثم نزل الى المطعم وتناول طعام الافطار على مهل . لم يشاهد موراگ ذلك الصباح ، فالتقط كيس السندويشات والعصير الذي اعدته له شيلا وانطلق صوب المقر الرئيسي للمرشد المسؤول عن «گلين كارفيج» . ولم يجد صعوبة في الوصول الى المقر ، حيث كان الطريق خالياً . أوقف سيارته في المكان المخصص ، وارتدى الحذاء الخاص بالتسلق والسير ، وبدأ مسيرته صعوداً نحو قمة الجبل مصطحباً معه الناظور العسكري وخرائط المنطقة .

بعد ميل من التسلق بدأت المناظر وطبيعة الاشجار تتغير ، لكنها كانت مناظر خلابة خاصة الجبال التي كانت تحيط به والتي يبلغ إرتفاع البعض منها ألفي قدم وكانت هنالك مجاميع متفرقة من الغزلان ، كان هاورد يتوقف بين الحين والآخر ليمتع نظره بها من خلال الناظور .

استمر في الصعود الى ان وصل الى الاصطبل الخالي في نهاية الطريق ، وسارع بدخول الاصطبل ، حيث بدأ المطر يزداد حدة ، جلس هارود على احدى المقاعد وبدأ يتناول الساندويشات ، وهو يتأمل منظر المطر والغيوم السوداء وما يمكن ان يوصف بالكلح ، إلا انه شعر بنشاط وارتياح بل وحيوية غريبة بعد المسافة التي قطعها سائراً الى أعلى السفح .

* * *

كانت شيلا تطرق باب غرفة نوم والدتها بعنف . . دون جدوى ونادتها مرات عدة «ماما هل أنت بخير؟ الساعة العاشرة والنصف» .

كانت موراگ : في يقضة حالمة ، إلا انها سمعت طرق الباب وصوت ابنتها شيلا : «نعم . . أنا بخير» أجابت الأم : «لا تقلقي» فقد استغرقت في النوم هذا الصباح سأنزل

خلال نصف ساعة» .

انصرفت شيلا وهي تفكر عن سبب تأخر والدتها في النوم . . وهي التي اعتادت ان تنهض مبكراً طوال حياتها ، ولم تجد تفسيراً مباشراً . .

نهضت موراگ من فراشها وهي تفكر بحوادث الليلة الماضية «يا له من رجل» قالتها بشكل تلقائي ، وهي تشعر بكثير من الراحة والاسترخاء . وبعد عشرين دقيقة كانت قد استحمت ، وارتدت ملابسها ، واتجهت الى المطبخ في الطابق الأرضي . وانشغلت موراگ باعداد وجبة الغذاء للزبائن . التفتت الى ابنتها وسألتها «بالمناسبة هل رأيتي السيد هاتچر؟»

- «خرج منذ الصباح الباكر . . وأعلمني بأنه سيعود هذا المساء» .

- «حسناً» أجابت موراگ : بصوت خافت .

- «هل استطيع ان أخرج يوم غد لرؤية بعض الأصدقاء»؟ وحبست شيلا أنفاسها ، في انتظار رد والدتها .

- «لا أرى مانعا من ذلك . . نعم ، آمل ان يسير كل شيء على ما يرام» واستغربت شيلا لسرعة موافقة والدتها ، حيث اعتادت ان تمانع في معظم الاحيان .

وفجأة إلتفتت موراگ الى ابنتها «أين ستقضين وقتك يا شيلا؟» .

- «اتصل بي هذا الصباح داني ماكدونالد ، ودعاني لزيارته يوم غد . .» .

- «داني ماكدونالد . . انه شاب لطيف ، حسن الاخلاق» قالت موراگ . . لا بأس يا شيلا» .

وشكرت شيلا والدتها بحرارة .

* * *

نهض هاورد بعد ان انتهى من أكل السندويش وارتاح بعض الشيء . خرج من الاصطبل وغلق الباب باحكام وتوجه نحو سيارته . لم ينقطع المطر طوال هذه الفترة ، ولما وصل الى سيارته كان مبتلاً حتى آخر قطعة من ملابسه ، إلا انه لم يمانع ، حيث كان يشغل تكفيره شيء آخر فالمسافة التي قطعها خلال أربع ساعات هذا الصباح كانت بحدود عشرين ميلاً ، إلا انه لم يشعر بالتعب ، بل شعر بنشاط وحيوية غير طبيعية ، وعند وصوله الى مقر المرشد أخرج بعض الملابس من سيارته . . ليستبدل ملابسه

المبللة ، وهم بالدخول الى سيارته .

في هذه الاثناء ظهر رجل قصير القامة بشوش الوجه ، ممتلئ ، وفي منتصف الاربعينات . بادره هاورد قائلاً «اسمي إدوين هاتچر» آمل ان لا أكون قد خرقت أية تعليمات بتجوالي في الغابة هذا الصباح .

– «أبداً يا سيد هاتچر» أجابه دانكن مكريبي ، ثم دعاه لتناول الشاي في كوخه المتواضع ، وبعد تناول الشاي ، ترخص هاورد وشكره على ضيافته ، وعاد ثانية الى سيارته .

قاد سيارته عائداً الى قرية كارفيج في الطريق العام بين جسر سپين وفورت ويليام ، وصل الى فورت ويليام في الساعة الثانية بعد الظهر ، غايته السيارة في ساحة وقوف السيارات في محطة فورت ويليام . كان قصده ان يبحث عن المخزن الذي يعمل فيه داني ماكدونالد .

طاف على المخازن الأربعة ووقف أمام نافذة كل منها محاولاً استكشاف العاملين داخل المخزن . دخل في واحدة منها واشترى بعض المعدات لصيد السمك ، ولم يكن بحاجة اليها فعلاً . وأخيراً قرر ان ينتظر في سيارته أمام أحد المخازن ، بعد ربع ساعة من الانتظار وقفت سيارة من نوع ڤولڤو أمام المخزن ، ودخل سائقها الى المخزن وبعد دقائق خرج يتبعه شاب قوي البنية في نهاية العشرينات من عمره يحمل علبتين كبيرتين لعتاد الصيد . فتح سائق السيارة صندوقها الخلفي ، وتقدم الشاب ووضع علبتي العتاد في الصندوق وعاد الى المخزن .

عاد هاورد الى المحطة . أوقف سيارته ، ترجل منها . . وسار في اتجاه كابينة التليفون العمومي وراح يبحث في دليل التليفونات عن اسم ماكدونالد . لم يستغرب عندما اكتشف ان أكثر من مائة وثمانين اسماً يحملون الكنية نفسها والحروف الأولية (د . ماكدونالد) ، ثم فتش عن الأرقام الموجودة في فورت وليام فوجدها خمسة عشر . . وأخيراً عثر على رقم داني ماكدونالد من خلال العنوان الموجود مقابل رقم التليفون . رفع السماعة ثم أدار الرقم .

٢١

وصل هاورد قرية فورت وليام الواقعة في اجمل مناطق جبال اسكوتلندا ، في سيارته المؤجرة الصغيرة ولقي دار السيد ماكدونالد الذي كان قد سمع الكثير عنه من صديقه ستوفر . كان داني ماكدونالد شاباً ذا شعر اشقر واكتاف عريضة وبنية رياضية ، اذ أنه كان صياداً محترفاً للغزلان . وصيد الغزلان هي الرياضة الاولى في هذه الجبال الوعرة ولصياديها شهرة تصل الى خارج حدود اسكوتلندا وتتناقل اخبارهم الصحف والمجلات المحلية المتخصصة بشؤون الصيد والرماية .

- «السيد ماكدونالد؟ اسمي پيتر هانبري . لقد اتصلت بك قبل قليل» .

- «داني ماكدونالد . اني مسرور للقائك يا سيد هانبري ، تفضل . اتشرب الشاي؟»

جلس هاورد في غرفة الاستقبال الصغيرة ، مرحباً بفكرة شرب الشاي ونظر حوله عند ذهاب ماكدونالد الى المطبخ . كانت غرفة بسيطة لم تظهر عليهاآثار العناية النسائية . فقد تناثرت في إحدى جوانبها بعض المعدات وقطع الغيار والقناني الفارغة ، اما اللمسة الشخصية الوحيدة فقد كانت صورة فوتوغرافية لامرأة في الثلاثينات من عمرها مع ولديها الصغيرين كانت معلقة على احد الجدران . عاد ماكدونالد من المطبخ حاملاً معدات الشاي ، فقال له هاورد :

- «شكراً يا سيد ماكدونالد ، فانني كما اخبرتك على الهاتف ، اعمل لحساب مجلة امريكية لهواة الرماية والصيد في الولايات المتحدة ويمكن تلخيص مهمتي بالكتابة عن الاحداث الجانبية والطرائف لمسابقات الرماية . على كل حال فقد سمعت من احد الاصدقاء بأنك قد انجزت انجازاً كبيراً في اصطياد غزال في العام الماضي وارغب بكتابة مقال اصف فيه الحادث ولو تكرمت ورويتها لي بنفسك . . لقاء مبلغ خمسين جنيهاً طبعاً» .

هز ماكدونالد برأسه وقال :

- «لم لا؟ ما الذي تريد معرفته؟»

- «بالمناسبة ، لقد تكلمت مع الكولونيل ، وروى لي دوره في الحادث . كان شديد الاعجاب بمهارتك بل ذهب في مديح قابليتك في الرماية الى الحد الذي تصورته يبالغ بعض الشيء . هلا تحدثني بنفسك عن هذا الحادث بالذات؟»

كان ما قاله هاورد كذباً ، اذ أنه لم يلتقِ بالكولونيل بل كان مصدره الوحيد هو ستونر . فاجابه ماكدونالد :

- «ان الكولونيل صياد ماهر ، الا انه ، في هذه المرة ، لم يحالفه الحظ . فقد تحرك الغزال في اللحظة الاخيرة وجاءته الضربة بالقرب من كتفه وهرب ، ولم تسنح لنا فرصة لضربه مرة اخرى الا عندما كان على بعد خمسمائة ياردة» .

نظر هاورد بتركيز الى وجهه وقال :

- «ولماذا قمت بالتسديد انت ، عندما كان الغزال يتحرك وهو يبعد كل هذا البعد عنك؟»

فأجابه ماكدونالد :

- «احسنت السؤال يا سيد هانبري . فقد كنت على ثقة من قابليتي ، لم تكن الضربة ضرورية اذ كان الحيوان يلفظ انفاسه الاخيرة الا أنه كان سيبتعد عنا كثيراً . وتبدو الضربة اصعب مما كانت في الواقع فقد كانت تساعدني بعض العوامل . اولاً كانت الرياح هادئة تماماً . فمثلاً لو كانت الرياح تتحرك بسرعة خمسة أميال في الساعة لكان عليّ أن اغير اتجاه التسديد بمسافة قدم بإتجاه الريح من اجل التعويض عن حركة الرياح . وثانياً ، لم اجد صعوبة بتحديد سرعة الغزال ، اذ أنه كان يتسلق سفح الجبل عمودياً وكان تحركه بطيئاً . وثالثاً فهناك موضوع تقدير المسافة وهي في غاية من الاهمية ، خصوصاً على مسافة خمسمائة ياردة ، اذ أن الخطأ بمسافة صغيرة مثل خمسين ياردة قد يؤدي الى عدم اصابة الهدف بمقدار قدم او اكثر . فيجب على المرء أن يكون دقيقاً بتقدير المسافة . وبما أن الغزال كان يتسلق الى الاعلى ، فكان عموده الفقري ممتداً بطوله امامي مما زاد من حجم هدفي ، اذ أن ضربة في العمود الفقري كانت ستكون ضربة قاتلة . وكنت استعمل اطلاقة بعيار ٠,٢٧٥ التي كانت ستنخفض بمسافة اربعة اقدام لو

صوبت لمسافة خمسمائة قدم . اضف الى ذلك ثلاثة اقدام للتعويض على تحرك الغزال وما كان عليّ الا أن اصوب بمسافة سبعة اقدام فوق الهدف . وكما تعلم فقد توفقت في الاصابة . كانت هذه هي النظرية ، اما عملياً فلم يكن الامر كذلك» .

وتساءل هاورد قائلاً :

- «ماذا تقصد بذلك؟»

فأجابه ماكدونالد :

- «للنظرية فوائدها ، الا أن المرء لن يتمكن من الجلوس بهدوء على سفح جبل ويأخذ من وقته لاجراء كل هذه الحسابات . الرامي الجيد يتصرف بغريزته ويتعامل مع كل هذه الحقائق تلقائياً . فلو سألني الكولونيل آنذاك عن حساباتي في التسديد لما تمكنت من اجابته ، اما كل الذي شرحته لك فقد قمت بتحليله فيما بعد» .

- «الا انك كنت واثقاً من تسديدك آنذاك؟»

- «نعم . كنت واثقاً . والآن سيد هانبري اخبرني عن نفسك . فانك بدون اي شك لا تمت الى الصحافة الامريكية بشيء اذ لم تذكر اسم مجلتك ولم تكتب شيئاً من الذي قلته ثم انك لم تهتم بغير الامور الفنية لعملية التسديد ، وكما يعلم الجميع ، فان القصة الصحافية الجيدة تدور حول ما هو اكثر من النقاط الفنية . فان لم تكن صحافياً ، من تكون اذن؟»

ادرك هاورد بأن امره قد انكشف وارتسمت ابتسامة على وجهه .

٢٢

قام هاورد بالاعتذار من ماكدونالد وأفصح له عن اسمه الحقيقي وأخبره بأنه كان يريد التأكد من قابليته قبل أن يشرح له تفاصيل المهمة وارتسمت على وجه ماكدونالد علامات الحيرة والدهشة وبدأ يتساءل :

- «والآن يا سيد هاورد ، تسألني عما اذا كان من الممكن لاحد أن ينال هدفاً قطره ستة انجات وعلى بعد الف ومائتي ياردة . أهذا صحيح؟»

- «هذا صحيح»

- «حسناً ، والجواب على سؤالك هو أن الامرَ ممكن من الناحية النظرية . فباستعمال بندقية القنص البعيدة المدى ومن الطراز المتخصص التي يكون منظارها موزوناً بدقة لما يتناسب مع المسافة المعنية ، يمكن إضاعة أقل من نصف الدرجة للزاوية ، أي أن مقدار الانحراف لن يكون أكثر من نصف بوصة على مسافة مئة ياردة . وعلى مسافة الف ومائتي ياردة سيكون مجال الانحراف أكبر بأثني عشر ضعفاً ، لذا فتقع مجموعة من الاطلاقات ضمن دائرة قطرها ستة انجات . الا أن الجانب العملي أصعب من ذلك بكثير فهناك عدة عوامل يجب النظر فيها ، هذا بافتراض بأن الرامي لن يرتكب أية اخطاء ، أي أن يكون تسديده دقيقاً تماماً» .

- «وما هي هذه العوامل؟»

- «لنفترض بأنك تستعمل عياراً نارياً أكثر تطوراً من العيار ٧,٢٦ ملم المستخدم من قبل قوات حلف شمال الأطلسي الذي تنخفض سرعته على مسافة تسع مئة ياردة الى أقل من سرعة الصوت مما يؤدي الى فقدان توازنها . فستحتاج اذن الى عيار تكون سرعته على مسافة الف ومئتي ياردة ، أكثر من سرعة الصوت . لكن هناك بعض العوامل الاخرى مثل درجات الرطوبة والحرارة والضغط الجوي . فلنبدأ بدرجة الرطوبة

والتي هي أقل تأثيراً . فمهما كانت الفوارق في درجات الرطوبة فان مجال الخطأ على مسافة ألف ومئتي ياردة لا تزيد على الانج الواحد . أما درجة الحرارة فلها اهمية أكبر ، اذ أن الفارق بمقدار درجة مئوية واحدة ستؤدي الى فارق بمقدار بوصة واحدة على مسافة الف ومئتي ياردة . أي أن الفارق في الدقة ما بين التسديد فجراً وظهراً قد يكون بمقدار عشرة بوصات اذا تغيرت درجة الحرارة بمقدار عشر درجات مئوية» .

- «الى هذا الحد؟ لم أكن اعرف ذلك من قبل »

«نعم ، وأنا أتكلم الآن عن عيار ناري متميز أما في حالة استعمال العيار الاعتيادي فيكون مجال الخطأ أكبر من ذلك بكثير» .

واستمر ماكدونالد في حديثه قائلاً :

- «اما الضغط الجوي فقد يكون تأثيره أكبر بكثير ، اذ أن الفارق بدرجتين يؤدي الى انحراف بمقدار بوصة واحدة على مسافة الف ومئتي ياردة ، هذا مع العلم بأن التغيرات المناخية كثيراً ما تؤدي الى فوارق بمقدار ثلاثين درجة في الضغط الجوي . وكلما قل الضغط الجوي قل مقدار المقاومة الهوائية للعيار الناري» .

- «لقد فهمت الموضوع الآن» .

وأُعجب هاورد بمقدار فهم ماكدونالد الدقيق ومدى استيعابه لكل هذه الاحصائيات والمعلومات .

وواصل ماكدونالد كلامه :

- «اذن من الناحية النظرية فإن الرماية في يوم تكون درجة حرارته عشر درجات مئوية في جنوبي انكلترا على ارتفاع ثلاثمائة قدم فوق سطح البحر ، لن تؤدي الى نفس النتائج للتسديد هنا في هذه الجبال في الايام الحارة مثلاً . فنحن على ارتفاع الف وخمسمائة قدم فوق سطح البحر ولو كانت درجة الحرارة أكثر من عشرين درجة مئوية فسيكون مجال الانحراف على مدى الف ومئتي ياردة هي ثلاثة اقدام خارج الهدف . فهل فهمت الآن مدى صعوبة التسديد الدقيق على مدى بعيد؟»

- «نعم لقد فهمت ، يبدو بأن القضية أعقد مما كنت أتصورها» .

- «ليس هذا فحسب . فهل سمعت بمبدأ ماغنوس؟»

- «ابداً ، هل هو متعلق بدوران الكرة الارضية؟»

ابتسم ماكدونالد وقال :

- «لا ، بل أن مبدأ ماغنوس يتعلق بدوران الاطلاقة النارية ، فان النتوءات في براميل البنادق تؤدي الى دوران الاطلاقة وذلك يؤدي بدوره الى ثبات مسيرتها . ويكون هذا الدوران عادة نحو اليمين ولذلك فبالنسبة للتسديد على مسافة الف ومائتي ياردة يجب اتخاذ بعض الاجراءات للتعويض على ذلك»

- «يبدو من حديثك بأن هذه المشكلة يمكن تجاوزها»

- «نعم ، أجاب ماكدونالد ، فهذه المسألة بالذات لا تشكل عقبة كبيرة ، إلا اننا نواجه مشاكل أخرى أكثر صعوبة تتعلق بعوامل قياس المسافة والرياح . فمن الصعوبة تحديد المسافة بالدقة المطلوبة على الطبيعة مثلما يتمكن الرماة في مسابقات الرماية ، حيث يكونوا متأكدين من المدى الى حد آخر ياردة . أما من حيث الرياح فالمشكلة أكبر بكثير . فعبر مسافة الف ومئتي ياردة قد تحصل تغيرات في سرعة الرياح على نطاق محلي مثلما يحصل احياناً في البحر فقد تشاهد في الايام التي يكون فيها البحر هادئاً ، تحركات للامواج على مسافات متباعدة بسبب الرياح المتقطعة . فاذا حصلت هذه الظاهرة اثناء عملية التسديد واخطأنا بتقدير المسافة بمئة ياردة فقط نكون قد أخطأنا الهدف بما يزيد عن الستة اقدام» .

نظر اليه هاورد بقلق وقال «يا للمصيبة! لم اكن اتوقع أن تكون القضية بمثل هذه الصعوبة» .

أجاب ماكدونالد : «طبعاً هناك حلول لهذه المشاكل ايضاً . ففي ساحات الرماية هناك في العادة الكثير من الأعلام التي يمكن للرامي استعمالها لقياس سرعة الرياح»

فقال هاورد : «لندقق بالامر جيداً . لو فرضنا بأننا نتمكن من قياس الارتفاع والضغط الجوي ودرجات الحرارة والرطوبة . .»

قاطعه ماكدونالد قائلاً : «اسمح لي أن اقول شيئاً قبل أن تكمل حديثك ، فأنك ستحتاج الى بعض الوقت لاجراء كل هذه الحسابات وهناك جداول ومعادلات رياضية يجب أن تستعملها للوصول الى الحل الامثل وقد يستغرق كل ذلك حوالي عشرين دقيقة»

- «لدينا خمس دقائق كحد أقصى»

- «الامر مستحيل الا اذا كنت قد اجريت كافة الحسابات المحتملة قبل شروعك بالرماية ، وقد تستغرق هذه عدة ايام وذلك بدون ادخال سرعة الرياح أو المسافة في الحسابات»

- «ربما سيكون هنالك علم أو علمين على أكثر تقدير وقد نتمكن من معرفة المسافة ضمن حدود الخمسين ياردة كمجال للخطأ» .

أجابه ماكدونالد «قد تكون هذه التقديرات دقيقة اذن وما هو عدد الاطلاقات التجريبية التي ستقوم بها من أجل تقدير كل هذه الظروف قبل التسديد على الهدف الذي قطره ستة انجات»

- «لن نتمكن من القيام باية اطلاقة تجريبية»

- «ولا حتى اطلاقة واحدة»

- «هذا صحيح»

ابتسم ماكدونالد وهو يهز برأسه :

- «يا سيد هاورد ، سأكون صريحاً معك ، في حالة هبوب الرياح مهما كانت سرعتها ، وعدم معرفة المسافة بدقة فلا يوجد احد في العالم يتمكن من اصابة هذا الهدف في المحاولة الاولى . بل سيكون سعيداً لو اصاب هدفاً مساحته ستة اقدام فما بالك بستة انجات . عادةً استعمل جهاز قياس المسافات للتمكن من اصابة الهدف بعد المحاولة الثالثة أو الرابعة ، أما في المحاولة الاولى فالامر مستحيل» .

- «سنتمكن من الحصول على جهاز قياس المسافات»

- «سنحتاج الى وسيلة دقيقة لقياس سرعة الرياح وهناك جهاز الكتروني يعطي قراءة دقيقة لو وضعت محطاته الصغيرة على نقاط متباعدة في طريق مسار الاطلاقة»

فقال هاورد بحماس «ممتاز! ليّ صديق يعمل كخبير في الاجهزة الالكترونية سيتمكن من تزويدنا بمثل هذا الجهاز . والآن يا سيد ماكدونالد ، فلو وفرنا لك كل هذه الاجهزة والقياسات ، فهل ستتمكن انت من النجاح في تسديدك الاول للهدف؟»

نظر اليه ماكدونالد بتعجب ثم أجاب بحذر قائلاً :

- «نعم يا سيد هاورد ، أعتقد بأنني سأتمكن من ذلك . وإن قلت لك بأني متأكد تماماً من نجاحي فلا تصدق ذلك ، حيث لن يتمكن احد من الجزم بهذا العمل . أما اذا كان

الجو مناسباً فقد تكون العملية ممكنة التنفيذ ، والآن اخبرني يا سيد هاورد عن مغزى هذا الكلام كله ، فلعلك تختبرني الى هذا الحد من التفصيل لانك قد دخلت في رهان مع احد اصدقائك ، أليس كذلك؟»

سكت هاورد فاستمر ماكدونالد في كلامه قائلاً :

- «لا مانع لدي أن اجري هذا الاختبار من أجل رهان ما ، أما اذا كنت ستدفع لي اجوراً ، وسأشترط على تحديد نوع البندقية والعيار الناري ، فلا يوجد أكثر من مصنع واحد في العالم ينتج سلاحاً بهذه الدرجة من التخصص . ولكن ما هو سر هذا الهدف الذي قطره ستة بوصات فقط؟»

- «الامر ليس كما تتصور يا سيد ماكدونالد ، فلا يوجد أي رهان . اننا نستهدف رجلاً»

نهض ماكدونالد بسرعة والغضب ظاهر على وجهه ، وقال وهو يجرب السيطرة على صوته من شدة انفعاله :

- «ماذا تقول؟ انك مجنون . ارجو أن تذكر لي ولو سبباً واحداً يدعوني الى الامتناع من تسليمك الى الشرطة للتحقق من كلامك هذا؟»

فأجابه هاورد بهدوء

- «الهدف هو صدام حسين» .

جلس ماكدونالد وعلامات الذهول بادية على وجهه . حدق في وجه هاورد لبرهة وهمس :

- «اخبرني بأنك تمزح معي رجاءً»

- «انني في غاية من الجد يا سيد ماكدونالد . واعتقد بأن هناك ثلاثة اسباب جيدة تدعوك الى عدم ابلاغ الشرطة»

والقى هاورد نظرة سريعة الى جانبه ، صوب الصورة المعلقة على الجدار .

فهم ماكدونالد معنى النظرة وتقلصت عضلات جسده وبرزت الشرايين على وجهه وقال بصوت خافت «يا أيها الوغد . لقد كنت تعلم أليس كذلك؟ «نعم سأقتله . سأقتله!»

٢٣

ترك هاورد أدنبره الى لندن وهو غارق في التفكير بموضوع حديثه مع داني ماكدونالد . وكان مدركاً تماماً بأهمية هذا الحدث بالنسبة للعملية ، اذ انه قد تمكن من اجتياز آخر عقبة مهمة امام اكتمال فريقه . وفي صباح اليوم التالي ذهب الى مقر المجموعة في شارع لَونْدَس ليجد بورن جالساً وراء مكتب صغير في الوحدة رقم ٨ وهو يتفحص رزمة كانت قد وصلته بالبريد يقوم بحفظها هناك ، اذ أن الوحدة سرعان ما تحولت الى مخزن وضعت فيه العشرات من الصناديق بأكداس مرتبة ومصنفة على حسب محتوياتها .

– «صباح الخير يا جوني . كيف الحال؟»

– «الامور جيدة يا إد ، لقد رجع ميْل وأندي من تكساس صباح البارحة ويبدو انهما قد وجدا طياراً مناسباً»

وأخبره عن سوليڤان ، فابتهج هاورد : «هذه أخبار جيدة . هل سمعتم عن مايك؟»

– «لا ، فأنه يلاقي بعض المشاكل في العثور على الاجهزة ، لكنه سيتصل بنا لو كان بحاجة الى أية مساعدة . وكيف سارت الامور في اسكوتلندا؟» .

– «لقد توفقت هناك ، داني ماكدونالد خبير متميز وأفضل بكثير مما كنت أتوقع»

وسرد هاورد رواية لقائه بماكدونالد فأبدى بورن اعجابه وقال :

«أنتَظِرُ لقاءه بفارغ الصبر ، بالمناسبة حينما اتصل بي أندي وميْل طلبت منهما أن يلتحقا بكْرِس فهو ما زال يبحث عن طائرة» .

– «نعم فان إيجاد طائرة مناسبة لنا سيستغرق بعض الوقت . ولماذا لم تلتحق بهم أنت أيضاً؟»

هز بورن رأسه قائلاً :

– «ان إدارة ثلاث شركات في آن واحد يأخذ كل وقتي»

- «انني متعاطف معك . حسناً سأذهب الآن للقاء الاخرين . أين توني؟ لدي مهمة له» .

- «في الوحدة المجاورة ، رقم ٩ ، فقد اكمل نصب معداته وتحولت الوحدة الى ورشة عمل ، أما هذه فتحولت الى مخزن ، وهو منهمك الآن بإعداد معدات الكاتم الصوتي للبنادق» .

- «وماذا عن الوحدة رقم ١٠ ؟» سأل هاورد

- «لا شيء لحد الآن ، ستصل الحاوية في الاسبوع القادم وسنضعها هناك» .

- «حسناً . عد انت اذن الى شركاتك وسأذهب لمقابلة الشباب» .

دخل الى الشقة المجاورة وشاهد أكفورد مرتدياً نظارات واقية ويحمل اسطوانة صغيرة كان يهم بوضعها في احدى المكائن الموجودة امامه ، التفت الى رئيسه وقال : «صباح الخير سيدي . أكانت رحلتك الى الشمال موفقة؟»

- «نعم ، كانت كذلك . لقد وافق الرجل واعطاني قائمة من الاحتياجات ، وكيف عملك؟»

- «جيد ، لقد انتهيت من صنع كاتم واحد وها انا ابدأ بالثاني»

- «وكم سيستغرق صناعة ثمانية منها ؟»

- «ليس أكثر من بضع ساعات . فالمكائن الموجودة هنا تسهل كثيراً من العمل» .

- «هذه أخبار جيدة . وهل سمعت بهذه المؤسسة من قبل» وأعطاه هاورد ورقة مطبوعة .

قرأها أكفورد وقال «شركة اكيوراسي الدولية؟ فعلاً لا يوجد من ينافسهم . ماذا ستطلب منهم - (L96)؟»

كانت شركة اكيوراسي قد صممت بندقية (L96) للقنص البعيد المدى لتحل محل بندقية (L42) القديمة والتي استخدمها الجيش البريطاني .

فأجابه هاورد : «لا ، ليست هذه . هناك الآن جيل ثان من نوع (L96) والتي هي افضل بكثير من سابقتها وتدعى AW . أما نحن فسنطلب النوعية المتخصصة من هذه الاخيرة السوبر ماغنوم» .

كان الجيش السويدي قد باشر باستعمال الـ AW وكانت كلا الـ AW والـ (L96)

مستخدمة لدى قوات حلف الناتو وبعيار ٧,٦٢ملم . وهذا العيار يصلح للتسديد الدقيق لمدى ثمانمائة ياردة ، وكانت تفقد الاطلاقة الكثير من سرعتها ما بعد هذه المسافة ، لذا قامت شركة اكيوراسي الدولية بتصميم السوبر ماغنوم بعيار اقوى . والنتيجة كانت (الـ لابوا ماغنوم بعيار ٠,٣٣٨) التي تصلح للتسديد على مسافات بعيدة جداً .

قال أكفورد «لم اكن قد سمعت بالـ لابوا ماغنوم ٠,٣٣٨ من قبل» .

فاجابه هاورد « أما انا فسمعت بها ، الا اني لم اكن اعرف عنها شيئاً حتى الآن . فهي بندقية ضخمة وتخرج منها الاطلاقة بسرعة ثلاثة آلاف قدم في الثانية»

– «وعلى أية مسافة تصبح سرعة الاطلاقة أقل من سرعة الصوت؟»

– «على مسافة الف وثلاثمائة ياردة أو أكثر بقليل»

– «حسناً . . هل تريد أن أملي طلباً؟ لا أعتقد بأن ذلك سيكون سهلاً ، اذ أن شركة اكيوراسي تتشدد باجراءاتها الامنية . سوف اضطر لاستعمال اجازة الشركة لشراء الاسلحة ، الا أنني سأضطر الى تسجيل الطلب بأسم حكومة اجنبية صديقة» . وكانت بحوزة شركة هاورد ، اجازة لشراء الاسلحة لتتمكن من استعمالها في مهامها الامنية حينما تتطلب الظروف منها ذلك» .

– «حسناً . فلنقل كولومبيا ، سيتمكن زيغلر من مساعدتنا عند عودته فهو يقوم ببعض الاعمال هناك بموافقة حكومتنا . وارجو الا تنسى بأننا سنحتاج الى بندقيتين ، لا واحدة . هل تعتقد بأننا سنواجه أية صعوبات بأقتناء بقية متطلباته؟»

– «لا ، سنتمكن من شراء كل شيء بدون أية مشاكل»

كان هاورد سعيداً بأن الامور تجري بسلاسة .

دخل هاورد الى الوحدة المجاورة وجاء اليه أوشر قائلاً : «ان هذه الاجهزة للقياس تبدو سهلة الاقتناء ، ويمكننا اجراء بعض التعديلات الالكترونية عليها لتناسب المتطلبات التي كنت قد ذكرتها لي ويمكن لـ (كْرِس پالمر) مساعدتنا في هذا الامر لأنه من ضمن اختصاصه»

أجاب هاورد «ممتاز . ارجو أن تعيدا تصميم الجهاز ليكون بأصغر حجم ممكن ، وان تزودوه ببطارية طويلة المدى . ثم اريدكم أن تصبغوا خارجه باللون الكاكي أو الترابي . ولا تنسوا بأن تختاروا لجهازالارسال ذبذبة يصعب التقاطها ، فلا نريد أن تتداخل مع

ذبذبة أجهزة ارسال سيارات الشرطة اثناء عملنا»

- «سأقوم بذلك . بالمناسبة سيدي»

- «ماذا يا بوب؟»

قال أوشر وهو يبتسم «هل نسيت تركيا؟»

ابتسم هاورد عندما تذكر الفترة التي قضاها مع أوشر في السجن التركي . لقد كان رجل المخابرات الاسبق خير رفيق له آنذاك ، فرغم الظروف القاسية في السجن بقيت علاقتهما جيدة ، أما السجناء الآخرون فكانوا على صراع دائم فيما بينهم . حيث ادت هذه التجربة الى تقوية علاقة الصداقة والاحترام بين الرجلين .

قال هاورد «لا تقلق يا أوشر . استطيع أن اؤكد لك بأنك لن تخسر المزيد من شعرك ، مهما كانت مهمتنا صعبة»

ضحك أوشر وانصرف الى عمله .

٢٤

في اليوم التالي اتصل پالمر ببورن هاتفياً من دبلن ليخبره بنجاح مهمة إيجاد طائرة مناسبة للعملية ، وهي طائرة من محركين من نوع أيلندر Islander BN2b-20 ، وبحالة جيدة جداً ومزودة بخزان كبير للوقود يؤهلها للطيران لمسافة أكثر من ألف ميل بحري . ومزودة بالعديد من الاجهزة الاضافية مع جهاز الطيران التلقائي (الاوتو پايلوت) ، ولم يبق على پالمر سوى إضافة جهاز GPS لتقدير الاتجاه بالستلايت . وايلندر هي طائرة مزودة بنظام STOL والذي يؤهلها للاقلاع والهبوط على مدرج لا يتجاوز طوله مئتين وخمسة عشر متراً فقط .

– «انها أنسب طائرة لنا يا جوني . يجب أن نتصرف فوراً ونقوم بشرائها قبل فوات الأوان» .

قام بورن بتهنئة پالمر على انجازه قائلاً : «لقد أحسنت في عملك يا كْرِس . سيفرح أدْ لسماع هذه الانباء السارة . أما أنا فسأباشر الليلة باجراءات الشراء»

سافر بورن الى دبلن في تلك الليلة . وفي صباح اليوم التالي ، قام بانتحال شخصية «بريس» وذهب مع پالمر لاجراء عمليات تحويل العملة وتسجيل الطائرة بأسم احدى شركاته .

٢٥

استدارت الشاحنة الكبيرة نحو شارع شارع «لوندس» واستمرت ببطئ حتى نهايته حيث توقفت أمام الوحدة الصناعية رقم (١٠) ترجل السائق وضغط على الجرس في الباب الخلفي ، انفتح الباب . . . وظهر رجل في العقد الثالث من عمره ذا وجه مدور وعرّف نفسه للسائق ، «اسمي بْرَيس» وبعد ان تبادلا بعض الكلمات فتح المستر بريس الباب الكبيرة للوحدة رقم (١٠) ، وعاد السائق الى الشاحنة . . . ليقودها داخل المبنى . وبعد عشر دقائق كانت الشاحنة داخل الوحدة الصناعية رقم ١٠ . أكمل السيد بريس معاملات الشاحنة . . . ووقع على بعض الاوراق وسلمها للسائق الذي أخرج الشاحنة من المبنى . . . تاركاً خلفه حاوية طولها إربعون قدم تستخدم لنقل البضائع المجمدة .

بعد ان تركت الشاحنة الوحدة الصناعية رقم (١٠) اغلق السيد بريس الباب الكبيرة ، وبدأ بنزع قناع الوجه وبعض الحشوات التي كان قد وضعها داخل فمه ، فالسيد بريس كان في الحقيقة جوني بورن!

دخل أعضاء الفريق الآخر : أوشر هاريس وهاودر الى المبنى ، وبدأوا يفحصون الحاوية المجمدة . ذهب اكفورد الى مؤخرة الحاوية وسحب سلماً صغيراً تسلقه ، ثم بدأ بفتح باب التحميل ، واكتشف في الحال ان الشركة المجهزة للحاوية كانت قد تركت جهاز التبريد . . . وأن درجة الحرارة داخل الحاوية عشرين تحت الصفر ، صاح اكفورد «اللعنة! سأضطر الى ترك الابواب مفتوحة لغاية ارتفاع درجة الحرارة ، قبل ان اتمكن من البدء بالعمل على الحاوية!»

أجابه هاورد : «لعلهم كانوا يتصورون بأننا سنقوم بتحميلها فوراً يا توني فهذه الحاويات نادراً ما تترك خالية» .

- «إلا انها ستكون خالية ولفترة طويلة جداً ، على اي حال فهي تعود لنا الآن . . .

أليس كذلك؟ وحين انتهائي من ادخال التغييرات اللازمة عليها ، فسوف نقوم بتحميلها بشحنة غير اعتيادية» .

- «امامنا وقت طويل وسوف نتمكن من العودة الى اعمالنا الاعتيادية في شركة XF من اجل ألا نلفت الانظار الى المشروع ، واذا كنت ستحتاج الى مساعدة خلال الاسبوعين القادمين فيمكنك أن تتصل بنا يا توني ، أما نحن فسنعاود لقاءاتنا بخصوص العملية بعد ثلاثة اشهر . هل لديك كل ما ستحتاجه؟»

- «نعم سيدي ، لن اتوقع حصول أية مشاكل» ثم بدأ توني أكفورد بفحص الحاوية والقى نظرة على جهاز التبريد فيها وقال «أن جهاز التبريد يحتل جانباً كبيراً من الحاوية فيجب أن اقوم بشق فتحة اخرى في الجانب الآخر ، واعتقد بأن عرضها سيكون أكبر من ثمانية عشر انجاً . فهل سيكون ذلك كافياً؟ ما هو حجم أكبر المعدات التي يجب ادخالها»

فكر هاورد بالموضوع وقال :

- «ستكون المجمدة الصغيرة ، اما باقي المعدات فسوف تدخل بسهولة . ارجو أن تعجل في معرفة القياسات بشكل دقيق حتى يتسنى لنا شراء مجمدة اصغر اذا اضطررنا لذلك»

- «سأقوم بالمهمة غداً واعتقد ان الحاوية ستفقد تجمدها الى ذلك الحين ، بالمناسبة فاني افضل ان استمر بالعمل خلال عطلة أعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية ، زوجتي ستكون قد سافرت الى دبلن ، وانا اكره الولائم المصطنعة في مثل هذه المناسبات . . ارجو ان تزودني بورقة اثبات من اني سأعمل خلال فترة العطل الرسمية» .

- «طيب» اجابه هاورد « ولكن حاول ان تنهي الاعمال التي ستخلق ضجيجاً قبل فترة الأعياد لكي لا تجلب انتباه الآخرين اليك» .

في اليوم التالي ، العاشر من كانون الاول (ديسمبر) بدأ أكفورد العمل على الحاوية بعد أن كان قد علقها في الهواء باستعمال رافعة ثقيلة . أجرى توني أكفورد بعض التعديلات على الحاوية من الداخل بعد ان انتزع بعض الصفائح العازلة ، ثم قام بشق فتحة في جانب الحاوية تكفي لمرور شخص من خلالها . . وذلك باستعمال منشار كهربائي . وفي نهاية كانون الاول (ديسمبر) انهى توني العمل وذهب ليخبر بورن الذي

جاء الى الوحدة (٨) ليتفقد الامر، وبعد اطلاعه على الحاوية من الخارج والداخل التفت الى أكفورد وقال :

- «بالرغم من اني لست خبيراً، إلا انني لا ارى أن شيئاً قد تغير، فما هو الذي قمت به يا توني؟» .

ابتسم توني أكفورد وقال :

- «ظاهرياً، لم يتغير شيء، إلا انني حولت تأثير مروحة المجمدة الى مروحة عادية حيث تقوم بادخال الهواء النقي ثم قمت بتحويل جهاز قياس درجة الحرارة الموجود على الجدار الخارجي بحيث يؤشر دائماً الى عشرين درجة مئوية تحت الصفر، بينما الحرارة الفعلية للداخل ستكون اعتيادية. وقمت بوضع هذه الفتحة الجديدة على الجانب والتي ستكون، كما ترى، خفية عن الانظار وعلى من يستعملها أن يضع بعض الرتوش في الطلاء لكي تبقى كذلك»

- «احسنت صنعاً يا توني، نعم لقد كان عملك مدهشاً. سيفرح إد هاورد عند مشاهدته منجزاتك» .

- «سيحضر إد بعد اسبوع ليتفقد العمل، ومن ثم سنضع بعض الاضافات الضرورية، ونبدأ بعد ذلك بتحميل الحاوية.. حيث قد يستغرق ذلك اسبوع او اسبوعين على ابعد احتمال» .

- «وبعد ذلك سنكون انتهينا من كل شيء» .

- «بقي عليّ أن اجري بعض التعديلات على البندقية حينما تصل الينا. يجب أن اناقش صديقنا الاسكوتلندي بهذا الشأن. وبالمناسبة، متى سنلتقي به ؟»

قال بورن : «انا ايضاً ارغب بلقائه. أما انت يا توني فعليك أن ترتاح لبضعة ايام بعد تعبك هذا، حيث لن يبق أمامنا أي عمل بعد ذلك.. أراك إذن يوم الاثنين» .

وهز أكفورد رأسه وقال : «نعم قد يكون من المستحسن ان ازور والدي لليلة رأس السنة... وأتفقد أحوالهم... زوجتي ما زالت في ايرلند» .

عندما ترك بورن الوحدة رقم (١٠)، استمر اكفورد بطلاء منطقة صغيرة خارج الحاوية، ومن ثم أطفأ الانوار وقفل الباب، ثم اتجه بسيارته غرباً. توقف في احدى الكراجات على الطريق، وترك سيارته «فوكسول» التي كان قد استأجرها في ساحة

وقوف السيارات ، وانتقل الى سيارته «هوندا» واستمر باتجاه الجنوب الغربي . . . حيث وصل الى منزل والديه في مدينة تونتن في الساعة الخامسة بعد الظهر .

بعد سبع ساعات . . . احتفل اعضاء الفريق ، عدا مايك زيغلر الذي كان في الولايات المتحدة ، بحلول رأس السنة الميلادية كل في محل تواجده في بريطانيا . توني اكفورد اصطحب والديه الى مطعمهم المفضل . ميل هاريس وزوجته قضيا الليلة عند بعض الاصدقاء في مدينة ووستر ، بوب اوشر مع صديقته في مانشستر ، جوني بورن احتفل مع خطيبته جولييت شيلي ، أندي دينارد وكرس پالمر إحتفلا في ساحة الطرف الأغر «ترافالغار» في وسط لندن مع جموع المحتفلين الذين يرتادون على هذه الساحة في ليلة رأس السنة الميلادية .

أما إد هاورد فقد قضى الليلة لوحده في شقته في واندزورث يحتفل بطريقته الخاصة . وعندما دقت ساعة «بغ بن» معلنة نهاية العام ١٩٩١ ، فكر ملياً فيما تخفيه السنة الجديدة ١٩٩٢ وارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة ورفع قدحه واستغرق في تفكير عميق .

- «قريباً ، يا صدام ، سيحل عيد ميلادك الخامس والخمسون ، وسنحتفل به سوية يا ايها المجرم الوغد»

٢٦

قام بورن في صباح يوم الاثنين السادس من كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ ، بجمع الرسائل من صناديق البريد العائدة للوحدات الثلاث في شارع لوندس وجلس في مكتبه في الوحدة رقم ٨ يتفحصها . كانت معظمها متعلقة بعيد الميلاد الماضي وكان من بينها ايضاً بعض الرسائل التي كان قد بعثها هو لايهام رجل البريد بوجود عمل طبيعي في الوحدات الصناعية . أما الرسالة الاخيرة لفتت نظره ففتحها . كانت من شركة اكيوراسي الدولية تخبره عن وصول شحنة البنادق . فالتفت الى أكفورد قائلاً :

- «سأذهب لاستلام البنادق يا توني . وبما اننا سنستعمل اسم شركة XF اثناء الاستلام ، فأخشى بأني ساضطر أن اذهب بهويتي الحقيقية»

اخذ بورن سيارته الجديدة وتوجه الى لندن منتحلاً شخصية السيد «بريس» . اوقف السيارة في موقف السيارات الطويل الامد لمطار هيثرو . غيّر من هندامه قليلاً ثم ركب سيارته القديمة وتوجه الى ميناء بورتسموث . . . وبعد ان انهى مهمته ، عاد الى ذات الموقف ليغير سيارته وزيه ثم توجّه الى شارع لوندس ومعه حقيبتان طويلتان ، رفيعتان ، واخرى اصغر منهما . دخل الى الوحدة رقم ٨ وفتح الحقيبة .

اندهش أكفورد لمشاهدته للبندقيتين الكبيرتين - «يالها من صناعة فاخرة» .

- «نعم انه منظر جميل حقاً ، ولكن يجب الا تتعلق بهما . فلا تنسَ ان عليك القيام بفتح واحدة منهما» قال بورن .

- «اشبه ما تكون بعملية تخريب ، فاني لست متأكداً من مقدرتي على القيام بها» .

-«اذن لتقم بالعمل فوراً . فعليك فتح اقسام الواحدة لتضيفها الى الاخرى!»

ولكن أية منهما سأقوم بفتحها ، فأرى في كليهما الابداع الفني»

فقال بورن : «وما هي ارقامهما؟»

دقق في البندقيتين ليتعرف على ارقام الصنع في كل منهما ثم قال :

- «حسناً . فالعملية سهلة اذ أن الارقام متسلسلة وتنتهي برقمي ٨ و٩ . اذن خذ ٩ وابدأ بفتح اجزائها الداخلية على أن تعيد تركيبها فيما بعد بدون أن يتغير شكلها الخارجي»

وبدت علامات الاسف على أكفورد الا انه اخذ البندقية وغادر الغرفة وجلس بورن ليعبئ ثلاث استمارات رسمية ليرسلها الى وزارة التجارة مبيناً التفاصيل الفنية للبندقيتين ودور حكومة كولومبيا التي ستقوم شركة XF بتزويدها ببندقية استجابة لطلب منها وارسالها بالبريد . وبعد مضي اربعة اسابيع ارسلت له رخصة بتصدير البندقية التي ينتهي رقم صناعتها بالرقم ٨ ، فقام بورن بإرسال البندقية المعطلة من الداخل والتي ينتهي رقمها بـ ٩ وقد حُرّفت بدقة الى ٨ من قبل أكفورد الى كولومبيا .

وكان بورن على يقين بأن سلطات الجمارك في مطار هيثرو لن يدققوا الا بالاوراق الرسمية . فمن سيبذل جهداً كهذا لارسال بندقية عاطلة الى الخارج؟

اما السلطات في كولومبيا فستكتشف بأن البندقية عاطلة وسيتصل بهم بورن ليعتذر منهم ويقوم بإخبار السلطات البريطانية التي ستجد بأن البندقية الوحيدة التي تم تصديرها الى الخارج تحمل رقم ٨ . وبما انها عاطلة ولن تستعمل اطلاقاً ، فسيقومون بشطبها من سجلاتهم . أما بورن فسيحتفظ بالبندقية رقم ٩ التي ستحمل اجازة رسمية .

***

وصل ماكدونالد الى لندن قادماً من فورت وليام يوم الثلاثاء ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ واستقبله هاورد واخذه الى شارع لوندس ليلتقي باعضاء الفريق ما عدا زيغلر الذي كان في امريكا . قام هاورد بتعريف الرجال واحداً تلو الاخر الى أن وصل الى أكفورد وقال :

- «توني هو خبير الاسلحة وسيتمكن من اجراء التحويرات التي كنت قد طلبتها على البندقية»

فذهب ما كدونالد مع أكفورد الى الوحدة رقم ٩ وكانا غارقين في نقاش حول موضوع الاسلحة عموماً والسوبر ماغنوم بشكل خاص فالتفت هاورد الى الاخرين وقال :

- «يبدو أن كل شيء على ما يرام . ما رأيكم به؟»

فقال هاريس :«يبدو انه رجل متزن ويقظ واذا كانت رمايته فعلاً بهذ الجودة . .»
تدخل دينارد في النقاش وقال :
- «لقد اعجبني . اعتقد بأنه سيتوفق في مهمته ، يبدو انه رجل صريح ولا يحب المراوغة»
تساءل أوشر «ولكن هل قام بعمل عسكري من قبل؟ هل أن اعصابه بالقوة اللازمة؟ وماذا عن لياقته البدنية؟»
فأكد له هاريس : - «لا بد أن تكون لياقته عالية ، فهو صياد غزلان محترف ولن يتمكن من هذا العمل سوى الاشداء من الرجال . ثم اني وجدته رجلاً قوي الاعصاب ، ومتزناً واعتقد بأن العمل معنا سيناسبه ، على الرغم من انها ستكون اول تجربة له بالعمل العسكري»
وتوقف قليلاً ليتذكر تجربته الاولى وفكر بالشكوك التي كان يشعر بها وهو مقبل على عمل فيه خطر الموت . فالمشكلة هي في عدم التأكد من ردود فعل الآخرين ، اذ أن اضعف الرجال ربما يخرجون من المعركة ابطالاً وهم يتصرفون بهدوء وانتظام في حين قد يفشل من كان يبدو عليهم انهم جنود مقتدرون . الا أن غريزته كانت تعلمه بأنه كان على حق باختيار ماكدونالد . واستمر في حديثه :
- «والآن لدي اخبار عن مايك . فقد عاد من امريكا ويبدو بأنه تمكن من اقتناء كل احتياجاتنا» .
فسأله بورن : «وحتى نظارات الرؤيا الليلية ؟»
فأجابه هاورد : «نعم . وقد اخبرني بأن كل المعدات لا إشكال فيها . على كل حال ، فسنبعثه مع داني الى اسكوتلندا حيث سيقوم بتجربة البندقية في غابة نائية وسيتمكن مايك من ابداء رأيه بداني وبلياقته البدنية» .
وأظهر الجميع موافقتهم على المخطط وانصرف كل الى عمله .

***

جاء زيغلر في اليوم التالي ليخبرهم بما انجزه في الولايات المتحدة ، وبعد أن بادلهم التحية ، جلس وكلم هاورد قائلاً :
«لقد حصلت على كل شيء يا إد . يمكنك أن تبلغ جوني بأنه سيستلم شحنة جوية

في الاسبوع القادم ثماني قبعات للطيارين واربعة حاسبات صغيرة» .

- «وتكون اذن نظارات الرؤية الليلية قد اخفيت داخل القبعات؟ هذا عمل مدهش يا مايك . وكيف تمكنت من ذلك؟»

- «لا تسلني يا عزيزي . فلنقل بأن لي علاقات قديمة ونكتفي بهذا القدر من الكلام» .

- «حسناً لن اسألك ، وما هي هذه الآلات الحاسبة؟»

- «آخر اجهزة الالتقاط بالستلايت Navstar GPS . انها صغيرة للغاية ويمكن حملها يدوياً وتعمل على شفرة Q وتتمكن من خلالها معرفة موقعك الجغرافي الى حدود المئة متر اينما كنت في العالم» .

فقال هاورد «اذن يبدو بأنك قد توفقت في مهمتك ، ولدي مكافأة لك . سنرحل قريباً في اجازة قصيرة الى اسكوتنلدا وسأعرفك على شخص سيكون دليلك هناك . فهو يعرف الجبال هناك جيداً»

رحل زيغلر وماكدونالد الى اسكوتلندا في فجر يوم الاحد ١٩ كانون الثاني (يناير) في سيارة زيغلر ولم يتوقفا طيلة رحلتهم التي استغرقت قرابة عشر ساعات ، اذ كان زيغلر يقود سيارته بحذر لكي لا يلفت انظار الشرطة .

وصلا دار ماكدونالد في فورت وليام في الساعة الخامسة بعد الظهر ، وبدأ ماكدونالد فوراً بتهيئة طعام العشاء وقال لزيغلر :

«سنذهب الى البحيرة غداً . يمكننا استعمال السيارة للوصول اليها لو كنت ترغب في ذلك»

فأجابه زيغلر : «ولم لا نمشي فأنني متشوق الى التريض»

نظر اليه ماكدونالد وقال : لا مانع لدي ، الا أن المسافة ليست بقصيرة وسنكون محملين بالامتعة»

فقال زيغلر «الامر يناسبني تماماً»

وكان مستغرباً من تردد ماكدونالد الذي كان يتصور بأن المسافة ستتعبه في حين كان زيغلر متشوقاً لمعرفة لياقة ماكدونالد البدنية .

في الساعة السادسة من اليوم التالي خرج الرجلان من الدار وكان كل منهما يحمل

حقيبة على ظهره تزن حوالي سبعين رطلاً (٢٨ كغم) . كان الهواء بارداً ونقياً . وتحرك الرجلان بنشاط ، وبدون تبادل الكلام ، سار ماكدونالد في المقدمة وبعد أن قطعا مسافة ميل واحد دون أن تظهر على زيغلر علامات الارهاق ، زاد من سرعة مسيرته وتبعه زيغلر بسهولة لفترة ساعة وخمس واربعين دقيقة! توقف ماكدونالد وقال :

«امامنا خمسة اميال اخرى وسنبدأ بالتسلق فانتبه لخطواتك»

«هيا بنا اذن يا مايك»

بعد مسافة قليلة كانا يتوغلان بالثلج الذي بدأ يزداد عمقاً كلما زاد ارتفاعهما . وصلا اخيراً الى النقطة التي كانا يستهدفانها في الساعة العاشرة صباحاً بعد أن بذلا جهداً كبيراً في الجزء الثاني من المسيرة ، أي بعد ان قطعا خمسة عشر ميلاً من الارض الوعرة استغرقت حوالي ثلاث ساعات ونصف والتي كانت ستتطلب درجة عالية من اللياقة البدنية . كانت تمتد امامهم بحيرة محاطة بقمم جبلية مغطاة بالثلوج ونظر اليها زيغلر وقال :

- «الطبيعة هنا خلابة حقاً يا داني . لماذا لم آت الى هنا من قبل؟ انه حقاً منظر رائع .

نظر اليه ماكدونالد وهو يبتسم وقال :

«نعم ، اني احب هذه الجبال ايضاً . بدأ الرجلان بتفريغ حقائبهما والتي تضمنت بطارية كبيرة الحجم والبندقية واجهزة القياس ، وبعد برهة من الزمن اخذ زيغلر لوحة خشبية كانت ستستعمل كهدف وجهاز ارسال لاسلكي . مشى مسافة مئة خطوة وتوقف ليدع ماكدونالد يجري قياساً من خلال ناظور البندقية فطلب منه أن يتقدم لمسافة اربع خطوات واجرى قياساً آخر وقام زيغلر بزرع اللوحة في الارض . كان عرض الهدف ثماني عشرة بوصة وطوله خمسة اقدام ومطلياً بالصبغ الاصفر ، على ارتفاع ست بوصات . من الجانب الاسفل للوحة رسم مربع اسود اللون كان سيستعمل كأشارة لتحديد التسديد . كان زيغلر قد استغرب لمشاهدته اللوحة الصفراء في لندن ولم يكن يعرف سبب تفضيل اللون الاصفر على اللون الابيض المعتاد ، إلا انه اصبح الآن (وسط الثلوج) على يقين بالسبب . ورجع ليقف بالقرب من ماكدونالد .

نصب ماكدونالد البندقية على حاملة وباشر بالتسديد من اجل قياس سرعة الاطلاقة . وبعد أن اطلق اطلاقتين قام ببعض القياسات في دفتر كان يحمله بجيبه ،

وتمكن من معرفة التعديلات اللازمة التي يجب القيام بها على البندقية للتهديف من مسافة الف ومئتي ياردة .

اخذ زيغلر هدفاً ثانياً واخذ يمشي بسرعة باتجاه البحيرة وبعد عشر دقائق وصل الى نقطة كانت قد حددت مسبقاً من خلال دراسة تفصيلية للخرائط على انها تبعد الف ومئتي ياردة عن نقطة الانطلاق ونصب الهدف على الارض . وكان الهدف مساحته اربعة اقدام مربعة وكان في وسطه دائرة سوداء قطرها ستة بوصات . اتصل بماكدونالد مستعملاً جهاز الارسال ، وبعد أقل من دقيقة واحدة سمع صوت ماكدونالد على الجهاز يقول :

«حسب قياساتي يكون الهدف على بعد الف ومئتين وخمس وثلاثين ياردة . ارجع مسافة خمس وثلاثين خطوة ودعني اجري قياساً آخر»

وبعد دقائق قليلة كان الهدف على بعد الف ومئتي ياردة تماماً . تخفى زيغلر خلف حجارة كبيرة واخبر ماكدونالد بأن كل شيئاً جاهز . بعد ثلاثين ثانية سمع وشوشة العيار الناري وكبس فوراً على زر الساعة المؤقتة التي كان يحملها بعد ثانية ونصف تقريباً سمع صوت البندقية فأوقف الساعة المؤقتة واتصل بماكدونالد وقال : «كان الوقت ١,٤٦ ثانية . هل هذا صحيح؟»

«على هذا الارتفاع يكون ذلك صحيحاً . استغرقت الاطلاقة ١,٧٥ ثانية والصوت ٣,٢١ ثانية وهذا يعني بأن صوت البندقية سيصل بعد ثانية ونصف من الاطلاقة . واين كان التهديف؟»

ذهب زيغلر الى الهدف واندهش لما وجده «يا الهي! داني! لقد اصبت الهدف في وسط الدائرة في المحاولة الاولى!»

«حسناً ، سأجرب ثلاث اطلاقات اخرى»

وبعد انتهائه ذهب زيغلر الى الهدف ووجد بأن الاطلاقات الاربع ضمن مساحة خمس بوصات داخل الدائرة السوداء .

«يا داني! هناك الكثير من الهدافين الذين قد يفخرون بهذه النتائج من على بعد مئتي ياردة ، ما بالك بالف ومئتي ياردة . الامر يكاد لا يصدق!»

«اشكرك . سأقوم ببعض التعديلات وثم سأجرب ثلاث اطلاقات اخرى»

وعندما اطلق ماكدونالد ثلاث اطلاقات اخرى بالقرب من مركز الدائرة السوداء قرر الرجلان بأن المهمة قد نجحت نجاحاً باهراً .

قال ماكدونالد والفرحة ظاهرة على صوته :

«سنكتفي بهذا المقدار . هذه البندقية رائعة . اعتقد بأننا نتمكن من الارتياح من هذه النتائج»

اما زيغلر فكانت الفرحة تغمره هو الاخر وحين وصوله الى نقطة الاطلاقة كان ماكدونالد قد انتهى من اعادة الاجهزة الى الحقائب ، ثم اخرج قنينة صغيرة وقدمها الى زيغلر وشرب الرجلان نخب نجاحهما .

وبعد أن حمل كل منهما حقيبته التفت ماكدونالد الى زيغلر قائلاً : لا اريد أن أجعل من رحلة النزول من الجبل مسابقة اخرى لانني لا اريد أن اعرض البندقية الى أية حركة فجائية . على كل حال فقد أظهرتَ لي مقدار لياقتك ، وربما نذهب سوية في رحلة لاصطياد الغزلان وتريني كفاءتك في الرماية . يبدو بأنك صاحب خبرة في الموضوع»

ضحك زيغلر وقال :

«كنت اتصور نفسي استاذاً . . لحد اليوم . فأنا لست بمستواك ابداً وسأكون متشوقاً لو اتيحت لي فرصة لاصطياد الغزلان معك يوماً ما . على كل حال فلننزل الجبل ببطء» .

ذاب الجليد في علاقتهما واسهب الرجلان في الكلام اثناء عودتهما وهما في نشوة النصر الكبير الذي حققاه سوية ، ووصلا الى البيت عند الساعة الخامسة مساء . كانا قد قطعا ثلاثين ميلاً وهم محملون بحقائب ثقيلة ، إلا انهما لم يشعرا بالتعب .

في اليوم التالي قام زيغلر بتحميل سيارته بكامل العدة والبندقية للعودة الى لندن . ودعه ماكدونالد عند الباب قائلاً :

«احذر على نفسك في العودة يا مايك»

«طبعاً . سنلتقي بعد شهر من الان . الوداع يا داني»

٢٧

رحب هاورد ببورن حينما زاره في بيته : «اهلاً بك يا جوني . تفضل ولنتناول قدحاً من الشاي»

شكره بورن وتقبل منه القدح قائلاً :

«لنشرب نخب العملية الكبيرة . فكل شيء على ما يرام لغاية الآن»

«نعم ، الامور جيدة ولا توجد امامنا مهام كثيرة قبل أن يحين موعد رحيلنا . متى سيصل الطيار الامريكي؟» .

«اتصل ميل يوم امس . سيصل بعد ثلاثة اسابيع يوم ٢٨ آذار (مارس) ويبدو عليه بأنه متحمس للعمل» .

«لا بد انه متشوق لاستلام التسعين الف دولار المتبقية . الغريب في الموضوع هو اني قد أضطر للقائه» .

«وماذا عن تأشيرات الدخول؟»

«لقد قمنا بطلبها . وستتم اجراءات دخول سوليڤان باستعمال الاوراق المسروقة من مؤسسة داركون الدولية على اساس انه احد موظفيها الجدد أما الاخرون فلدينا استشهادات رائعة من شركة النفط العربية» .

كانت هذه احدى الشركات التي تتعامل مع شركة XF وكان بورن قد استعمل هذه العلاقة للدخول خلسة الى مكتب الشركة في لندن لسرقة اوراق لطلب تأشيرات دخول المملكة العربية السعودية ولتزوير الاستشهادات المذكورة .

«وهل تعتقد بأن التأشيرات ستمنح فعلاً؟»

«لقد كان عملنا دقيقاً للغاية . فتأشيرات الدخول للسعودية هي صعبة المنال اذ أن السياحة ممنوعة هناك ولن يسمحوا لاحد بالدخول الا لاسباب الحج أو للتجارة ، ويجب

أن تكون طلبات الدخول مرفقة بالعديد من الاستشهادات وتقرير طبيب . الا أن لشركة النفط العربية وداركون سمعة حسنة ولن يتعرض موظفوها الى أية مشاكل» .

«حسناً . وماذا عن الرسائل لمدير شركة داركون في السعودية؟ هل هي جاهزة ايضاً؟»

«توني هيوز؟ هو لا يشك بشيء . لقد ارسلنا له رسالة بالفاكس بأسم دارتنغتون مستعملين الاوراق المسروقة لشركة داركون وقمنا بتزوير توقيع دارتنغتون .والان يعتقد هيوز بأن دارتنغتون قد وافق على ارسال فريق من المساحين للقيام بمشروع سري للمؤسسة وابدى استعداده للمساعدة الى ابعد الحدود . لقد وافق على استخدامنا لموقع البناء المهجور الذي كنا قد حددناه مسبقاً وسيقوم ايضاً بتوفير وسائط للنقل ، بالاضافة الى احتياجات اخرى كنت قد طلبتها منه»

- «وهل كنت قد تعرفت على هيوز سابقاً؟ هل سيعرف من انت؟» .

- «لا فقد كان اتصالنا به هاتفياً» .

سنكون انا وكِرس الوحيدين اللذين سيقابلاه وسنريه هوياتنا المزورة التي ستقنعه بأن كل شيء على ما يرام»

- «حسناً ماذا عن الاجراءات في مومباسا؟»

- «لقد قمنا بترتيب كل شيء هناك ايضاً وسيقوم وكيلنا هناك بتوفير كل متطلباتنا دون أن يعرف شيئاً عن غايتنا الحقيقية . ولدينا وقت كاف للاتصال به من جدة للتأكد بأن كل شيء على ما يرام»

ثم التفت الى بورن وقال «ان موعد سفرنا بدأ يقترب ، وقد آن الأوان ان نتخذ قراراً نهائياً حول مجيئك معنا» .

انتفض بورن وعلامات الدهشة بادية عليه «ماذا جرى لك يا إد كنت أعتقد بأننا انتهينا من هذا الموضوع ، وانني جزء من الفريق . أرجو ان لا تجبروني على التخلف عن الفريق» .

- «أعلم شعورك يا جوني ، صدقني أعلم باخلاصك» أجابه هاورد واستمر قائلاً :

«ولكن أريد أن أتأكد بشكل قاطع من انك تعلم أبعاد العملية التي نحن قادمون عليها . . ويجب ان تتذكر بأن لك مسؤوليات أخرى . . خطيبتك مثلاً!» .

- «أنا متأكد يا إد» أصر جوني بورن «متأكد مائة في المائة . . وعلاوة على ذلك فإنك

تحتاجني في العملية» .

- «هذا صحيح . . ولكن أرجو ان لا تفكر بأننا لا نستطيع الاستغناء عنك» قالها هاورد وبجد واستمر «انك الشخص الأفضل لهذه المهمة . . ومع ذلك يمكننا الاستعاضة عنك!» .

- «لا شك إنك اتصلت بأشخاص آخرين يا إد» قالها جوني بعصبية ، «خبرني بالله عليك من هو؟!» .

- «بصراحة . . فقد فاتحت شخصاً آخر من قبيل الاحتياط ، وهو على استعداد ان يحل محلكم في أية لحظة . .» .

- «من يكون هذا الشخص يا إد . .» سأل جوني بتلهف .

- «اسم االشخص غير مهم» كل الذي أريد قوله انه يتكلم اللغة العربية بطلاقة . . وانه قناص ماهر» .

وهنا قاطعه جوني وقال «أرجو ان لا تفكر بتركي هنا ، ومن يكون هذا الشخص الذي ليست له التزامات . . زوجة أو خطيبة؟» .

أخيراً وبعد نقاش طويل قال هاورد وهو يبتسم «حسناً . . لقد كنت اختبرك . . ان الفريق الذي سيقوم بهذه العملية يجب ان يؤمن بها مائة في المائة . . ويجب ان لا يفكر بشيء آخر سواها» .

٣٨

كان المطر ينهمر بغزارة غير معهودة في حين يزيد الرعد من حدة الجو الذي لم يردع الشابين اللذين كانا يتسابقان في هذا الجو ليجدا محلاً يلجأ اليه . وفجأة عثرت الفتاة ووقعت على الأرض ، فجرحت ركبتها وامتزج الدم بالوحل والماء .

التفت الشاب الى صوت الفتاة المرمية على الأرض ورجع اليها مسرعاً ، وساعدها على النهوض ، كان الألم بادياً على تقاسيم وجهها الشاحب ووشكت على الوقوع ثانية ، إلا أنه تلقاها بيديه القويتين .

- «سوف اضطر ان أحملك يا شيلا» ولنحتمي داخل الاصطبل القريب . . قبل ان يغرق كلينا في هذا الجو» .

- «شكراً يا داني» صاحت شيلا كاميرون وهي تعض على شفتيها من شدة الألم ، واضافت : «كان تصرفي أهوج ، وكنا على وشك الوصول» .

نظر اليها داني ماكدونالد مليا وهو يسير بها في الطريق الموحل ، ابتل شعرها والتصق على وجهها وحول عنقها ، وظهرت فعلاً صبية كما كان يتذكرها في السابق . وصل الى الاصطبل وعالج مزلاج الباب ، انفتحت الباب على مصراعيها ، في الداخل وبعيداً عن الجو الممطر ، وضعها على حزمة كبيرة من القش اليابس ومسح الماء المنحدر من وجهه وعينيه وردد - «يا للسماء ، يا لها من عاصفة مطرية رهيبة ، والآن دعيني أفحص اصابتك» .

- «ستقتلني والدتي على هذه الفعلة» اجابت شيلا .

أخرج داني سكينة وبدأ يوسع الشق في السروال ليتفحص الجرح ، كانت اسنان شيلا تصطك من البرد ، وترتجف بعنف واضح .

خلع داني معطفه وناوله الى شيلا . . «أعلم انها مبللة . . ولكنها ما زالت دافئة» لم

تعارض شيلا عندما وضع داني المعطف حول كتفيها .

- «وماذا ستفعل يا داني» سألت شيلا ، «قميصك مبلل ، ولا شك انك تشعر بالبرد» .

- «سأتدبر حالي يا شيلا» ثم نظر الى الخارج كان المطر يواصل انهماره بشدة ، أوصد باب الاصطبل ووضع حجرة كبيرة خلفه .

- «اقترح ان نتوقف هنا بعض الوقت الى ان يتوقف المطر» قال داني وهو ينظر الى الفتاة التي كانت ترتجف بشكل ملحوظ من شدة البرد .

- «سأحاول ان أشعل النار في هذه الزاوية علها تخفف من شدة البرد» .

جمع داني بعضاً من الخشب الموجود في الاصطبل والقش ، في الموقد واشعل فيها النار .

- «ان لم تكن المدخنة قد سُدت ، فسوف نحصل على نارٍ قوية» قال داني ذلك وهو يراقب الموقد ، وتابع .

- «أنا آسف يا شيلا إن سببت لك المتاعب في هذا الجو القارص . كان عليّ ان أتوقع هذا الجو ، وأوفر عليك هذه المشقة ، لا زالت ملابسك مبللة ، هل أنت بخير؟» .

نظرت اليه شيلا ، وابتسمت «اللوم يقع علينا نحن الاثنين» .

كانت النار تشتعل في الموقد بضراوة ، لكن جو الاصطبل بقي بارداً . اقترب داني من الفتاة ، وجلس بجانبها ووضع يديه على كتفها بحنان وبشكل تلقائي وضعت الفتاة رأسها على كتفيه ، رفعته مرة ثانية ، ونظرت اليه قائلة «ثوبك مبلل يا داني» اقترح ان تخلعه وتضعه أمام النار ليجف . .» .

نظر اليها لثوان قليلة ، ثم نهض ، وخلع ثوبه الذي كان ملتصقاً بجسمه من شدة الرطوبة ، علق داني ثوبه على مشجب خشبي قرب الموقد ، ثم نظر الى شيلا وقال «اقترح ان تفعلي الشيء نفسه ، ثيابك مبللة وقد تتمرضي» وعندما رأى التردد باديا على وجهها استطرد قائلاً «سوف لا أنظر» وإستدار ثم إتجه بنظره الى الجهة المعاكسة ، وعملت شيلا حاجزاً مستخدمة بطانية قديمة في الاصطبل تستخدم عادة لتغطية ظهور الخيل . التفت داني بعد برهة ليراها في ضوء النار الخافتة ، وقد غطت جسمها العاري بالبطانية القديمة .

جمع داني قطع الخشب المتناثر في ارجاء الاصطبل ورماها في النار ليزيد من توهجها .

- «كيف حال ركبتك ، هل زال الألم؟» .

- «أشكرك يا داني لاهتمامك بي» .

نظر اليها داني نظرة حنان وقال «كنت دائم الاهتمام بك يا شيلا» .

تشجعت الفتاة لهذه الاجابة وسألته بصوت خافت .

- «ضع يدك حول كتفي ، فإني ما زلت أشعر بالبرد» .

فعل داني ما طلبت منه الفتاة ، واستجابت شيلا بأن وضعت رأسها على كتفه العاري ونظرت اليه بتساءل «هل لديك صديقات يا داني؟» تفاجئ الشاب بهذا السؤال الصريح «ولماذا تريدين ان تعرفي عني هذه المعلومات» .

- «مجرد فضول ، طالما لدينا متسع من الوقت هنا ، فلنتكلم عن موضوع يهمنا نحن الاثنين ، وقبل ان يباشر داني بالاجابة ، فاجأته مرة أخرى . «هل لديك خطيبة تنوي الزواج منها؟» .

- «شيلا! انك حقاً ، وقحة ، لماذا هذه الاسئلة» .

- «مجرد سؤال يا داني ، لماذا هذا التشنج ، فنحن أصدقاء منذ الطفولة» عدل داني جلسته وبدت علامات الجد على وجهه «الحقيقة يا شيلا ، ليست لدي خطيبة ، ولم يخطر في بالي لحد الآن فكرة الزواج من أي من صديقاتي السابقات» .

اقتربت شيلا منه وقد راقها الجواب ، وهمست في اذنه بصوت خافت؟

- «هنالك شخص واحد في حياتي» . . «ولكنني لا اعتقد بأنه يعلم بذلك» .

وفجأة أحس داني ما الذي تحاول الفتاة ان تقوله ، وأحس بحرارة تلتهب في داخله وبدأ يسأل نفسه ، «كل هذا الوقت، وهو لم يحس بهذه الفتاة ، وفجأة شعر بأنفاسها فقد كانت تنظر اليه نظرة تساؤل وتبحث في وجهه وعينيه عن جواب لما فاتحته به قبل لحظات . أما هو ، فلم يسبق ان اعتبرها أكثر من كونها «شيلا الصغيرة» ، ومع ان فارق العمر بينهما لم يكن كبيراً ، إلا ان كانت تبان له صغيرة لرقتها ، يا له من احمق ، لماذا لم يشاطرها عواطفها لحد الآن .

مرت لحظات طويلة وشيلا تصارحه بحبها له ، الى ان الهبت عواطفه ، فقال لها : انه كان كالاعمى يرى كل شيء إلا تعلقها به ، وعاهدها على الحب والاخلاص» .

* * *

بكت شيلا ، وكانت دموعها تعبر عن فرحتها ، انها تشعر لأول مرة بأنها امرأة كاملة .

- «لماذا تبكين يا عزيزتي؟» سألها داني .

- «لأول مرة في حياتي» أنا سعيدة . . بكل معنى الكلمة .

ضمها داني الى صدره بحنان ، خشية ان يفقد شيئاً ثميناً عثر عليه لتوه .

- «عزيزتي شيلا ، هنالك شيء يجب أخبرك به ، وتوقف داني عن الكلام بعض الشيء وكأنه يستجمع شجاعته وقال «سأغيب في مهمة خاصة لمدة شهر» .

- «وأين ستذهب؟» سألت شيلا والقلق يبدو عليها .

- «في مهمة خارج انكلترا ، المكافأة عالية جداً» .

- «وما هي طبيعة المهمة؟» .

- «لا استطيع ان أدخل في التفاصيل ، يجب ان تثقي بي» . وأحنت رأسها لتريحه فوق صدره .

- «إمرأة واحدة فقط» ، همسها داني في أذن شيلا «من الآن فصاعداً ، هنالك امرأة واحدة في حياتي» .

٢٩

في الثالث والعشرين من آذار ، كان النشاط في شارع لَوندَس على أشده . وصلت حاويات للنفايات الى الوحدة الصناعية رقم ٨ وتم صفّها الواحدة تلو الأخرى ، وعندما اختفى عمال الشركة المجهزة للحاويات النظر ، بدأ أوشر بتحميل ما تبقى من نفايات في الحاويات حتى تخلص منها . أما النفايات نفسها فقد اعدها أكفورد والآخرين في الوحدة رقم ٩ ، حيث اضطر أكفورد لاستخدام شعل الأوكسجين لتقطيع المكائن والمعدات التي استخدموها الى قطع صغيرة غير متميزة . أما بقية الفريق فقد حطموا جميع الآلات والمعدات التي استخدموها في الاعداد لمهتهم الصعبة ، وفي خلال اربع وعشرين ساعة استطاع الفريق تنظيف الوحدتين الثامنة والتاسعة ، بحيث لم يتركوا أي أثر ينم عن وجود استخدام سابق لهاتين الوحدتين .

في ليلة الرابع والعشرين من الشهر ذاته ، عادت الشاحنات لتأخذ الحاويات الست ، والتي امتلأت بالنفايات وبقايا المعدات المحطمة للفريق . اتجهت الشاحنات الى (مزابل) الادارة المحلية وأفرغت الحاويات الست من النفايات ، التي اختلطت بالنفايات الأخرى في المزبلة العامة .

في اليوم التالي ، خمسة وعشرون آذار ، أعد الفريق المعدات التي كانت سوف تُشحن بالطائرة ، وحمّلوها في سيارات كل من هاورد ، پالمر وأوشر وتوجهوا بها الى مطار ساوثامبتن .

وفي المطار أشرف كل من دينارد وپالمر على وضع المعدات في طائرة أيلندر . بعد الانتهاء من العملية عادا الى المقر في مدينة سْوِندِن . أما هاورد فسلّم مفتاح سيارته (روڤر ٨٢٠) الى دينارد الذي كان قد ترك سيارته (بي . إم . دبليو) في ساحة وقوف السيارات في مطار هيثرو في لندن ، واستبدلوها بسيارة أخرى (ألفا روميو) قبل ان

يعودوا الى المقر .

أما ماكدونالد ، فقد وصل في تلك الليلة من مدينة فورت ويليام في اسكتلندا ، وذهب مباشرة الى شقة هاورد ليقضي معه الليلة .

في صبيحة اليوم التالي ، اصطحب بورن كل من هاورد وماكدونالد الى المقر في سوِندن والتقوا جميعاً في الوحدة رقم ١٠ بانتظار هاريس . وصل الأخير في الساعة العاشرة صباحاً وهو يقود شاحنة من طراز ڤولڤو إج . چي . ڤي ، كانت هنالك حاويتين في الوحدة وقم ١٠ ، الأولى صغيرة ، يتعالى منها صوت محرك جهاز التبريد ، والثانية كبيرة جهزها الفريق كجزء من العملية . وضع الفريق ما يحتاجه من معدات في المخبئ السري في الحاوية الكبيرة ، ولزيادة التمويه وضعوا أمامها خضروات مجمدة وعلب مرجرين مجمد ، وأعدوا وثائق شحن الحاوية على انها تنقل خضروات مجمدة ، متجهة الى ميناء مومباسا في كينيا ، أوصدت أبواب الحاوية الكبيرة وتم احكامها بالشمع الأحمر من الخارج .

أوصل هاريس الحاوية بالشاحنة (ڤولڤو) وربط الاسلاك الكهربائية للحاوية ببطارية الشاحنة ثم جمع أوراق الشحن الرسمية ، وقاد الشاحنة خارجاً من الوحدة رقم ١٠ متجهاً الى ميناء فولكستون على الساحل الشرقي في انكلترا .

أطفأ بورن المبردة في الحاوية الصغيرة ، بعد ان انتهوا من استخدامها وأفرغوها تماماً ، واتصل بالشركة التي استأجروا منها الحاوية ، وطلب منهم ان يحضروا لاسترداد الحاوية . وهكذا عمل مع الشركة التي استأجروا منها الرافعة الشوكية وطلب منهم الشيء نفسه ثم اتصل بشركة لخدمات التنظيف .

في الوقت الذي كان هاريس متجها بالشاحنة نحو الساحل الشرقي لانكلترا كان أعضاء الفريق يحاولون التخلص من سياراتهم في مدن مختلفة من انكلترا . تخلص اكفورد من سيارته فوكسول استرا في منطقة بريستول ، قرب محطة القطار تمپل ميدز ، ترك باب السيارة مفتوحاً ، والمفتاح داخل السيارة . . وتوجه الى محطة القطار واستقل أول قطار باتجاه لندن . أما دينارد فقد ترك سيارته روڤر ٨٢٠ في شارع فرعي في مدينة أوكسفورد في ذات الوضعية ، مفتوحة والمفتاح في داخلها ، ثم استقل القطار من محطة اوكسفورد متوجهاً الى لندن .

وفي منطقة شعبية في جنوبي شرقي لندن ، وفي شارعين يبعدان ميلاً الواحد عن الآخر ، كان پالمر وأوشر يحاولان ترك سياريتيهم ، بيجو ٢٠٥ وفورد اسكورت . أما زيغلر فقد ترك سيارته في منطقة ليتون شمال لندن .

بعد ان وصل دينارد الى لندن ، أخذ سيارة هاورد واتجه بها الى منطقة ويمبلي ، واستطاع ان يتخلص منها في احدى الشوارع الفرعية بنفس الطريقة ، ثم أخذ القطار الى محطة چارنغ كروس في وسط لندن ، ومنها سيارة أجرة الى الفندق .

في خلال ساعات . . كانت جميع السيارات قد سرقت . . كما أراد لها الفريق ، كما ان بعضها وجد محروقاً في غير المحلات التي تُركت فيها ، مما يدل على ان اللذين سرقوها كانوا من الشباب المراهقين اللذين سرقوا السيارات من أجل التمتع بالسياقة لفترة قصيرة ثم أضرموا النار فيها في أماكن نائية لكي لا يكتشف أمرهم .

وصل هاريس الى ميناء فيلكستو ، وتوجه الى رصيف ترنيتي في حدود الساعة الثالثة بعد الظهر ، انجز معاملات الشحن ، وراقب الحاوية تُرفع برافعات الميناء الضخمة ، من الشاحنة الى رصيف التحميل . في طريق العودة الى لندن ، توقف هاريس في الطريق وفك العربة الملحقة مع الشاحنة ، ومن ثم خلع رقم العربة الملحقة وتركها على قارعة الطريق ، ثم توجه الى الكراج الذي استعار منه الشاحنة تحت اسمٍ وهوية مستعارة ، وتركها في الساحة الأمامية للكراج .

أكمل وكيل الشحن أوراق الحاوية المتجهة الى ميناء مومباسا ، وتم تحميلها على الباخرة (إم . ڤي . مناتي) ، في الوقت الذي قام أحد العمال المختصين بايصال التيار الكهربائي الى الحاوية ، حيث بدأت مروحة المجمدة تعمل في الحال . خلال الساعتين التاليتين ، اكتمل تحميل الحاويات على الباخرة استعداداً للرحلة رقم ٥٦ المتجهة الى شرقي افريقيا ، بلغ عدد الحاويات ٨٠٠ حاوية تم صفها عشرون حاوية طولاً وثمانية عرضاً وبارتفاع خمس حاويات على ظهر الباخرة .

أما الحاوية نفسها فلم تكن مواصفاتها الخارجية كالوزن مثلاً ، مختلفاً عما ظهر في الاعلان الذي قدمه وكيل الشحن الى السلطات الكمركية البريطانية ، أما المظهر الداخلي ومن جهة باب التحميل فقد كان طبيعياً أيضاً ، فالمساحة القريبة من الباب كانت محملة بالخضروات المجمدة ، وخلفها علب المارجرين المجمد الذي يستخدم عادة

في الحفاظ على برودة ودرجة انجماد الخضروات . أما خلف أكداس علب المارجرين المجمد فقد كان هنالك حاجز سميك بمثابة العازل الحراري ، يقي ما خلفه من مساحة الحاوية أما أرضية الحاوية فقد صُفّت بطبقة من قطع الكوكزيت بسمك ثلاثين سنتيمتراً . والغاية من هذه العملية هو الوصول الى الوزن الطبيعي لحاوية محملة بالخضروات المجمدة . اضافة الى القطع الكونكرتية فقد كانت الأرضية والجدران مغطاة بطبقة سميكة من المطاط عازل الصوت .

كانت هذه الفسحة مكتظة بالأدوات والمعدات التي يحتاجها الفريق لتنفيذ العملية ، حيث كانت الاكياس تحوي على بندقية القنص والعتاد وكاتم الصوت وأجهزة اتصال الكترونية بالاقمار الصناعية ونواظير للرؤية الليلية وغيرها من الأدوات التي كانت مغلفة بشكل محكم يمنع تسرب الماء اليها . في الطرف الآخر من الفسحة هذه كانت هنالك أدوات منزلية ، ثلاجة صغيرة ، جهاز يدوي لاطفاء الحريق ، مكنسة كهربائية ، طباخ صغير ، أواني لغلي الماء والطبخ ، قناني كبيرة من الماء الصالح للشرب وقناني من الوقود السائل ، تواليت كيمياوي متنقل ومائدة صغيرة وكرسيين صغيرين من النوع الذي يستعمل في النزهات . وفي زاوية أخرى من الفسحة كان هنالك فراشين مطاطيين ممددين على الأرض!!

داخل الحاوية ، اختبأ اثنين من أعضاء الفريق ، إد هاورد وداني ماكدونالد ، وكان عليهما ان ينتظرا أربعة وعشرون ساعة أخرى ، قبل ان تبحر الباخرة مناتي يوم السابع والعشرين من آذار متجهة الى شرق افريقيا عبر قناة السويس والبحر الأحمر .

القسم الثاني

الظل

٣٠

كانت الباخرة مناتي متجهة جنوباً في ظلام الليل الدامس حين صدر صوت خافت في اتجاه الحاوية ، إلا أنه ضاع بين الاصوات العديدة الصادرة من الباخرة كاصوات المكائن وصوت أنين الحاويات وهي تهتز ببطء مع حركة الباخرة . وظهر شق رفيع في الطلاء للغشاء الخارجي قبل أن تنفتح البوابة الصغيرة التي كان قد وضعها أكفورد . نظر هاورد الى الخارج بعد أن كبرت الفتحة بمقدار بوصتين ليرى ما اذا كان هناك احد من البحارة على مقربة منهم .

وبعد التأكد بأن الممر امام الحاوية كان خالياً فتح البوابة وخرج منها . ارتاح هاورد من موقع الحاوية على ظهر الباخرة فقد كانت هناك مسافة ستة اقدام بين البوابة واحد اطراف السفينة وكانت هناك عدة حاويات اخرى محيطة بهم . التفت الى ماكدونالد وقال بصوت خافت :

- «هناك مجال واسع للتحرك . الحاوية موضوعة في الطابق الاسفل وليست مكدسة فوق عدد من الحاويات الاخرى ، فسنتمكن من اخراج الحاجيات الفائضة ورميها في البحر دون استعمال الحبال . سأذهب الآن لتفقد الباب الرئيسية للحاوية وستكون ضربة حظ من صالحنا لو تمكنا من فتحها مباشرة . سأعود بعد خمس دقائق» .

اغلق البوابة الصغيرة وبدأ يتأمل الاوضاع على ظهر الباخرة . لم يجد اثراً للطاقم فقام بالاستطلاع عن موقع الحاوية ووجد ممراً عرضه ستة اقدام يفصل ما بين الصف الذي هو فيه والصف من الحاويات المجاورة ، مما سيسهل امر فتح الباب الرئيسية ، ثم عاد الى البوابة الصغيرة ودخل منها .

«حسناً يا داني ، الطريق مفتوح امامنا للوصول الى الباب ، وبالاضافة الى ذلك فلن يعرف احد بوجودنا هنا اذ أن موقعنا مخفي عن مكان تواجد طاقم السفينة . والآن

علينا أن نعمل بسرعة قبل شروق الشمس ونقوم برمي كل ما هو فائض من على ظهر السفينة ، ثم نغلق البوابة الصغيرة ونعيد صبغ اثر الفتحة من الخارج وما بعد ذلك سنستخدم الباب الرئيسية فقط . هيا بنا الآن» .

خرجا من البوابة الصغيرة واغلقاه فظهر شق رفيع في الطلاء الخارجي في مكان الفتحة وكان ذلك هو الدليل الوحيد لوجود البوابة . قام هاورد بتنظيف طريق الشق بواسطة قطعة من القماش ثم اخذ يضع فيه معجوناً لاصقاً مستعملاً سكيناً صغيراً فيما كان ماكدونالد يهم بفتح علبة صغيرة من الصبغ . بعد أن اكمل هاورد عملية الطلاء بالفرشاة ، اختفى اثر البوابة الصغيرة تماماً .

التفت الرجلان بخفة حول المجموعة المجاورة من الحاويات الى أن وصلا الى الباب الرئيسي وكسر هاورد الختم الجمركي وفتح الباب الرئيسي على مصراعيه . كانت الاكياس من الخضروات المجمدة قد ذاب معظمها الا انها كانت لا تزال باردة ، فقام الرجلان برفع الاكياس ، التي كان وزن كل منها عشرة كيلو غرامات ، ورمياها في البحر . كان صوت ارتطام الاكياس بسطح البحر وهي تقع في تيار السفينة يكاد يكون غير مسموع . عملا بصمت لفترة ساعات كانوا قد تخلصوا من جميع الخضروات وعلب المارجرين ، ثم قاموا بفك اجزاء الجدار العازل ورموره في البحر ايضاً وظهر اخيراً المكان الذي كانا يختبئان فيه . فلن يحتاجوا بعد الآن الى بوابة أكفورد .

«حسناً يا داني فسنكتفي بهذا القدر الآن ، ولنتناول قدحاً من الشاي . هيا لندخل ونغلق الباب . سنقوم غداً برمي القطع الكونكريتية»

كانت القطع الكونكريتية ثقيلة ، بحيث انهم عملوا سوية لفترة الليلتين التاليتين للتخلص منها . لم يبق لديهم داخل الحاوية سوى معدات العملية . كانت الفسحة داخل الحاوية قد توسعت الى حد كبير ولم يشاهدوا أثراً لطاقم السفينة خلال الايام الثلاثة التي قضوها على ظهر السفينة . على أية حال فقد انتهوا من عملهم بوقت اسرع بكثير مما كان متوقعاً ، ولو كان الطريق الى الباب الرئيسي مغلقاً لأُجبروا على تفريغ الحاوية عبر البوابة الصغيرة وكان ذلك سيستغرق عدة ايام اخرى .

عند حلول الليلة الرابعة لابحارهم كان هاورد وماكدونالد قد تعودا على النوم اثناء النهار والاستيقاظ ليلاً وكان هاورد قد قضى الليلتين الرابعة والخامسة خارج الحاوية

لترقب حركة طاقم السفينة وكان قد استبشر لما وجده من قلة تحركهم في تفقد السفينة وكذلك لالتزامهم بمواعيد ثابتة سهلت عملية التنبؤ باماكن تواجدهم .

لم يكن امام الاثنين ما يلزم قيامه من مجهود عضلي فاخرج هاورد تسجيلات تعلم اللغة العربية من اجل تحسين معرفته المحدودة للمفردات المهمة . كان يتمتع بقابلية طبيعية على تعلم اللغات والالفاظ الغريبة ، إلا أنه لم يكن يشك للحظة بأنه لن يتمكن من التعامل باللغة العربية لاكثر من بضعة ثوان ، وذلك ضمن حدود بعض الجمل الاساسية . انصب اهتمامه حول اجادة التعبير فقد يكون لذلك الاثر الاكبر في نجاته من معضلة لو اضطرته الظروف الى التكلم بالعربية . إلا انه كان يأمل بأن لن يضطر الى ذلك ابداً .

جال بفكره من دروس اللغة العربية الى اسباب اختياره لماكدونالد كرفيق لسفره في الحاوية بدلاً من احد الاخرين . كان توني أكفورد هو الاختيار الامثل لما لديه من خبرة عسكرية في القوات الخاصة إلا انهم كانوا بحاجة الى مقدرته الميكانيكية في الكثير من الاعمال الاخرى . أما بوب أوشر فكان المرشح الآخر ، إلا أن تجربته في السجن التركي جعلته يتعض من فكرة قضاء وقت طويل في مكان ضيق داخل الحاوية ، علاوة عن حاجة أكفورد اليه في الاعمال الميكانيكية .

وكان ميْل هاريس مشغولاً برعاية امور سوليڤان في حين كانا أندي وكْرِس مسؤولين عن الطائرة وهما ليس لهما خبرة في الابحار ، أما جوني بورن فانشغل بالتفاصيل الادارية . . اذن كان قرار اصطحاب ماكدونالد قراراً جيداً وقد ادى مهامه بنجاح ولم يبد عليه انه كان منزعجاً من الحبس في هذا الصندوق الحديدي اللعين .

في الليلة السابعة سأله هاورد : «كيف تبدو امورك مع كل هذه الجداول يا داني؟» فقد كان ماكدونالد طيلة الفترة التي كان هاورد يراقب بها تحركات الطاقم على ظهر السفينة ، منشغلاً بمراجعة دفتر للجداول ، مستخدماً آلة حاسبة صغيرة ويكثر من الكتابة وتسجيل الملاحظات .

نظر داني الى هاورد وقال :«اعتقد بأني قد اوشكت على الانتهاء من عملي ، فلقد اجريت عدة حسابات لمتغيرات كثيرة واخذت بنظر الاعتبار تغيرات المناخ ، لكنني لا اعتقد بأن الظروف ستتغير الى هذا الحد . واقوم بمراجعة حساباتي» .

«ولكني سأهديك هدية صغيرة كان بوب قد بعثها لي . لا ادري ما اذا كنت ستستفيد منها إلا اني اريدك أن تجربها وان تجري مقارنة بين نتائجها ونتائج حساباتك» .

وقام هاورد بفتح الحقائب واخرج منها جهازاً مسطحاً مستطيل الشكل بطول اثني عشر بوصة وعرض عشر بوصات وسمك بوصتين . كبس هاورد احد ازراره وانفتح جانبه العلوي ليظهر على شكل شاشة صغيرة ثم كبس على زر آخر وبدأ الجهاز بالعمل .

شرح هاورد عمل هذا الجهاز لماكدونالد «هذا هو جهاز كمبيوتر صغير من نوع Grid386NX كان بوب قد اعجب به جداً ، اذ انه قوي للغاية رغم صغر حجمه ، وتقوم وزارة الدفاع باستعماله الآن .

وكان بوب قد كتب لك بعض التعليمات عن طريقة استعمال الجهاز ويقول بأن فهم برنامجه امر في غاية السهولة . فقد وجدك مهموماً بأمر الجداول وحاول أن يجد طريقة لمساعدتك» .

«جهاز كمبيوتر؟ هل تمزح معي ؟» نظر ماكدونالد الى هاورد بدهشة «هل تعلم بأن موعد كذبة نيسان كان يوم أمس؟»

«لا امزح يا داني . ولا اعرف مقدار استفادتك منه ، فان حساباتك قد لا تتناسب مع عمل هذا الجهاز بالذات . على كل حال دعنا نجرب سوية .»

ازدادت دهشة ماكدونالد حينما اتبع تعليمات أوشر ومقدار السهولة التي تمكن من حساب سرعة الاطلاقة في ظروف جوية مختلفة خصوصاً وان البرنامج كان معداً مسبقاً لاطلاقة Lapua Magnum ٣٣٨ ، جرب الجهاز بحماس شديد ووجد نفسه متمكناً من قياس مسار الاطلاقة في جميع الظروف المحتملة . ثم قام بمقارنة الحسابات على جهاز الكمبيوتر مع حساباته الخاصة ووجد نفسه متمكناً من الوصول الى كافة النتائج بشكل مطابق تماماً ولم يستغرق اجراء الحسابات لاية مجموعة من الظروف المتغايرة أكثر من ثانيتين فقط . واستغرقت عملية مراجعة جميع حساباته على جهاز الكمبيوتر ، نصف ساعة فقط ، في حين كانت قد استغرقت عدة ايام متواصلة من المجهود الذهني الكبير سابقاً .

واخيراً ، بادر هاورد بالاعتذار من ماكدونالد لتأخره في ايصال «الهدية» له وقال يا داني ، اعرف بأنك تتساءل عن سبب حفظي لهذا الجهاز الى الآن ، والحقيقة فان

الاخرين كانوا يريدونك أن تحصل عليه فوراً ، إلا انني اختلف معهم بالرأي . فقد كنت اعتقد بضرورة قيامك بالحسابات شخصياً لتتمكن من قياس فاعلية الكمبيوتر ، والا فمن المحتمل بأنك كنت ستفقد الثقة به لانه جهاز جديد عليك .ارجو ان تقبل اعتذاري يا صديقي ، وان تتفهم المنطق من وراء عملي!» .

فكر ماكدونالد لوهلة ثم قال : «انك على حق . انني لمندهش من سرعة عمل الجهاز ، واعتقد باني سأقوم بأخذه مع الحفاظ على دفتر حساباتي . فلو حدث طارئ ونفذت البطاريات مثلاً فسوف استطيع استخدام دفتر حساباتي» .

فأجابه هاورد «هذا ما كنت اريد سماعه . والآن هيا نخرج فقد غابت الشمس واريدك أن تجرب لعبة اخرى ، يمكنك بواسطتها معرفة موقعك الجغرافي الى حدود المئة ياردة» وناوله جهاز آخر يبلغ طوله ثمانية بوصات .

تفحص ماكدونالد الجهاز الجديد وكان يشبه برأيه جهاز تغيير القناة التلفزيونية . فقال له هاورد :

«انه جهاز الملاحة بالستلايت» .

٣١

كان هاريس مستبشراً حينما ودّعا ، هو ودينارد سوليفان في مطار ساوثهامبتن . فقد كان سلوك الطيار الامريكي مثالياً اثناء فترة بقائه في لندن ، اذ لم يقضِ وقته مخموراً او في الملاهي أو النوادي الليلية وكان يبدو متحمساً للعمل ، حيث راجع مخطط الطيران مع هاريس وقام باقتراح بعض التغييرات المعقولة والتي وافق عليها دينارد بدون ان يفشي سر كونه هو ايضاً طياراً محترفاً .

نظر هاورد الى طائرة الايلاندر وهي تقلع باتجاه البحر في رحلتها الى المملكة العربية السعودية وقال لزميله :

«اعتقد بأن صاحبنا سيكون ناجحاً في عمله . فرعاية امور احد رجال «الكاوبوي» في السعودية قد تكون عملية مرهقة للغاية ، الا انني لا اتوقع ان اواجه مشاكل مع هذا الرجل ، اذ لم يتمادى في شربه للكحول . وهو بهذا الخصوص احسن منك بكثير يا أندي المجنون!» .

ضحك دينارد وقال : انا لا اشرب خلال اوقات العمل . هيا بنا نعود الى لندن لاستضيفك ، فهذه هي آخر فرصة لنا قبل الذهاب الى السعودية» .

في ذات المساء رحل بقية أعضاء الفريق الى السعودية من لندن : بورن دينارد ، پالمر وهاريس رحلوا على متن طائرة الخطوط الجوية البريطانية في رحلتها رقم BA133 الى جدة ، وتبعهم في اليوم الثاني زيغلر ، وأكفورد وأوشر متجهين الى الرياض في الرحلة رقم BA125 ، وكان جميعهم قد دخلوا السعودية مستخدمين جوازات سفرهم الحقيقية .

والدخول الى السعودية من الامور التي تخضع الى تدقيق ورقابة مشددة من قبل السلطات هناك . فيسمح بالدخول لصنفين فقط من الزوار . الصنف الاول يشتمل على

الحجاج الى مكة المكرمة والمدينة المنورة وتحدد زياراتهم بهاتين المدينتين المقدستين ، بالاضافة الى جدة ، ولفترة موسم الحج فقط . اما الصنف الثاني فيشتمل على من له تجارة مشروعة ، او كان من العاملين فيها وعوائلهم ، ويحق لهم السفر داخل المملكة الى حد ما ، الا انه لن يسمح لغير المسلمين بزيارة مكة او المدينة وتدقق السلطات التي تمنح تاشيرات الدخول بالاستشهادات الشخصية لكل من يتقدم بالدخول والتي يكون ابرازها شرطاً اساسياً من شروط منح التاشيرة . واحياناً تقوم بعض السلطات السعودية ، مثل السفارة السعودية في لندن باعادة التدقيق بالاستشهادات الشخصية التي تزودها الشركات الاجنبية ، من اجل التأكد من صحتها . وكانت شركة النفط العربية التي سافر باسمها رجال هاورد الى السعودية احدى هذه الشركات ، فتقوم بتوظيف سبعمائة وخمسين موظفاً سعودياً ، وخمسة واربعين موظفاً بريطانياً ، بالاضافة الى عدد من الاجانب الاخرين . فالشركة تتمتع بنفوذ كبير في السعودية .

تمكن بورن ، بصفته مستشاراً للشؤون الامنية لشركة النفط العربية ، ان يضمن توقيع عقود للتوظيف باسم زملائه اعضاء الفريق . فقد قام بادخال المعلومات المتعلقة بهم في نظام المعلومات بالالة الحاسبة التي تعود للشركة ، وبعد منح السلطات في السفارة السعودية في لندن تأشيرات لدخولهم ، قام بمسح هذه المعلومات من سجلات الكمبيوتر ، بحيث لن يعلم احد في ادارة الشركة بالامر ابداً .

ويمنح المتوظف للعمل في السعودية تأشيرة دخول للزيارة صالحة لشهر واحد فقط ، وعليه ، لو اراد ان يطيل بقاءه هناك ، ان يتقدم خلال هذا الشهر للحصول على حق الاقامة ، ومن اجل ذلك ، يحتاج الى رسالة تأييد ثانية من شركته . والاقامة هي عبارة عن كتيب صغير اسمر اللون ، يحتوي على ست صفحات ، والتي يجب على كل المقيمين حمله بشكل دائمي بدلاً من جواز سفرهم .

ويسلم المقيمون في العادة جوازات سفرهم الى ادارة شركتهم ، ويكتفون بدفتر الاقامه فالزائر من دون دفتر الاقامة اذاً ، يعتبر وكأنه لا وجود له وعليه ابرازها للسلطات متى ما يطلب منه ذلك . ومن اجل الخروج من البلاد فعليه التقدم للحصول على موافقة لذلك وتستغرق هذه العملية مابين الاربعة والستة ايام .

فمن نواح عدة ، تكون الاجراءات ابسط نسبياً بالنسبة لرجال الاعمال الذين لا

ينوون البقاء لفترة تزيد على شهر واحد ، اذ انه يحتفظ بجواز سفره المرفق برسالة ضامنة من قبل ادارة شركته .

في فجر اليوم الثامن من نيسان (ابريل) ، وعند وصولهم الى مطار جدة ، استقل هاريس وديناردسيارة اجرة من المطار ، وذهبا عبر شارع الكورنيش الى فندق شيراتون حيث كان هاريس قد حجز غرفتين متجاوررتين لهما . وكانا ، عند وصولهما مكتب الاستعلامات للفندق ، قد سلما جوازات سفرهما والتي كانت قد ختمت بتأشيرة زيارة عادية ، بدون ان يعلق احد من رجال امن المطار على شعر دينارد الغامق ولا من شاربه الجديد الذي لم يظهر في صورته التي في جواز سفره ولم يسألهم احد سؤالاً عن مهنتهم ، فكان جواز سفر هاريس يبين بأنه «اداري» يعمل كصاحب شركة النفط العربية ، في حين ظهرت مهنة دينارد بعنوان «مدير شركة» .

ذهب دينارد الى غرفته مباشرة وبقي هناك لفترة ثلاثة ايام دون ان يخرج منها ولو لمرة ، حتى من اجل تناول الطعام ، اذ كان يقوم بطلبيات لوجبات الغذاء الى غرفة هاريس ، الذي كان يلاقيه من خلال الباب المشترك بين الغرفتين .

اما بورن (مدير شركة آخر) ويالمر المهندس فقد اقاما في فندق ماريوت . وقام بورن صباح اليوم التالي بالاتصال بتوني هيوز ، مدير اعمال مؤسسة داركون في السعودية . وكان هيوز بانتظار زيارة من السيد بريس وسبق له ان بعث سائقه للفندق من اجل احضاره بصحبة السيد پوتَرْ . وحين وصولهما الى مكتب السيد هيوز قاما بابراز هوياتهما والتي كان بورن قد زورها مسبقاً ذاكراً فيها بأن الاول مهندس جيولوجي والثاني مساح . وكانت هذه الادلة قد أيدت ما جاء في رسالة «الفاكس» لمكتب هيوز الذي كان قد اقتنع بالامر تماماً .

كان هيوز رجلاً قصير القامة ومليئاً بالحيوية والنشاط ، وفهم بورن سبب ثقة دارتنغتون المطلقة به . فلم يكن متأثراً اطلاقاً من قيام دارتنغتون بالتخطيط لمشاريع جديدة في السعودية من دون ان يعلمه بها ، واستنتج بورن من اسلوب كلام هيوز عن دارتنغتون بأن الرجلين كانت تربطهما علاقة من الصداقة تعود الى سنوات عدة ، وبأن هيوز يكن لرئيسه مشاعر من الاحترام الحقيقي . فشعر بورن بالارتياح لكونه قد ذكر في رسائل الفاكس التي وقعها باسم دارتنغتون ، بالا يتكلم هيوز عن موضوع المشروع على الهاتف

اطلاقاً الا اذا كان يكلم السيد «بريس» مباشرة .

وقال هيوز لبورن : «كل شيء جاهز لك ياجيم ، فيمكنكم استعمال موقع العمل القديم في بدانة ، والتي كنا قد اخليناها قبل اربعة اشهر حين انتهينا من العمل في الطريق الصحراوي . وقد امرت بأن تؤخذ السيارات الاربع التي كنت قد طلبتها الى هناك وستسلم لكم بعد ان ينتهي الميكانيكيين هناك من فحصها . اما الموظفون الاخرون هناك فهم ثلاثة حراس ومستخدمان ، ومسؤول مخزن وطباخ وكلهم من مواطني السعودية عدا الطباخ ، فهو مواطن باكستاني . هل ستحتاجون الى شخص اخر؟» .

- «لا ، اشكرك . نحن مكتفون ذاتياً الى حد كبير يا توني . وسنكون خارج الموقع في اغلب الاحيان حالما يلتحق بنا الآخرون ، وقد طلبت منهم التوجه مباشرة الى هناك حال وصولهم . لقد كنتَ كريماً للغاية معنا» .

وكان بورن قد قرر في الحال ان يمنح الموظفين السعوديين اجازة لفترة ثلاثة اسابيع . ويُبقي الطباخ الا انه سيحد من تحركاته ، .

قام هيوز بدعوة الرجلين لتناول العشاء في بيته ذات المساء ، وبدت عليه خيبة امل لرفض بورن المؤدب ، معتذراً بأن لديهم الكثير من الاعمال التي يجب عليه انجازها قبل ان يحين موعد سفرهم الى الشمال . غادر بورن بصحبة پالمر وعاد الرجلان الى الفندق حيث التحق بهما كل من زيغلر وأكفورد وأوشر الذين كانوا قد وصلوا من الرياض .

في اليوم التالي ، اي التاسع من نيسان (ابريل) ، غادر بورن بصحبة پالمر الى عرعر الواقعة في شمالي البلاد ، ومن ثم الى موقع عمل مؤسسة داركون التي تبعد عنها بمسافة عشرة اميال بالقرب من بلدة بدانة . وصلوا الموقع قبيل الظهر وسط الحر الشديد وبدأوا بتنظيم امورهم هناك . وكان اول عمل قام به بورن هو منح إجازة للموظفين من السعوديين الثمانية الذين فرحوا بنبأ حصولهم على اجازة لفترة ثلاثة اسابيع وقاموا بمغادرة الموقع فوراً .

أما زيغلر فقد قام باصطحاب الاخرين الى المطار ثم توجه الى مكتب لتأجير السيارات حيث قام باستئجار اكبر سيارة موجودة لديهم وكانت من نوع Dodge Ram ذات المحرك القوي . ركبها واتجه نحو الشمال ، وكم كان ارتياحه عندما وصل الى الشارع السريع خارج حدود المدينة ، التي وجد السياقة فيها امراً مرهقاً . وبعد مسافة من

الطريق أوقفته نقطة تفتيش للشرطة ، فابرز لهم جواز سفره وهوية شركة النفط العربية وبادرهم ببعض العبارات العربية التي كان قد تعلمها ، ورد عليه رجال الشرطة بمعاملة ودية وامتنعوا عن تفتيش السيارة مثلما كانوا يفتشون بعض السيارات الاخرى . استمر بورن في سيارته باتجاه ينبع التي وصلها عند الظهيرة ، اي في نفس وقت وصول بورن ورفاقه الى بدانة ، التي تبعد بمسافة خمسمائة ميل الى الشمال الشرقي .

***

في نفس الوقت تقريباً ، وعلى المسافة ذاتها الى الشمال الغربي من مدينة ينبع ، كانت الباخرة «مناني» قد وصلت الى نهاية رحلتها في البحر المتوسط . نظر هاورد الى جهازه للملاحة GPS ووجد بأن السفينة كانت تقترب من ميناء بورسعيد الى الجانب الشمالي من قناة السويس .

٣٢

كان هاريس بانتظار هبوط طائرة سوليڤان في مطار الملك عبدالعزيز الدولي ، في صباح يوم الحادي عشر من نيسان (ابريل) . تمكن الامريكي من اجتياز نقطة تفتيش جمارك المطار بسهولة ، مستخدماً جواز سفره مصحوباً بشهادات صادرة عن مؤسسة داركون كان قد اعدها له بورن . وتمكن باسلوبه المرح واستعماله بعض الكلمات العربية في كلامه ، ان يخلق اجواء آنية من الود بينه وبين ضابط المطار . كان امامه اكمال عدد من المعاملات الرسمية بشأن الطائرة ايلندر ، الا ان السلطات السعودية كانت معتادة على ظاهرة ادخال الشركات الدولية لطائراتها الخاصة ، وتمت الاجراءات بسهولة ايضاً . كان سوليڤان رجلاً مدركاً لأهمية اظهار مشاعر الود والاحترام في ظروف كهذه ، وكان في الاساس ، شخصية محبوبة ، وساهم ذلك في تسهيل مهمته .

اخذه هاريس سيارته المؤجرة الى فندق شيراتون وبادره بالاطمئنان على صحته . فاجابه سوليڤان «انني بخير ولم تحصل لي مشاكل اطلاقاً . والحقيقة كانت الرحلة ممتعة . يا إلهي ، ما هذا؟ قالها وقد فاجأته سيارة «مازده بيك اب» يقودها سائقها بتهور وكادت ان تصطدم بسيارتهم : «انظر إلى هذا المجنون هل تعب من الحياة ؟»

وبعد مضي فترة بدأ يروي لسوليڤان رواية كان قد اعدها مسبقاً فقال «اسمع يا رَيْ فقد حصل تغيير في المخطط . المدير اضطر للسفر الى الخارج بشكل مفاجىء ولا نعلم موعد عودته ، الا انه قال بأنه قد يتعطل لفترة ثلاثة او اربعة اسابيع ، اما نحن فليس امامنا ما يمكن عمله في هذه الفترة وعلينا الانتظار . لقد حجزنا غرفاً لنا في فندق شيراتون وعلينا البقاء هناك لغاية عودة المدير من سفره . هل هذا يناسبك؟»

فاجابه سوليڤان : «الامر يناسبني تماماً . ساقوم بكل ما تطلبونه مني» .

واستمر هاريس في قصته الكاذبة : «حقاً . لقد اكملت معظم اجراءات التسجيل ، الا

اني ساحتاج لجواز سفرك واوراقك الاخرى لاسلمها الى استعلامات الفندق . فالفنادق هنا تطلب ابراز كل الاوراق الرسمية لاغراض امنية وياخذون اجازة السياقة واجازة الطيران وكل شيء اخر ويحتفظون بها لغاية مغادرتنا . ساقوم بالامر شخصياً اذ اني اتكلم اللغة العربية» .

ابتسم سوليفان لهاريس قائلاً : «هذا هو ملفي ، فخذه وفيه كل شيء . وكم سيتحسن منظره حين يدخل فيه مبلغ تسعين الف دولار ، اليس كذلك؟ اما الآن سانتظر ولن اسألك عن شيء آخر» .

شكره هاريس وقال : «هذا هو مفتاح غرفتك في الطابق السادس وهي معدة لك الآن .اذهب اليها وساقوم انا بترتيب الامور . يمكنك ان تطلب ما تشاء وسيكون مدفوعاً ضمن حسابك» .

وصلا الى الفندق بعد دقائق قليلة وذهب سوليڤان ليستريح في غرفته ، والتي هي نفس غرفة دينارد التي كان قد أخلاها صباحاً ، وراح ينتظر بهدوء في غرفة هاريس المجاورة ومعه حقيبته الصغيرة ويبدو عليه متهيئاً للسفر . وبعد عشر دقائق اتصل هاريس بدينارد وطلب منه ان ينزل الى الاستعلامات .

نزل دينارد وتوجه مباشرة الى سيارة هاريس والتحق به هاريس بعد خمس دقائق وسلمه ملف سوليڤان ثم قاد السيارة الى المطار . قام دينارد ، بعد ان إنتحل شخصية سوليڤان ، بتسجيل طلب للطيران الى بلدة الوجه والتي تقع على ساحل البحر الاحمر وعلى مسافة مئتي ميل الى الشمال من مدينة ينبع .

٣٣

قام هاورد وماكدونالد ، ليلة الحادي عشر من نيسان (ابريل) ، بتفريغ الحاوية من معظم الامتعة المتبقية ، وكان هاورد يتأكد من موقفه باستمرار مستعملاً جهاز الملاحة داخل الحاوية ، اذ انه تمكن من اخراج هوائي الجهاز خلال ثقب صغير كان أكفورد قد حفره في الجانب العلوي من الحاوية لهذا الغرض . وتوقع هاورد ان تصل السفينة الى المكان الذي يستهدفونه ليلة الثاني عشر من نيسان (ابريل) .

خرج الرجلان من الحاوية للمرة الاخيرة في الساعة السادسة من مساء الثاني عشر ، وكانوا قد ارتدوا ملابس الغطس المطاطية وعملا بسرعة لتفريغ الحاوية ، واضعين المعدات التي سيأخذونها معهما في الجانب القريب من الباب الرئيسي . اما باقي الاغراض فرميت في البحر ، وكانت الثلاجة الصغيرة هي اكبر هذه الاغراض ، والتي كان احد رجال الطاقم ، قد لمحها وهي تسقط في البحر ، الا انه لم يميزها . فقد مرت من امامه وهو في الطابق الاسفل للسفينة ولو كانت بلونها الابيض الاعتيادي لقام بتفقد الامر ، الا انها كانت قد صبغت باللون الاسود من قبل أكفورد .

استعمل هاورد المكنسة الكهربائية الصغيرة لتنظيف الحاوية من اية آثار لهم فيها ثم قام برميها في البحر ايضاً . ثم جاء بكمية صغيرة من الرصاص وقام بتذويبها مستعملاً قداحته العسكرية وسكبها بشكلها السائل في وعاء كان قد اعده مسبقاً ليأخذ شكل الختم الجمركي البريطاني . قام بعد ذلك بصب الختم الجديد على الباب الرئيسية المقفلة ونظر الى ساعته . كان الوقت الثامنة مساءً بالتوقيت المحلي .

وبعد خمس عشرة دقيقة قام الرجلان بانزال معداتهما الى الطابق الاسفل من السفينة مستعملين الحبال وعملا بسرعة وهما على يقين بانهما يمران بأدق مراحل العملية على الاطلاق .

وعند نزولهما قاما بفتح اكبر الحقائب واخرجا منه زورقاً من نوع GEMINI بطول ستة عشر قدماً مفرغاً من الهواء وبدأ ماكدونالد بنفخه مستعملاً وعاءً مليئاً بالهواء المكبوس من النوع الذي يستعمل في عمليات الغطس . ثم قاما بربط الزورق بالحبال ورمياه في البحر . رمى هاورد بنفسه في البحر وتمكن من الوصول الى القارب ، ثم بدأ ماكدونالد بايصال المعدات اليه مستعملاً حبلاً اخر ليستلمها هو ويضعها في احدى جوانب القارب . وكانت اكبر المعدات حجما هي الماكنة - بقوة اربعين حصاناً - التي كانت ستستعمل لتحريك القارب ، وتبعتها اواني الوقود والماء ، وتسع حقائب مملوءة بالطعام والملابس والمعدات الاخرى . واخيراً اشار ماكدونالد لهاورد ان يكون على استعداد لاستقبال البندقية والتي كانت موضوعة في صندوقها المخصص لها . ابتسم هاورد لهذه المبادرة اذا ان البندقية لم تكن ادق الاجهزة التي في حوزتهم ، الا انه تفهم قلق ماكدونالد على الا يتعرض منظارها الدقيق لاي مكروه . وبعد ان اكملا تفريغ المعدات قام ماكدونالد بربط الحبل حول جسمه والالتحاق بالزورق بعد ان رمى نفسه في البحر .

بعد ابتعاد الباخرة ، قام الرجلان بنصب الماكنة في موقعها خلف الزورق واوصلاه بخزان الوقود . والتفت هاورد لماكدونالد وقال : «ستكون رحلتنا طويلة في حالة عدم اشتغال هذه الماكنة ، فان الساحل السعودي على بعد خمسة وسبعين ميلاً» .

دارت الماكنة في المحاولة الثالثة وقال هاورد : «الحمد لله ، فكنت ساقوم بقتل توني لو لم تعمل هذه الماكنة» . وقام بتوجيه القارب نحو الشرق بسرعة خمس عشرة عقدة ، وتوقع هاورد بأن تستغرق رحلتهم خمس ساعات . كان الوقت يقارب الساعة العاشرة مساءً بالتوقيت المحلي ، اي انهم سيصلون ، لو حالفهم الحظ وبقي البحر هادئاً ، في الساعة الثالثة صباحاً .

كانت رحلتهم اسهل مما كان يتوقع هاورد ، فبعد مضي ساعة كان قد قطع بتخمينه حوالي خمسة عشر ميلاً ثم انقضت ساعتان ، كانت ظروف البحر فيها قلقة بعض الشيء وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل توقع هاورد ان يكونا قد وصلا منتصف الطريق . وفي الساعة الواحدة والنصف خفت الرياح وهدأ البحر ثانية فزاد هاورد من سرعة القارب الى العشرين عقدة وذلك لغاية الساعة الثالثة صباحاً حين توقع ان يكون على مبعدة عشرة اميال عن الساحل السعودي . توقف ونظر الى جهاز GPS ووجد ان

الرياح قد دفعته الى مسافة ابعد من ذلك وبأنهما كانا على مقربة من جزيرة شيباره التي تبعد بضعة اميال عن الساحل وعلى مرأى منه .

لوح الى ماكدونالد ان يسرع باخراج صندوق كاتم صوت الماكنة ، الا انه قرر عدم استعماله مباشرة . وبعد لحظات شاهد ماكدونالد ضوءاً متجهاً اليهم من جانب الجنوب فتوجه هاورد الى الشمال. الا ان الضوء استمر باقترابه منهم الى ان وصل على مقربة ميلين ، واتضح للرجلين بأن القارب يعود الى حرس السواحل فقرر هاورد على التخفي .

قاما فوراً بتركيب صندوق كاتم صوت الماكنة وابطأ هاورد من مسيرة القارب وتوجه الى الشاطىء . كان ضوء السفينة يستمر بالاقتراب منهما ولم يتضح لهاورد ، ما اذا كانت هذه صدفة ، ام انهم قد تم اكتشافهم بواسطة الرادار الذي كان احتمالاً بعيداً لصغر حجم قاربهم . توجه هاورد ببطء شديد نحو بعض التعرجات الحجرية وابقى الماكنة تعمل بسرعة خفيفة وبصوت يكاد لا يسمع وقام ماكدونالد باخراج شبكة كاموفلاج من احدى الحقائب وقام بفرشها على القارب لاخفاءهم عن انظار القارب القادم .

وما ان اختفيا تحت الشبكة حتى تسلط عليهم ضوء الانوار الكاشفة من قارب حرس السواحل ، ولكنه بعد لحظات من القلق الشديد استمر في بحثه باتجاه اخر ، فقد كان كل شيء تحت شبكة الكاموفلاج الملونة بالوان البحر ، مطلياً باللون الاسود فكان اختفاؤهم سيكون كاملاً حتى من على بعد مئتي ياردة . غادر حرس السواحل واختفى قاربهم تدريجياً في الافق البعيد .

وصلا الساحل في الساعة الرابعة صباحاً وكان عليهم الاختباء مرة اخرى ، فبعد شروق الشمس كانا سيتعرضان الى خطر الانكشاف . تجول هاورد بمحاذاة الساحل الى ان وجد نقطة ملائمة للارساء ونزل تاركاً ماكدونالد بالقرب من القارب ، مشى لمسافة قصيرة وسمع صوتاً يدمدم في الافق ، وبعد مسيرة خمس دقائق اخرى شاهد اضاءة شاحنة وهي تمر على طريق يبعد عنه مسافة نصف الميل وايقن هاورد بأنه الطريق الساحلي .

عادا الى القارب وقام الرجلان بتفريغ البضاعة منها وخلعا ملابس الغطس ولبسا

ملابس عادية ، ثم قام ماكدونالد بتفريغ الهواء من القارب . رجع هاورد الى الطريق الساحلي حاملاً كيساً صغيراً ، وبعد تأكده من خلو الطريق من السيارات ، قام بوضع اعلام صفراء صغيرة على جانب الطريق ، تبعد الواحدة مسافة اربعمئة ياردة عن الاخرى ثم رجع ثانية الى موقع الارساء . وقبيل الساعة الخامسة صباحاً شاهد هاورد ضوءاً قادماً وازداد حماسه ، فقد قارب موعد شروق الشمس ، مرت السيارة عبر المكان والذي كان قد وضع فيه الاعلام واخرجت من جهاز تنبيهها ثلاث اشارات صوتية طويلة واخرى قصيرة ، ثم كررت العملية مرة اخرى .

كان القادم هو زيغلر في سيارته المؤجرة حيث قضى فترة ثلاثة ايام مخيماً في العراء وكان يقضي فترة الليل بالذهاب والاياب في هذا الشارع الطويل باحثاً عن اشارة لوصول هاورد . فرح هاورد وماكدونالد لرؤيته وازدادت فرحتهما حينما قدم لهما اقداحاً من القهوة الساخنة من وعاء عازل كبير كان موجوداً في السيارة . ركبا معه وارشداه الى نقطة الارساء ثم قاموا جميعاً بتحميل البضاعة في السيارة الكبيرة وتوجهوا بعد ذلك صوب الشمال .

وصلوا الى بلدة الوجه في السعودية قرابة الساعة السابعة والنصف صباحاً وكان دينارد بانتظارهم فقاموا بتحميل البضاعة في طائرة ايلاندر وطاروا باتجاه عرعر .

٣٤

جلس هاورد وماكدونالد في موقع بدانه وتناولا اطباقاً كبيرة من الطعام بنهم وبعد فترة جاءهم بورن وقال موجهاً كلامه لهاورد : «مع الاسف اننا لم نتمكن من حل مشكلة الاسلحة لحد الآن يا أد . الا ان الامور الاخرى تبدو بأنها على ما يرام . فقد عثرنا على بعض الاجهزة الطبية ، بالاضافة الى بعض المعدات الاخرى ، اعتقد بأن سيارتنا الاسعاف الكاذبة ستبدو وكأنها حقيقية!!

«وماهي نوعية السيارات الموجودة لدينا؟»

كان هاورد يوجه الاسئلة وهو يلتهم اكلة هندية مليئة بالتوابل الحارة ، كان قد اعدها الطباخ الباكستاني ، اذ كان هو وماكدونالد يشعران بالجوع بعد رحلتهما الطويلة .

«السيارات بحالة جيدة جداً . فكلها متشابهة تماماً وتكاد تكون جديدة ، فلا يمكن التفريق بينها . وقمنا بتفكيك إحداها من اجل الحصول على اجهزتها كقطع غيار ، وسنكون بعد يومين من العمل الميكانيكي ، جاهزين لعملية الطلاء!!

«هذه اخبار جيدة ، ساقوم بالقاء نظرة بعد دقائق . ان هذا الطعام لذيذ حقاً ، فقد كان السكن في علبة صغيرة واكل الطعام المعلب لفترة اسبوعين كاملين مرهقاً جداً . وقام بمسح صحنه بقطعة من الخبز ثم قال : «اعتقد بأنه يجدر بنا الا نبحث عن السلاح هنا ، اذ قد تثير هذه العملية بعض المشاكل ، سنقوم بسرقة بعض الاسلحة بعد دخولنا الى العراق . وبالمناسبة فهل واجهتهم المشاكل مع الجمارك السعودية؟»

– «لا ، لم تحصل اية مشاكل ، ما عدا في حالة أندي وكانت مشكلة صغيرة ، فعند تفتيش احدى حقائبه عثر رجال امن المطار على مجلة خليعة فقاموا بتفتيش بقية اغراضه بحذر ودققوا النظر بمحتوى حقيبته الا انهم لم يعثروا على شيء» . ضحك هاورد ثم قال «وكيف احوال ميل مع مرافقه؟»

«لا مشاكل هنا ايضاً ، لقد كلمته صباح اليوم ويبدو بأن سوليڤان هو شخص هادئ ولا يحب التعرض الى متاعب ، اما ميل فهو مستاء من تركه لوحده بهذا الشكل!»

فأجابه هاورد : «لم يكن امامنا حل آخر ، فقد كان يعرف واجباته منذ البداية ، كان الاختيار بينه وبين بوب الذي لا يتكلم العربية مطلقاً . اما حارس سوليڤان فقد يحتاج الى التكلم بالعربية في ظروف طارئة ، فيقوم ميْل اذاً بعمل مهم ، والان لنلقِ نظرة على كل الامور» .

دخلا الى ورشة العمل ، وكان توني أكفورد يعمل تحت سيارة من نوع تويوتا لاند كروزر مرفوعة على منصة ، بينما يقوم بوب أوشر بمعاونته وكانت تقف الى جانبهم سيارتان من نفس النوع واخرى ظهر منها الهيكل الخارجي فقط وهي التي كانت قد فتحت قطعها من اجل استعمالها كقطع غيار .

اقترب منهم هاورد ليتفحص العمل وقال : «كيف تسير الامور يا توني؟»

-«بشكل جيد سيدي ، لم نواجه مشاكل اطلاقاً والان لاخبرك بفكرة خطرت لي . استطيع رفع هذه القطعة لتعطيل كاتم صوت الماكنة بشكل مؤقت فما هو رأيك؟»

فكر هاورد قليلاً ثم هز برأسه قائلاً : «انها فكرة جيدة هل ستقوم بذلك في السيارتين؟» «كنت اتصور بأن سيارة واحدة ستكفي ، ولكنني استطيع ان اجري التحوير بالسيارتين لو شئت»

-«اعتقد باننا نتمكن من الاكتفاء بواحدة ، وماذا عن الكهربائيات؟»

-«لن تستغرق فترة طويلة - فالعملية بسيطة . هل احضرت الاضاءة تحت الحمراء؟ فقد احتاج ان اجري بعض التعديلات في الاضاءة الامامية»

أجابه هاورد : «إنها في احدى الحقائب ويقوم مايك وداني بتفريغها . هل يمكنني مساعدتك بشيء؟»

-«لا شكراً سيدي»

كان أمام هاورد ورجاله ، الكثير من الوقت للراحة ، اذ ان موعد وصول الفريق الى السعودية كان قد تحدد اعتماداً على مواعيد ابحار بواخر الشحن من ميناء فيلكستو الى شرقي افريقيا والتي كانت تبحر مرة واحدة في الاسبوع ، وبالاضافة الى ذلك فقد قرر هاورد ان يمنح الفريق المزيد من الوقت تحسباً للتأخير الذي كان محتملاً ان يحصل في

السويس او داخل السعودية لسبب او لآخر . وكان قد اتخذ هذا القرار على الرغم من رغبته بقضاء اقصر وقت ممكن داخل السعودية تلافياً للاحراج الممكن حصوله في حالة زيارة مفاجئة من هيوز الى موقع بدانه مثلاً فقد كان موعد مغادرتهم لبدانة في الخامس والعشرين من نيسان (ابريل) .

في يوم الجمعة وبعد وصول هاورد ، ذهب مع زيغلر ودينارد في رحلة تفقدية للمنطقة بالطائرة متجهين غرباً بمحاذاة خط الانبوب النفطي ومروا فوق مطار الجلاميد الواقع على بعد ستين ميلاً ، لم يتمكنوا من مشاهدة اية اثار للحركة فيه . اما الطريق السريع ، الذي يربط السعودية بالاردن ، فقد كانت فيه حركة نشطة للحافلات المنتقلة من الاردن الى دول الخليج . وكان بورن قد اخبر هاورد بأنها على الاغلب شاحنات سعودية ، اذ ان الحكومة السعودية ، كانت قد اصدرت قراراً تمنع فيه الشاحنات غير السعودية بالدخول الى اراضيها .

كانت طبيعة الارض التي يطيرون فوقها ، خالية ، جرداء من الحياة ، تكثر فيها الاحجار المتناثرة في كل مكان ، وقد استغرب هاورد لملاحظته الخضراء المنتشرة بين الصخور والتي تعود الى الكثرة النسبية لتساقط الامطار في الشتاء الماضي . اما في الافق الجنوبي فكان يلمح بدايات صحراء النفود العظيمة .

وعلى بعد خمسة عشر ميلاً من الجلاميد اشار دينارد الى شريط اسود في وسط الصحراء والذي كان مدرج مطار المسيرة ، وهو مطار صغير الحجم ، كان يبدو عليه وكأنه مهجور ، فسأله هاورد : «هل سنهبط هناك الآن؟»

« انه مكان جيد للهبوط لو اضطررنا لذلك يوماً ما»

قام دينارد بالارتفاع بالطائرة وهو يتجه نحو الغرب ، واشار بعد فترة وجيزة الى الطريق السريع المؤدي الى الشمال «هذا هو الطريق ، اليس كذلك؟»

«اريدك ان تزيد من الارتفاع يا أندي ، فاريد ان القي نظرة حول المنطقة لأتأكد من ذلك ، فهناك عدة طرق مؤشرة عندي على الخارطة»

صعد دينارد بطائرته الايلاندر الى ارتفاع احد عشر الف قدم ، وقضى هاورد بضع دقائق وهو يتأمل الخارطة ويجري مقارنة بينها والطبيعة الجرداء من تحته . ثم قال : «حسناً يا اندي ، فلقد تأكدت الآن بأن ذلك كان الطريق الصحيح . فلنهبط لوضع بعض

الاشارات ، وماهي المسافة التي يمكننا التوغل بها شمالاً قبل معرفة السلطات بنا؟» .

- «لمسافة خمسة او عشرة اميال قبل ان يستفسروا منا ، لو كنا نطير على ارتفاع يدركه جهاز الرادار وسأتمكن من اختلاق اعذار مقنعة لمثل هذا التجاوز ، الا ان رد فعل السلطات سيعتمد على الجهة التي ستقوم بكشف امرنا ، فقد اتمكن من الطيران على ارتفاع منخفض ، ولكن لو كنا قد كشفنا من قبل طائرة اواكس ، فقد تكون العواقب وخيمة ، اضافة الى ذلك ، فان السلطات المراقبة سيزعجها جداً امر فقدانها المفاجيء لأثر طائرة على اجهزة رادارها . فالسلطات هنا هي عسكرية وصارمة للغاية وهذا امر مفهوم بعد احداث السنة الماضية . طبعاً ساتمكن من الطيران على ارتفاع منخفض جداً لتجنب حتى الاواكس ، فلو دخلت الى وادي المبره بهذا الشكل لن نتمكن من التعرف على مظاهر الطبيعة اطلاقاً» .

- «حسناً حافظ على ارتفاعك هذا ولنتجنب المشاكل فهذه هي رحلة استطلاعية فقط!!»

وبعد مضي عشر دقائق ، كان هاورد قد اكتفى ، بعد ان كان دينارد قد حلق في الطائرة على مسافة مناسبة لكي يقوم بتدقيق كل التفاصيل الجغرافية المبينة على خارطته ، ثم توجهوا جنوباً عائدين الى مقرهم . وفي طريق العودة اشار هاورد الى زيغلر لأن يتهيأ للعمل فقام زيغلر باعداد ثلاث علب في حجم اللتر وفتح الباب الخلفية للطائرة بحذر شديد .

قال هاورد «هيا يا أندي ، فنحن جاهزون للتأشير اهبط قدر الامكان فوق الطريق قادماً من اتجاه الغرب ، ثم بلغ مايك قبل وصولنا الى التقاطع في الطريق العام باربعمائة ياردة . هل فهمت؟»

- «نعم فهمت»

قام دينارد بالتحليق لفترة دقائق قليلة لغاية خلو الشارع من السيارات ، ثم نزل بالطائرة الى ارتفاع مئة قدم ، ثم الى ارتفاع عشرة اقدام وعند وصوله الى نقطة التقاطع صاح بصوت عال «هيا الآن!» وقام دينارد برمي العلب الى الاسفل .ثم اتجه دينارد بعد ذلك الى الصعود الى ارتفاع الفي قدم ، وعاد الى نفس المكان فنظرا ليجدا الشارع الذي يفترق عن الشارع الرئيسي والذي يؤدي الى الحدود العراقية وقد انفجرت العلب

للاصباغ عليها بضغط شديد وكانت قد تناثرت على مساحة واسعة بشكل ملفت للنظر حتى اثناء ظلام الليل . «حسنا يا أندي فقد احسنت في عملك . والان لنعد الى المقر» .

كان اعضاء الفريق منهمكين في العمل طيلة فترة الصباح في طلاء السيارتين واعدادهما للسفرة . فقام بورن وأوشر وهاورد وماكدونالد بوضع الاشرطة اللاصقة على زجاج وهيكل السيارة ، في حين قام أكفورد بتهيئة ماكنة الاصباغ» .

واخيراً ، وبعد انتهاء العمل غادر الجميع الورشة واغلقوا الابواب لمنع الغبار الجوي من الدخول وعرقلة عملية الصبغ ، اما أكفورد ، فلبس النظارات الواقية وبدأ بعملية الضخ . دامت العملية فترة اربعين دقيقة صبغ خلالها السيارتين باللون الابيض اللامع وخرج بعدها وجسمه مبلل بالعرق لشدة الحر داخل الورشة ، ثم أغلق الابواب ثانية حال خروجه .

وبعد اربع وعشرين ساعة اعادوا فتح الابواب ليتأملوا نتائج عمل أكفورد فعلق أوشر ، «لقد كان عملك رائعاً يا توني»

«لم ينته عملي بعد ياعزيزي ، وسوف تقوم انت بمساعدتي بما تبقى» .

اشرف أكفورد على وضع بعض الاشرطة اللاصقة الاخرى وقام برفع بعض القطع ووضع قطع غيار اخرى ثم قام أوشر بطلاء السيارتين مرة اخرى ، باللون الاخضر الزيتوني هذه المرة . وفي اليوم التالي فتحوا ابواب الورشة وباشروا بازالة الاشرطة اللاصقة ، قاموا بفحص السيارتين بدقة ، وكان هاورد قد اظهر اعجابه بعمل رفاقه واخرج قائمة مكتوبة من جيبه وقال : «هيا اذاً لنجري التعديلات الاخيرة» .

قامت المجموعة بالتمعن بالقائمة ثم تجولوا حول السيارتين لاجراء التعديلات المطلوبة فقاموا بتكسير الاشارات الضوئية الامامية وقاموا بتوجيه ضربات من مطرقة حديدية الى جوانب من القشرة الخارجية للسيارتين . ثم قام بورن بفتح مظروف كبير واخرج منه بعض القطع اللاصقة التي كانت قد كتبت عليها حروف عربية واشكال للهلال الاحمر وقام بلصقها على الابواب وبعد وضع اجهزة الاضاءة الحمراء على السقف ، بدت السيارتان وكأنهما سيارتا اسعاف عسكرية قد عانتا من كثرة الاستعمال . ثم قال أكفورد «هيا يا شباب ، فلقد حان اوان الطلاء الاخير»

نظر زيغلر الى علبة كبيرة كانت متروكة امامه وقال : «ما هذه المادة يا توني؟ تبدو بأنها في غاية من القذارة» .

وأجابه أكفورد ضاحكاً : «وهي كذلك يا عزيزي انه خليط من زيت المكائن والشحم ، والآن لنبدأ بطلائه . لاتدع الطلاء يغطي الزجاج اذ اننا بحاجة الى الرؤية بوضوح» .

وكانت السيارتان ، بعد عشرين دقيقة قد طليتا بغشاء رقيق من الزيت فقال هاورد «هيا ، لنقوم بالتدرب على قيادتها يا جوني ، ستصطحبني في جولة حول المقر . ثم ليأخذ كل من الرجال دوراً وانتبه بألا نتصادم» .

فعلق ماكدونالد «لا اعتقد ان ذلك سيغير شيئاً» .

وقامت المجموعة بالتدرب على سياقة السيارتين كل بدوره ، وحينما كان أكفورد يلف حول المقر للمرة الاخيرة قام بفتح صمام جهاز كاتم الصوت واخرجت الماكنة صوتاً مدوياً واحدثت ضجة جاء على اثرها الطباخ الباكستاني ليرى ما اذا كان قد حصل مكروه .

ودمدم هاورد لنفسه «ياله من عمل فمنظر هاتين السيارتين مقنع للغاية ، اكاد لا اصدق بأن بامكانهما المسير لمسافة عشرة اميال ، الا انهما على الرغم من منظرهما ما زالتا جديدتين» . وقال بورن «انني لسعيد بأن توني هيوز ليس موجوداً معنا الآن . فكان قد جن جنونه» .

«اخشى بأنه سيتعرض لصدمة عندما تتجلى له الامور! » .

وضعوا السيارتين داخل الورشة وكان ذلك يوم الخميس المصادف ٢٣ نيسان (ابريل) ، وكان موعد رحيلهم لعبور الحدود العراقية هو في مساء اليوم التالي .

٣٥

غادروا بدانه عند المغيب . كان هاورد ، كعادته في بداية اية عملية ، يشعر بنوع من التوتر ، على الرغم من محاولاته العديدة لاقناع نفسه بأن كل الامور تسير بشكل منتظم . الا ان التشاؤم في هذه الظروف من الامور الطبيعية ايضاً وكانت افكاره في لحظة خروجهم تشاؤمية فعلاً . فعلى الرغم من بساطة امر الوصول الى مفترق الطرق ، والتوجه شمالاً حيثما يجدون آثار الطلاء الابيض على الشارع ، فقد راودته بعض الافكار عن احتمالات انكشاف امرهم . فماذا لو اوقفتهم دورية للشرطة مثلاً؟ كان ذلك محتملاً ان يحصل على الرغم من تأكيدات جوني بأن الدوريات نادراً ما تصل الى هذه المنطقة ، وماذا لو قام بالابلاغ عنهم احد سائقي الشاحنات؟ فمنظر سيارتين قذرتين للاسعاف تحمل أرقاماً غريبة ، هو ملفت للنظر ، وماذا لو تعطلت احدى السيارتين؟ او ان المنظفين قد قاموا بإزالة الصبغ الابيض عن الطريق؟ فحادثة صغيرة قد تؤدي الى الفشل ويذهب جهدهم الكبير في التخطيط والتدريب لفترة اشهر طويلة في مهب الريح ، فالفشل بعد المحاولة امر يختلف تماماً عن الفشل الآن ، وكان هاورد يكره الفشل بجميع اشكاله ، اذ كان رجلاً يؤمن بالانجاز في عمله ولم يكن قد فشل باي عملية قام بتنفيذها لحد الآن .

انتبه بورن ، وهو يجلس خلف عجلة القيادة ، الى التوتر الذي كان يشعر به هاورد وكان متفهماً للمسؤولية التي كان يتحملها رئيسه . اما هو ، فلم يكن يشعر سوى بالاثارة والحماس ، وبعد قليل قال لهاورد :لقد قطعنا مسافة ستين ميلاً منذ مغادرتنا لبدانة يا اد؟ فما رأيك بذلك؟»

– «سنمر بالجلاميد في اية لحظة ، اما مفترق الطريق فبعد ذلك بخمسة عشر ميلاً »

كان داني ماكدونالد مستلقياً على السرير في الخلف في سيارة الاسعاف منتحلاً دور

المصاب وهو غارق بالتفكير وكان يشعر بالدهشة لدرجة ارتياحه بالتجربة الجديدة . فكان قد اعجب بهؤلاء الرجال فكانت حياتهم بعيدة كل البعد عن حياته من تعابيرهم العسكرية الغريبة ، الى اسلوب تنبوء احدهم بافكار الاخر ، الى اعتزازهم بمهنتهم ، الا انه كان على يقين بأن هناك مقارنة كبيرة بينه وبينهم ايضاً . فقد كانوا رجالاً اشداء ، يؤمنون بالاعتماد على النفس والسيطرة على اعصابهم . وتذكر فجأة بأنه لم يكن قد لمس اثراً للتوتر او الخلاف فيما بينهم ولو لمرة واحدة رغم الظروف الصعبة التي كانوا يعملون فيها . فقد كانوا فريقاً جيداً ، الا انهم من ناحية اخرى كان كل منهم قد حافظ على فرديته وربما كان ذلك من اهم عوامل قوّتهم . فقد كان لكل واحد منهم القابلية على قيادة الفريق لما كانوا يتمتعون به جميعاً من شخصية قوية واحترام عند الاخرين .

فكر داني بكل من رفاقه على انفراد . توني أكفورد ذلك الرجل الكبير المتزن ، وصاحب شخصية محبوبة ، ويتمتع بقابلية ميكانيكية عجيبة . بوب أوشر الرجل القصير القامة والقوي البنية ، اصلع الرأس وهادئ على الرغم من لمحات مفاجئة لحيويته ومرحه وكثرة تحسسه عن الاخرين . الم يكن هو الذي فكر بمصاعب داني في اجراء حساباته وتكلف عناءالبحث عن جهاز الحاسب الآلي لمساعدته؟ وكان داني قد سمع عن الفترة التي كان قد قضاها بوب في السجن التركي مع إد هاورد ، الا انه استغرب حين سمع الاخرين وهم يصفونه «بالنجم التلفزيوني» . وحينما سأل احدهم عن سبب هذه التسمية ، اندهش لسماعه بأن بوب كان اول رجل يدخل من شباك الطابق الاعلى للسفارة الايرانية في برنسس غيت عام ١٩٧٩ عندما قام رجال الـSAS بانقاذ العاملين فيها من عملية ارهابية ، داني قد شاهد اللقطة تظهر على شاشة التلفزيون واعجب بالرجال الشجعان الذين قاموا بتنفيذ هذه العملية الجريئة . والان فأن احدهم أصبح صديقاً له .

اما ميل هاريس ، فقد ظل بنظر داني رجلاً غامضاً بعض الشيء ، متوتراً وسريع الانفجار معتقداً انه سريع الغضب ميال للعنف اكثر من الاخرين ولو لم تظهر علامات ذلك بعد في هذه العملية ، وتجربته مع المختطفين الثلاثة في ايطاليا خير دليل على صحة تخمينه وكان أندي دينارد وكريس پالمر ، فريقا ضمن الفريق ، كان أندي رجلا مرحاً ومحباً للنكتة ، الى جانب كونه طياراً ماهراً وشجاعاً بنفس الوقت ، اما كريس فقد

ميكانيكياً اميناً ومقتدراً ، ويتمتع ايضاً بالهدوء والاتزان . جوني بورن ، هو الاخر ، يحيطه نوع من الغموض ، فلم يتمكن داني من فهمه تماماً ، فقد اظهر هاورد ، احترامه الشديد له على الرغم من ان داني توقع لمايك زيغلر القدرة الطبيعية على ان يكون نائباً لرئيس العملية بدلاً منه .

وقد اطلع داني ، عن طريق هاورد على سجل بورن العسكري ، اثناء خدمته كضابط في حرب الفولكلاند ، حيث خدم بورن كقائد لسرية مشاة وقعت في فخ احدى حقول الالغام الارجنتينية ، وجرح اربعة من رجال السرية بمن فيهم الطبيب ، وكانت تنهال عليهم القذائف من المدفعية الارجنتينية ، الا ان بورن تمالك اعصابه بشكل مدهش وتمكن من انقاذ رجاله من المأزق ثم عاد اربع مرات ليصطحب احد الجرحى بنفسه في كل مرة . ثم قام بجمع رجاله وحثهم على القتال وقام بهجوم معاكس ناجح .

كان هاورد قد سمع بالحادث وكان يبحث آنذاك عن رجال متمرسين لتوظيفهم بشركة XF . فلدى حديثه مع بعض رجال سرية بورن أكدوا له شراسته في الهجمة المعاكسة ، لكنه على الرغم من ذلك ، بعد انتصاره في الهجمة ، فقد اظهر كثيراً من الرأفة تجاه الاسرى الارجنتينيين ، ولم يسمح لرجاله باساءة معاملتهم .

الا ان داني كان يفهم اسباب اختيار هاورد لمايك ، فقد كان اكثر الرجال نشاطاً وبروزاً ولمعاناً . وكان اثناء التمارين الليلية بالقرب من بدانة ، يعمل ليتمكن من الظهور فجأة ثم الاختفاء ولم يعد لاحد القدرة على إكتشافه . وكان مايك الرجل الذي اختاره هاورد لتدريب داني على اساليب القتال ، وبعض الاساليب غير القتالية . فقد كان مقاتلاً متمرساً ورجلاً شجاعاً ولطيف المعشر .

اما هاورد نفسه فهو لغز محير ، ولم يكن لاحد ان يعرف ما يدور في ذهنه . ويتمتع هاورد بقابلية تصل الى حد النبوغ في الامور الادارية ومن اكثر الرجال خبرة بالامور العسكرية . ولم يكن داني قد سمع احداً يبدي شيئاً متعلقاً بهاورد ، ماعدا زيغلر ، الذي اخبره بأنه كان قد التقي بهاورد اثناء حرب فيتنام حينما منح وسامين للشجاعة . ولم يكن داني قد فهم سبب وجود جنود بريطانيين في فيتنام ، فلم يكن قد سمع عن مثل هذه الاحداث من قبل .

توقف داني عن التخمين فقد كان على يقين بأن رفاقه كانوا من خيرة الرجال

العسكريين وكانت ثقته بهم شديدة . وشعر بالاطراء لاختيارهم له . ثم فكر داني ماكدونالد بالمهمة التي سيقوم بها قريباً وبدأ يشعر بالغضب مرة اخرى ، لم يبق على موعد التنفيذ سوى ايام قلائل .

جلس زيغلر في المقعد الامامي للسيارة الثانية ، وكان هو الاخر غارقاً بنفس الافكار ، الا ان اهتمامه كان منصباً على صديقه هاورد فماذا سيفعل إذ بعد انتهاء العملية ، هل سيُجبر على تغيير مجرى حياته تماماً مثلما سيجبر الاخرون ، فماذا سيفعله الاخرون بعد ذلك؟

قطع أكفورد سلسلة افكاره حين قال : «يجب ان اقوم بزيارة الولايات المتحدة يوماً ما ، فزوجتي ترغب بذلك . وانا اريد زيارة نيويورك ، فهل تعتقد بأنها ستروق لي؟» .

– «طبعاً يا توني ، لو كنت تحب العيش في المدن الكبيرة»

– «قد اقضي بعض الوقت هناك ثم ارحل لمشاهدة اماكن اخرى» .

– «حسناً تفعل . لو قدمت فعلاً فأرجو ان تعلمني بذلك . فسنقوم برحلة سوية لاصطياد السمك . مارأيك بهذه الفكرة؟»

– «اعدك بذلك ياعزيزي . انتبه» كان أكفورد حذراً حينما شاهد السيارة الامامية تخفف من سرعتها . وبعد مسافة قصيرة شاهدوا البقعة البيضاء في وسط الشارع وقال «اعتقد باننا قد وصلنا . هل جهزتم عدسات الرؤية الليلية؟»

«نعم»

كانت السيارتان قد عبرتا البقعة البيضاء فقاموا باطفاء الانوار ولبس الجميع خوذة عسكرية تحمل العدسات المخصصة للرؤية في الظلام . وبدت الصحراء واضحة على الرغم من الظلام ، اذ كانت لهذه العدسات القدرة على جمع المقدار القليل من الاضاءة الموجودة ومضاعفتها خمسة الاف مرة فتحول الليل الى نهار وظهرت ادق الاشياء بوضوح مدهش .

التفت بورن وقال لهاورد «لنجرب استعمال المصابيح تحت الحمراء» وكبس احد الازرار في مقدمة السيارة . حيث سبق وأن ركّب أكفورد مصابيحاً اضافية في السيارتين وزودها بفلتر يمنع خروج الاضاءة المرئية ويسمح فقط بخروج الاشعة تحت الحمراء التي يمكنهم مشاهدتها من خلال عدسات الرؤية الليلية . وتحولت الرؤية الى وضوح يشبه

وضوح النهار ، الا ان الصورة من خلال العدسات الخاصة قد اضفت عليه اللون الاخضر .

كانت السيارتان غير مرئيتين للعين المجردة ، اما بالنسبة للفريق فكان مجال الرؤية واضحاً امامهم ، وما كان عليهم الا ان يسيروا بسرعة معقولة . وتوجهوا الى الشمال ، حيث تقع الحدود العراقية على مسافة خمسة اميال فقط .

كان صوت بورن مشحوناً بالتوتر : «هناك اضاءة . . الى الامام» .

فأجابه هاورد «لقد رأيتها ، خفض السرعة وتقرّب ببطء شديد» ونظر الى جهاز GPS . لقد كانوا قد عبروا الحدود بمسافة قصيرة تكاد لا تتعدى الثلاثة كيلومترات .

كان الفريق يسير بحذر شديد عبر العشرة اميال الماضية ، اذ كان الطريق رديئاً ويبدو بأنه لم يستعمل منذ فترة طويلة ، وكانت الفيضانات الموسمية قد خربت اجزاء كبيرة منه .

اقتربت السيارتان من مصدر الاضاءة ببطء شديد وتوقفتا على مسافة كيلومتر واحد منه ، حيث اشار هاورد لبورن بالتوقف ونزل الرجلان من السيارة لتفحص الموقف عن كثب .

التحق بهما زيغلر ، وكان قادماً من السيارة الثانية وهمس لهاورد ، «ارى حركة ، اعتقد انه شخص! هل رأيت هذه الاضاءة الخافتة الى يساره ، اعتقد بأنها سيجارة ويبدو ان هناك بناية الى اليسار ايضاً ربما كانت نقطة حراسة» .

«اتفق معك هيا لنقترب بعض الشيء» .

كانوا قد ناقشوا احتمال وجود مثل نقطة للحراسة هذه من قبل ، الا انهم لم يكونوا على علم آنذاك ما اذا ستكون نقطة عراقية أم سعودية ، وأنهم قرروا ان يقوموا بحل المشكلة في حال حصولها . قام زيغلر بتحليل الموقف وعلق بسخرية «انظر الى هذا المكان ياله من موقع عسكري مثالي . نعم فمن من العسكريين لا يحلم بأن يرسل الى هنا؟» . وسأله جوني «ماذا تقصد يا مايك؟»

«لو كنت انت جنرالاً عراقياً كبيراً ، فمن سترسل لموقع مثل هذا ، لابد ان يقع اختيارك على اسوأ ضباط لديك ، شخص تريد التخلص منه في جميع الاحوال ، أليس كذلك؟»

فهم هاورد مقصده وقال :«اعتقد بانك على حق . لابد ان يكون هؤلاء الجنود مجموعة من الفاشلين ولابد ان تكون معنوياتهم في الحضيض ، فيقضون يوماً بعد يوم في حالة من الكسل . لابد ان النظام العسكري مفقود والاسلحة بدائية ، لا اعتقد باننا سنواجه مشاكل ولكننا يجب الا ننسى باننا يجب ان نحافظ على سرية وجودنا هنا ، يجب الا يرانا احد» .

واستمر في حديثه ، «والآن لدينا فرصة للحصول على بعض الاسلحة ايضاً . لن نحتاج لاكثر من ثلاثة رجال ، سنقترب لمسافة اربعمائة ياردة بالسيارات وستبقى انت في حراستها يا جوني . اما انا فساقوم بلفت انتباههم في اتجاه اخر وستقوم انت يا مايك باصطحاب توني او بوب لتقوموا بسرقة بعض الاسلحة . هل سنتمكن من ذلك خلال ساعة؟»

فأجابه زيغلر : «لنقل بانك ستقوم بالحادث الساعة ٢١,٥٤ سأكون متهيئاً في ذلك الوقت وسالتقي بكم على مسافة خمسمائة ياردة في الاتجاه الاخر» .

«حسناً يا جوني ، يجب ان تتحرك ببطء في الساعة ٢١,٥٤ الى اقرب نقطة ممكنة ثم ادخل بدون اية اضاءة حينما تشاهد الحادث . هل من سؤال؟» وهمس له زيغلر «هل تمانع لو اخذت داني معي يا إد؟»

نظر اليه هاورد وابتسم قائلاً : «فكرة جيدة سيشعر بأنه جزء من الفريق ، ثم انه في عمله معتاد على الزحف خلسة بهذا الشكل ، اليس كذلك؟»

فأجابه زيغلر «نفس افكاري بالضبط» ثم ذهب لسيارة هاورد وهمس من خلال الشباك . «ياماك ، لقد اختارك الرئيس بأن تصطحبني الى داخل المعسكر والقيام ببعض اعمال السرقة» .

وشعر ماكدونالد بفرحة غريبة لاختيارهم له .كانت مهمة هاورد خالية من المشاكل ، فقد اقترب من المعسكر الصغير مرتدياً عدساته الليلية وشاهد المبنى الرئيسي بوضوح . كان يحرس مدخله جندي واحد فقط كان جالساً على كرس خشبي مرتدياً معطفاً سميكاً ليحميه من البرد ويبدو عليه بأنه نائم . التفت هاورد الى اليسار ورأى بناء اخر صغير وعلى مسافة مئة ياردة اخرى على اليسار وجد ما كان يبحث عنه ، كان هناك بناء صغيراً غير مسقف ولم يجد به اثاراً للحرس امامه . زحف نحوه ببطء ونظر الى داخل

البناء وقرر ان يقوم بحادث التمويه هنا . فاخرج سكينة من جيبه وبدأ بالعمل .

***

تحرك زيغلر برشاقة وسط الظلام وتبعه ماكدونالد بثقة مطلقة ، كان قد تعلم معنى الاشارة اليدوية واساليب التحرك الليلي من زيغلر في موقع بدانة ، ولم يكن هو غريباً على اساليب التحرك بسكون تام ومن دون ان يراه احد . اقترب الرجلان من الجانب الخلفي للمبنى واشار له زيغلر ان ينبطح على الارض ليقوم هو بسبقه بمسافة بضعة الياردات المتبقية . خلع نظارته الليلية ونظر الى داخل الشباك ، حيث رأى رجلاً نائماً على كرسي وسط الغرفة ، وكان يبدو من شارات ملابسه بأنه ضابط صغير ، كانت قبعته تغطي وجهه ولم يكن قد حلق ذقنه لعدة ايام . لوهلة تذكر تجربته في السجن التركي ثم شاهد حاجزاً خشبياً يفصل ما بين الرجل النائم وبقية اجزاء المبنى ، فخمن زيغلر بأنه قد يكون مخزناً ثم رجع والتحق بمكدونالد ، اما المبنى الثاني فصدرت منه جوقة من اصوات الشخير حيث كان معظم الرجال نائمين ، اما المبنى الثالث فكان يحتوي على المطبخ وقاعة الطعام وكان في داخله ستة حراس ملتفين حول مدفئة غازية .

همس زيغلر «اسمع يا داني ، هناك ثلاثة احتمالات ، اولاً ان يكون كل رجل قد احتفظ بسلاحه ، ثانياً بأن المخزن في المبنى الرئيس موصداً ، وثالثاً خليط من الاثنين . وانا اعتقد بأن الاحتمال الثالث هو الصحيح وان هناك اسلحة في المخزن ، فلنذهب ونلقِ نظرة» .

كان الباب الخلفي للمخزن مفتوحاً وتمكن زيغلر من الوصول اليه بسهولة بعد ان لبس جواريب صوفية فوق حذائه كي لا يخرج صوتاً وهو يمشي على الارض الخشبية . وضع عدساته الليلية على رأسه وتمكن من الرؤية بوضوح داخل المخزن فوجد صفا طويلاً فيه حوالي ثلاثين بندقية كلاشنكوف كانت مركونة على الجدار ،الى جانب اخر وجد ست قاذفات مضادة للدباباتRPG7 وعدة صناديق تحتوي على قذائف ، بالاضافة الى قطع من الاسلحة الخفيفة الاخرى .

عمل زيغلر بصمت وقام باختيار ست بنادق خفيفة وسلمها الى ماكدونالد الذي كان ينتظره في الخارج . ثم عاد ليختار احدى القاذفاتRPG7 مع صندوق من القذائف ثم

هم باخذ صندوق كان يحتوي على متفجرات يدوية .

وفجأة صدر صوت عال من احد الالواح الخشبية للارض . جمد زيغلر للحظة في مكانه وهو يلعن حظه ، ثم ايقن بأن الصوت كان قد خرج من خلف الحاجز بسبب تحرك الضابط في نومه . انتظر دقيقتين دون حركة ثم خرج بصمت حاملاً صندوق المتفجرات .

بعد فترة قصيرة كان زيغلر وماكدونالد قد انتهيا من وضع الصناديق في حقيبة كبيرة ثم تقاسما حمل بقية الاسلحة . نظر زيغلر الى ساعته ووجد بأن امامهما عشرين دقيقة فقرر ان يصب كمية من الماء في خزان الوقود للشاحنة الوحيدة في المعسكر والتي كانت على مقربة منهما ، حمل ماكدونالد عدته وتبعه .

بعد مرور اقل من عشرين دقيقة بقليل جرت احداث عدة في آن واحد . اولا دقت الساعة المنبهة في مكتب الضابط فاستيقظ بفزع كما استيقظ الحارس النائم عند الباب الرئيسية ونظر حوله بسرعة ليتأكد بالا يكون احد قد ادرك بأنه قد نام ، وفجأة صدر صوت عال خلف المبنى . نهض الحارس الى قدميه مرتبكاً ونظر حواليه ثم دخل الى مكتب الضابط في حين كان الضابط يهرع للخروج فارتطم الرجلان . كان الضابط يشتم بصوت عال وركض الى الجانب الخلفي من المبنى ، اما السماء فقد تحول لونها الى الاحمر وكأن الشمس تشرق ، نهض الجنود النائمون في المبنى المجاور وهرعوا وسط الظلام لارتداء ملابسهم وهم يشتمون .

كانت مهمة هاورد في غاية من البساطة . كان مذخر الوقود يحتوي على ست وعشرون برميلاً من البنزين وواحدة لزيت المكائن ، قام هاورد بسكب كمية كبيرة من الوقود على ارضية المذخر في تمام الساعة ٢١,٥٠ ثم انتظر قليلاً ، وقام في الموعد المحدد بتفجيرها مستخدماً قطعة من القماش التي كان قد اضرم النار فيها وركض بصمت باتجاه الظلام .

وفي الساعة ٢١,٥٤ قام بورن وأكفورد بتحريك سيارتيهما ببطء الى نقط تبعد مئتي ياردة عن المعسكر ، وما ان شاهدوا النيران تشتعل ، دارت محركاتهم وكان صوتها قد ضاع وسط صوت الانفجارات ، وانتظروا وهم داخل سيارتهما يترقبون الاحداث عن كثب .

كان الجنود العراقيون قد قضوا اسابيع طويلة من الملل في هذا المعسكر الصغير ولذلك كان الحريق بالنسبة لهم حدثا غريباً ومروعاً في آن واحد ، ونظروا الى النيران بدهشة ، ثم تقربوا منها وهم يتكلمون فيما بينهم بحماس .

قام الضابط بمحاولة جادة لتحريك رجاله صارخاً بوجههم تارة وتهديدهم تارة اخرى ، الا ان الرجال سخروا منه ، اذ لم يمكن تحت تصرفهم اية وسائل لاطفاء الحريق . فاستسلم الضابط اخيراً للامر الواقع ونظر هو الاخر الى النيران بتوتر وهو يعض اظافره وقرر على الفور بالا يبلغ قادته عن الحادث الى ان تتسنى له فرصة للقيام ببعض التنظيفات فقد كان مستقبله يبدو قاتماً .

في تمام الساعة ٢٢,٠٥ ابتعدت سيارتا الاسعاف من المعسكر دون ان يعرف احد عن وجودهم اطلاقاً . وهكذا دخل فريق هاورد الى العراق .

٣٦

نظر جون كيرون الى الشاشة على الجانب الايسر من مكتبه بينما كانت اشارات «التنبيه» تضيء فيه بشكل متعاقب . توقع كيرون ان تكون الاشارة من نظام DSP الا ان ذلك الامر لم يكن يتعلق به ، بل ستقوم الدائرة الوطنية للاستطلاع (NORAD) بالنظر فيه . ادخل شفرة على مفاتيح جهازه للقيام بتحليل اعتيادي للاشارة ثم عاد الى عمله الرئيسي بمراقبة مشروع الاثير للطاقة الذرية في العراق .

كانت مراقبة مشروع الاثير قد استغرقت فترة طويلة ، اذ كان امامه القيام بتحليل آثار القصف الجوي على المفاعل النووي ، وكانت نتائجه ستقارن بملاحظة المراقبين العسكريين على الارض ، ولم يكن كيرون على علم بملاحظاتهم بعد ، ولم يعلم لغاية اكماله التحليل ، وكان على وشك الانتهاء منه الآن ، انه قد إستغرق جهده لذلك اليوم اربع ساعات .

كان كيرون يحب عمله في دائرة الاستطلاع الوطنية وكان على مستوى التحديات التي تجابهه يومياً ، على الرغم من انه لم يتمكن من التعامل مع زملائه بالاسلوب المرح الذي يتبعونه فيما بينهم ، فقد كانوا جميعاً وبدون اية استثناءات ، مهنيين اذكياء ومقتدرين مثلما كان هو ، وكان الانجاز العلمي امراً طبيعياً بالنسبة له ، لذلك فلم يكن مغروراً ، بل كان مقياسه الوحيد لنجاحه هو مقدار الاحترام الذي كانوا يظهرونه له . فرغم انجازاته المهمة في مجال عمله ، كان يأمل دائماً ان يكون احد اعضاء الفريق بدلاً من ان يحاول ان يكون رئيساً له .

وغالباً ما تبدو عليه عادة علامات الاستغراب عندما يخبره احد زملائه بأنه يُعتبر احد النابغين في قسمه ، فلم يكن قد فهم ذلك اطلاقاً ، اذ كان بنظره انه لايختلف عن احد من اعضاء الفريق ، بل كانت امنيته ان يتمكن من المساهمة بمداعباتهم اثناء العمل . ولو

كان هناك ما يمكن ان يوصف بنقص في شخصيته ، فقد كان شاباً جاداً في حياته وفي عمله ، الا انه كان محبوباً لتواضعه . اذ كان كيرون يعاني من الشعور بعدم الثقة في شخصيته . . . برغم عبقريته العلمية التي شهدت بها التقارير التي كتبها عنه؟ . كان شاباً قصير القامة ممتلئاً بعض الشيء ويرتدي نظارات طبية بعدسات دائرية الشكل ، وقبل أن يلتحق كيرون بعمله الجديد ، جمع والتر سورنن منتسبي الدائرة وحذرهم من إثارة كيرون أو تسميته بأسماء لا يستسيغها . وعند التحاقه بعمله قام كيرون بتغيير عدسات نظاراته الى الشكل المستطيل والتي تتماشى حسب نصيحة سورنن مع مهامه الجديدة . وبعد سبع سنوات من عمله في هذا القسم استرجع ثقته بنفسه ، وقد ساهم مساهمة رئيسية في تثبيت اساليب التحليل الجديد التي تتبعها وكالة الاعلام الوطنية .

كانت علاقة كيرْون جيدة برئيس قسمه والتر سورنن الذي كان ادارياً جيداً ويملك القابلية على تحفيز موظفيه على الانجاز ، وقد كان لكثرة تفهمه لمشاكل الاخرين ،وتعامله الايجابي والحق مع اعضاء قسمه ، يحظى بشعبية كبيرة لدى الجميع الذين كانوا يلقبونه «بالدب» لبدانته ، ومن قبيل التحبب له .

اذ كان نصب شاشات المراقبة لبرنامج دعم القدرات الدفاعية المباشرة بـ (الستلايت) قبل أربع سنوات احدى افكار كيرْون وكان سورنن قد ايده آنذاك مما اثار تعجب كيرْون ، فقد كان سورنن دائم الاعتراض على الخروج من نطاق واجبات وكالة الاستطلاع الوطنية . وكثيراً ما كان يقول : «هذه ليست ضمن واجباتنا يا جون ، الرقابة المباشرة ليست من واجبنا ، اما نحن فنهتم بالامور البعيدة المدى فقط ، بينما تقوم NORAD بالرقابة المباشرة واعمال الرد السريع . واجبنا نحن اكثر تشويقاً من ذلك ، اذ نقوم بالتحليل بعد مضي فترة من الزمن ، لتلك الامور التي لم تسنح لهم معرفتها آنياً . كانت هذه من محاضرات سورنن المفضلة التي لا يكل ولا يمل من القائها على المحللين الجدد المعينين في وكالة الاستطلاع الوطنية في واشنطن .

لكنه ذات مرة كان متهيئاً في اجابته اذ قال «انت على حق يا والتر ، الا ان الفارق الزمني يقلقني ، اتذكر ماذا يحصل كلما يقوم الروس بتجربة فضائية؟ تنهال علينا مطاليب المسؤولين للرقابة المباشرة . نعم ، فانهم يستعملون الجماعة في NORAD ايضاً ومع ذلك فأنهم يتصلون بنا دائماً ، ويتوقعون منا ان نعطيهم اجابات على اسئلتهم

الكثيرة . طبعاً فعملي شخصياً لا يخضع الى إختبار دقيق» ، وكان على يقين بأن والتر سورنن قد زاد اهتمامه بما يقول . لقد كانت هذه نقطة حساسة عند «الدب» فقد كان رجلاً صبوراً الا انه كان على الرغم من ذلك يشعر بالتوتر الشديد كلما اضطر ان يشرح لمسؤولي البيت الابيض بأن دائرته لا تحوز على معلومات آنية للاحداث ، ويجب عليهم ان يجربوا حظهم مع NORAD . فقد كان الدب يكره ان يوضع بموقف يظهر فيه بأنه عديم الاطلاع على مجريات الامور ، خصوصاً اذا كان السبب هو سوء فهم المسؤولين لواجبات دائرته .

واستمر كيرْون بالكلام : «رأيي في الموضوع يا والتر ، هو اننا لو حصلنا على جهاز واحد فقط للرقابة المباشرة في برنامج دعم القدرات الدفاعية DSP ، لكان هذا هو الحل لمشاكلنا ، ولن نضطر لقضاء فترة طويلة بالعمل به ، فكلما طلب منا المسؤولون مراقبة حدث معين قمنا بذلك بواسطة DSP اما NORAD فتقوم هي بمراقبة بقية الاحداث على عادتها . . ولن نكون قد خسرنا شيئاً» .

فكر سورنن بالموضوع لوهلة فقد كانت الفكرة تروق له على ما يبدو وداعب شاربه باصابع عصبية وقال : «حسنا سنجربه ، شاشة واحدة وستكون انت المسؤول عنها ويمكنك استخدام ستلايت واحد فقط . ولا اريدك ان تقضي وقتاً طويلاً بهذا البرنامج وتقوم باهمال واجباتك الاخرى» .

فرح كيرْون بما سمعه وقال : «سافعل ما تريد بالضبط وسنستعمل البرنامج للاجابة على اسئلة المسؤولين فقط ، ولايحصل ذلك اكثر من مرة او مرتين في الشهر وهو معدل ورود استفساراتهم في الماضي القريب» ، الا ان الامور لم تسر بهذا الشكل ، فبعد الانتهاء من تركيب اجهزة DSP في صيف ١٩٨٨ ، كان الـ NRO قد تلقى اوامر بأن تؤجل معظم اعماله الاخرى ويقوم بمراقبة البرنامج النووي العراقي . كان كيرْون وخمسة محللين اخرين قد أعفوا من مسؤولياتهم الاخرى بمراقبة برامج المعسكر السوفياتي (سابقاً) وطُلب منهم ان يتفرغوا تماماً الى اعمال الرقابة والتحليل المباشر بشكل عاجل للمشروع النووي العراقي وكانوا قد انتهوا من تحليلاتهم في خريف ١٩٨٨ ، واستنتجوا في تقريرهم بأن البرنامج النووي في العراق قد وصل الى مراحل متقدمة وبامكانه ان ينتج الاسلحة الذرية في العام ١٩٩٤ ، ولكن الامور قد هدأت بعض الشيء بعد ذلك .

الا ان هذا الهدوء لم يكتب له الدوام لفترة طويلة ، فقد كثرت الاسئلة حول بعض جوانب التقرير الاول وازداد تعطش المسؤولين الى معلومات جديدة عن كفاءة العراق النووية . ويعود السبب الى صعوبة تحريك القمر الصناعيKH11 التجسسي من مداره الطبيعي لمراقبة العراق . فجاءت الاوامر الجديدة بأن يستمر المشروع ستة اشهر هذه المرة بمساعدة اثنين من الـ KH11 والتي سيتمحور مدارها لمراقبة العراق بشكل دائمي طيلة هذه الفترة ، وكان كيرْون ، بعد سماعه الاوامر الجديدة قد خمن بأن هذا سيعني ان القمرين الصناعيين الـ KH11 الصناعيين سيفقدان نصف عمرهما ، اذ سيبقى لديها من الوقود المخزون ما يكفي لسبعمائة وخمسين يوماً فقط . وتعتبر أقمار الـ KH11 من أضخم محطات التجسس الفضائية لامريكا ، حيث يبلغ زنة الواحدة منها حوالي ١٢ طناً وطولها ٦٤ قدماً ومن مزاياها أنها تبث معلوماتها الى محطة فضائية أخرى وليس محطة أرضية كبقية الأقمار الصناعية ، وبالتالي فان أجهزة الرصد الارضية لا تلتقط أي نشاط لهذه المحطات ، وهذا ما خدع الروس لفترة طويلة ، حيث كانوا يعلمون جيداً بموقع تواجدها في الفضاء إلا أنهم لم يلتقطوا أية إشارات أو نشاط منها .

اذاً كانت الولايات المتحدة ستفقد اثنتين من محطات التجسس KH11 لمراقبة العراق ، وتعتبر من اكثر المحطات التجسسية تطوراً والقادرة على ارسال الصور الكترونياً لتكون جاهزة للتحليل المباشر من دون اية فترة انتظار . أما إعادة تغيير مدار هذه الاقمار الصناعية الى مدارها الجديد فوق العراق وعلى ارتفاع مائتين وخمسة كيلومترات فقد أستغرق أربعة أيام كاملة ويعتبر هذا ارتفاعاً منخفضاً نسبياً لتمكين هذه المحطات بالقيام بالتصوير الواضح والمفصل لما يجري على الارض وبسرعة ستة كيلومترات في الثانية ، اما عند انتهاء وقودها فيجب ان تبدل خزانات الوقود فيها بعملية مكلفة للغاية . وكان «الدب» قد ذكرهم بذلك قائلاً : «في هذه اللعبة يكون للوقت ثمناً باهضاً فعليكم الاستفادة قدر الامكان من هذين القمرين» ،.

كان كيرْون وزملاؤه من فريق المراقبة قد توفقوا بجمع الكثير من المعلومات وكان تقريرهم الثاني ادق واكثر تفصيلاً من الاول وقد توقعوا بأنه سيكون للعراق القدرة على صناعة الاسلحة النووية في العام ١٩٩٣ . ثم تغير قرارهم النهائي بهذا الشأن الى عام ١٩٩٢ في تقرير اخر .

اصبحت لعملية المراقبة المباشرة اولوية نتيجة لضغوط من وكالة المخابرات المركزية CIA ، ادت الى اطالة عملية المراقبة بمئة يوم اضافية وتحويل مدار القمر KH12 الثالث واضافة ستة محللين اخرين للعمل في وكالة الاستطلاع الوطنية ثم جاء قرار تحويل مدار قمر صناعي اخر من نوع KH12 وتضاعفت كمية المعلومات التي كانوا قد جمعوها .

ترقى كيرْوِن في وظيفته وازداد مرتبةً واصبح لقسمه اهمية كبيرة خصوصاً لدى وزير الدفاع ديك شيني وطلب منه أن يتفرغ هو واعضاء فريقه في برنامج دعم القدرات الدفاعية (DSP) لمراقبة العراق بشكل دائم . وقاموا باعداد تقريرهم النهائي العام ١٩٨٩ وكانت تحليلات كيرْوِن عن المشاريع العسكرية الجديدة في العراق ، والاجراءات الامنية المحيطة بها ، قد فسحت المجال امام استكشافات اخرى ، وكان موعد توقعهم للاستعداد النووي العراقي قد تقدم الى شهر أيار (مايو) ١٩٩١ اي بعد حوالي السنة من ذلك التاريخ .

لم يكن كيرْوِن قد ادرك مدى جدية السلطات لمراقبة العراق الا عندما لاحظ تغيراً في مدار الاقمار الصناعية المخصصة لبرنامج دعم القدرات الدفاعية DSP ، فقد اختفى الجانب الشرقي من الاتحاد السوفياتي من شاشته كلياً ، وكان هذا التغيير قد حصل ما بعد اعداد التقرير النهائي لوكالة الاستطلاع الوطنية NRO فقد تحول مدار العديد من الاقمار الصناعية التي كانت تراقب الاتحاد السوفياتي الى مدارات تبعد مسافة ثلاثة الاف ميلاً الى الغرب لمراقبة العراق ومنطقة الخليج .

وقد جرت خلال السنتين الماضيتين عدة تحليلات ايجابية لبرنامج دعم القدرات الدفاعية DSP فيما يتعلق بالعراق في مراقبتها لاختبارات صواريخ السكود B ، والعباس ، والحسين ، التي لم تكن سهلة الاستكشاف حتى بالنسبة لبرنامج كفء مثل الـDSP فالسكود B مثلاً له اشعاع حراري اقل من واحد بالمئة من تلك الاشعاعات الصادرة من الصواريخ العابرة للقارات المستخدمة في الولايات المتحدة ، ويكون اكتشافها اصعب لو كان الجو غائماً ، الا ان كيرْوِن قد تمكن من اكتشافها جميعاً ، غير ان السلطات الامريكية لم تكن متخوفة من صواريخ سكود لانها تعتبرها من المنظومات القديمة وتكاد تكون من العصور الحجرية عند مقارنتها بالانظمة الحديثة ، ومن حيث

قابليتها على بلوغ الاهداف بدقة .

كان كيرْوِن على الرغم من ذلك مندمجاً بعمله الى ابعد الحدود ، فعملية المراقبة المباشرة فيها الكثير من الاثارة والحماس ، بالمقارنة للتحليل البعيد المدى ما بعد الحادث .

ويذكر كيف كانت تجري عملية مراقبة صواريخ سكود . فحالما ينطلق الصاروخ الى السماء يراه على شاشته على شكل اشارة صغيرة . ثم تأتي كل عشر ثوان اشارة اخرى ، ثم يأتي التأكيد على المشاهدة من قبل مركز الانذار ضد الصواريخ في المقر العام لـ NORAD والواقع تحت الارض بين جبال كولورادو ، ثم يرسم الخبراء المسار المحتمل له والهدف . كل ذلك خلال دقيقة واحدة من الاقلاع ، الا في حال وجود غيوم في الجو ، عندئذ فعملية الارصاد تستغرق وقتاً اطول ، فالقادة العسكريون في ساحة القتال يستلمون كل هذه المعلومات خلال ثلاث دقائق ونصف من لحظة إقلاع سكود ، وبعد ذلك بتسعين ثانية ، تكون صواريخ باتريوت المضادة للصواريخ قد جهزت ، أما الوقت الذي يستغرقه سكود للوصول الى السعودية او اسرائيل ثماني دقائق ، ولا يبقى امام فرقة باتريوت سوى ثلاث دقائق من الوقت للاستعداد والمواجهة .

اما مشكلة صواريخ باتريوت فقد اعدت لمواجهة اهداف حقيقية ، وليس اهدافاً مثل صواريخ سكود ، او العباس او الحسين ، فقد كانت هذه الأخيرة ركيكة الصنع ، تتكسر وهي في الجو على ارتفاع خمسة عشر الى عشرين كيلومتراً وتتساقط على شكل ثلاث او اربع قطع . وكان الامريكان يواجهون ذلك باطلاق اعداد إضافية من صواريخ باتريوت ليدمروا سكود وجميع الرووس المتفجرة ومتابعة جميع القطع الاخرى طوال خط الطيران وحتى وصولها الى الارض ، وذات مرة ، وجهوا خمساً وثلاثين صاروخ باتريوت لمواجهة سبعة صواريخ سكود عراقية فقط للتأكد من تدمير جميع اجزائها . وكان الحطام الناتج من كل هذه الصواريخ قد تسبب بوقوع حوادث اكثر مما كانت تسببه صواريخ سكود نفسها لو كانت قد اصابت أهدافها . وارتفعت نسبة الاصابات في اسرائيل بعد استعمال صواريخ باتريوت بنسبة ستين في المئة وتضاعفت التقارير عن الاضرار الناجمة جراء سقوط أجزاء باتريوت ثلاث أضعاف . وقد كانت شركة ريثيون ، صانعة صواريخ باتريوت تتوقع هذه النتائج من خلال التجارب التي كانت قد أجرتها على هذه

الصواريخ في منطقة وايت ساندز في صحراء أريزونا . إلا أن أحداً لم يكن يتوقع السهولة التي تكسرت بها صواريخ سكود العراقية . ولهذا عمدت الشركة الى توجيه الصواريخ يدوياً بدل أن تكون المتابعة بالجهاز التلقائي لصاروخ باتريوت واحتاج ذلك سرعة في اتخاذ القرار وتحديد الجزء الصحيح من صاروخ سكود للتصويب خلال تسعين ثانية! .

كان كيرون يعلم أن صواريخ باتريوت PAC2 التي استخدمت في حرب الخليج قد طورت من PAC1 التي صممت أساساً ضد الطائرات وأن صواريخ آرو هي الجيل الثالث للصواريخ المضادة للصواريخ . فهي أبعد مدىً من صاروخ باتريوت وتصل الى ثمانية أضعاف ارتفاع باتريوت والبالغ خمسة كيلومترات فقط .

تطوير الجيل الثالث للصواريخ المضادة للصواريخ من طراز آرو كانت عملية باهضة جداً . . . وكانت اسرائيل ترغب باقتناء التقنية والمال اللازم لتطويرها محلياً ، إلاّ أن الاتفاقية المبرمة بين امريكا والاتحاد السوفياتي عام ١٩٧٢ كان يمنعها من ذلك ، غير أن الولايات المتحدة كانت قد ضمنت لاسرائيل تزويدها بصواريخ آرو خلال حرب الخليج . هذا ما جعل اسرائيل تلزم جانب الصمت والحياد ، وليس عملية حماية حدودها بصواريخ باتريوت الامريكية ، كما ظن الرأي العام العالمي خلال حرب الخليج الثانية .

تنفس كيرون بعمق . . اما الآن وقد عادت الامور الى طبيعتها تقريباً ، وكانت مراقبة الشرق الاوسط ما زالت تعتبر من الاولويات على الرغم من اختلاف السبب ، فمراقبة اليوم اخذت طابع الاشراف والتدقيق بالمشاريع العسكرية ، وكان كيرْون قد اكمل مشروع تحليل الدمار الناتج عن التفجير في مشروع الاثير العراقي ، وكان عمله مُرضياً ، إذ كانت المعلومات من رحلات القمر الصناعي KH12 مثمرة للغاية .

نادى كيرون احد زملائه قائلاً : «يا بيتر اعتقد باننا قد اكملنا عملنا هنا اريد منك ان تعيد تدقيق بعض الحسابات ثم ارسال التقرير» .

كان كيرْون يشعر بالنعاس بعد يوم مرهق فقد كان يعمل منذ الساعة السادسة صباحاً ، وكان يتشوق للعودة الى زوجته كلير وطفلهما ، ليتسنى له ان يقضي ما تبقى من النهار معهما ، وفجأة اشتعل الضوء الاحمر في شاشته وباشر جهازه بارسال التحليل

للحادث ، لم يكن يصدق ما كان يراه ، وقام بطلب المزيد من المعلومات مع تأكيد للحادث على جهازه والتفت الى الدب قائلاً : «يا والتر لقد وصلتني اشارة على الـ DSP . انه غريب هذا العراق يبدو وكأنه صاروخ سكود ، هل تريد ان ترى بنفسك ؟»

نهض سورنِن من مكتبه وجاء اليه قائلاً : «ماذا تقول؟ هل جننت؟ لقد انتهت هذه الحرب اللعينة» .

نظرا الى الادلة والقلق ظاهر على وجهيهما . فقال له كيرْون وهو يهم بطلب المزيد من المعلومات «نعم ، لكنك لو نظرت الى الموقع لوجدته قريباً جداً من الحدود» .

نظر سورنِن الى المعلومات على الشاشة وظهرت خارطة للمنطقة وقال : «ولكن هل هناك تَطابق في الادلة الثابتة؟»

- «انها تُطابق ادلة السكود» - اجاب كيرون

- «واين هو الصاروخ الآن؟» صرخ سورنن متسائلاً

قام كيرْون بكبس شفرة طلب المعلومات على مفتاح الازرار للجهاز ، ثم نظر الى الشاشة بتعجب وقال : «اللعنة! انه لم يتحرك! ربما كان اختباراً للماكنة»

ضحك سورنِن وقال «اي اختبار هذا؟ هنا؟ على الحدود مباشرة؟ اتريد ان تعرف رأيي يا ايها الشاب النابغ؟ ليس امامك سوى لعبة برميل النفط!» التفت سورنِن الى العاملين من زملائه وقال لهم ضاحكاً : «ان صاحبكم جون قد عثر على لعبة برميل النفط وثم قام باستدعائي لنتأملها سوية! فما رأيكم بصاحبكم هذا؟»

تعالت صيحات الضحك من المحللين الاخرين وبدأوا يمازحون كيرْون على خطئه غير المعهود هذا ، ابتسم كيرْون وشارك في المزاح ، ثم رجع لعمله ، ولكنه بعد مرور خمس عشرة دقيقة ، كان لا يزال منزعجاً من خطئه . وكان اضافة الى ذلك يشك بأن هناك شيئاً اخر فلماذا يقوم العراقيون بلعبة برميل النفط في ظروف سلمية وعلى حدودهم مباشرة؟ عاد بذهنه الى فترة حرب الخليج حينما كان الجيش العراقي يوهم طائرات ف-١٦ الامريكية بوجود قواعد لصواريخ سكود في اماكن كانوا يضعون فيها قواعد وهمية والى جانبها براميل من النفط المحترقة لايهام اجهزة إلتقاط اشعة الحرارة للـ ف-١٦ بأنها صواريخ فعلية فكثيراً ما قام الامريكان بقصف قواعد وهمية كانوا قد تصوروها قواعد لصواريخ .

ولكن هل كان هذا الامر كذلك الآن؟ ولماذا؟

لماذا على الحدود السعودية مباشرة؟ لم يكن كيرْون يفهم معنى ذلك فقام بكبس تعليمات على مفتاح الجهاز ، بسحب سجلات آخر دورة استطلاعية للاقمار KH11 و KH12 فوق المنطقة . انتظر لفترة وظهرت النتائج على الشاشة . وكان من حسن الحظ بأن KH12 كانت قد مرت فوق المنطقة قبل خمس دقائق . لابد اذاً ان تكون المعلومات قد ارسلت بالشفرة الى الارشيف ، فقرر ان يلقي نظرة واحدة عليها ثم العودة الى بيته . جلس في كرسيه وهو ينتظر المعلومات التي كانت ستستغرق بضعة دقائق قبل وصولها الشاشة فقرر ان يؤكد هذه المعلومات بالمقارنة مع استطلاع القمر KH11 الذي كان قد دار في هذا المدار قبل ذلك بعشرين دقيقة واخرى قبلها بساعتين فقام بالطلب . توجه الطلب الى جهاز الكمبيوتر العملاق الموجود في قبو المبنى وبدأ بالبحث عن المعلومات المطلوبة وتحليلها وبعد مضي دقيقة وخمس وثلاثين ثانية وصلت الصور ولم تكن هناك غيوم في السماء فبدت الصورة واضحة تماماً .

لقد كانت نقطة نائية على ما يبدو ، وسط الصحراء . وكان الشيء الوحيد المثير للاهتمام في الصورة هي المجموعة الصغيرة من الابنية وبقربها ما كان يبدو وكأنه مستودع صغير وكانت هناك شاحنة بالقرب من المبنى الكبير . فقد كانت نقطة حدود عادية ، ثم اشار له الجهاز بظهور الصور العائدة للدورة الاستطلاعية السابقة وشاهدها بعد ثوان على الشاشة . لم يجد فارقاً ما بين الصورتين من خلال نظرته الاولى فاجرى اختباراً اعتيادياً للمقارنة مابين الصورتين فوجد بأن هناك اشارة لوجود بعض الفوارق فكبس شفرة يأمر فيها الجهاز ان يبين الفوارق . كانت النتيجة ان هناك سيارتين ، غير موجودتين في الصورة الناتجة عن الدورة الاستطلاعية الاولى .

ثم نظر الى الصورة الثالثة ووجد السيارتين في الصورة مرة اخرى ، الا انهما هذه المرة كانتا في موقع اخر . كانت السيارتان تغادران مكان الحادث في الاتجاه الاخر . لماذا؟ نظر بسرعة الى جدوله ليتأكد من الوقت الذي كانت فيه المحطة الفضائية لـ DSP قد التقط الاشعاع الحراري وكان بامكانه ان يعرف الوقت الى اخر عشر ثوان . جاءت النتيجة على الشاشة ، الساعة الثالثة بعد الظهر بتوقيت شرقي الولايات المتحدة اي الساعة العاشرة بتوقيت العراق وكانت تبدو غريبة هذه الصدفة الامر الذي اضاف الى شكوكه

حول الحادث ثم نظر مرة اخرى الى الصور الثلاث .

كانت الاولى التقطتها الـ KH11 في الساعة ١٣ :٢٠ بالتوقيت العراقي والثانية الـ KH11 ايضاً في الساعة ٤٨ :٢١ والثالثة - بعد بدء الاشعاع الحراري - الـ KH12 في الساعة ١٢ :٢٢ . ثم فكر مرة اخرى بالادلة ، سيارتان تبعدان مسافة ستمائة ياردة عن المعسكر الساعة ١٣ :٢٠ وفي الساعة ٤٨ :٢١ كانتا قد تحركتا الى مسافة مئتي ياردة عنه ، ثم كانتا في الساعة ١٢ :٢٢ بعد الحادثة قد تحركتا الى مسافة خمسمائة ياردة الى الطرف الاخر من المعسكر . تمعن بالسيارتين عن كثب ، كانتا متشابهتين وصغيرتين . سيارتان ، ولم تكن شاحنتان ، وكان هناك امر غريب اخر ، كانت الاضاءة الصادرة منهما ظاهرة بوضوح على موجة الاشعة تحت الحمراء ولكنها لم تظهر اطلاقاً على الموجات القصيرة الاخرى .

نهض ببطء وذهب لمواجهة سورنِن ، وقال له : «والتر ، هناك امر محير هنا فيما يتعلق بالبوصلة المحترقة ارجو ان تأتي لتلقي نظرة» .

نهض الدب من على مكتبه وهو يبتسم «انت لا تحب ان تخسر اية مواجهة على الاطلاق ، يالك من رجل عنيد» .

أجابه كيرْوِن : «لا ابداً ، انما هنا الامر يحيرني ، انظر هذه هي النار اليس كذلك؟ النقطة من دورة القمر الصناعي KH12 بعد اقل من ربع ساعة على انذار الـ DSP وقد حصل الحادث في تمام الساعة العاشرة وهو امر غريب بعض الشيء .

«والان سأريك دورتين أخريتين للـ KH11 واحدة في الساعة ٨،١٣ والاخرى ٩،٤٨ ، انظر الى السيارتين الصغيرتين . فقبل الحريق بمئة دقيقة كانتا هنا على بعد خمسمائة ياردة من المعسكر . وبعد اثنتي عشرة دقيقة قبل الحريق تحركتا الى مسافة مئتي ياردة عن المعسكر ، ثم ثلاث عشرة دقيقة بعد الحريق تحولتا الى خلف المعسكر ، والآن انظر الى هذه واشار الى الاضاءة الصادرة عن السيارتين «اضاءة خافتة ولست متأكداً ، الا اني مستعد ان اضع رهاناً مقداره عشرة دولارات بأن هذه هي انوار الاضاءة تحت الحمراء . ماذا يخبرك كل ذلك؟» .

- «لو كنت متأكداً من هذه الادلة لقلت بأنها عملية سرية» ثم اضاف سورنِن «لو كنت متأكداً» ثم نظر الى الادلة مرة ثانية وقال : «وما هي نظريتك؟»

- «سيارتان تتقدمان من نقطة الحدود ويخرج منها بعض الرجال ويزحفون عليها . ثم خمس عشرة دقيقة قبل موعد الهجوم تتقدم السيارتان ، وفي تمام الساعة العاشرة تقومان باحراق مخزن الوقود كعملية تمويه ثم تتحرك السيارتان اثناء الفوضى لملاقاة المخربين ، يحتمل ان يكون العراقيون قد شاهدوهم اذ لا توجد آثار لمحاولة تتبعهم ، انظر فان الشاحنة ما زالت واقفة»

- «هذا جائز ، الا انه كان من الممكن لاحد ان يراهم باضاءة نيران الحريق» .

- «لم يحصل فقد كان الحراس منشغلين باطفاء الحريق ، او يحتمل ان يكونوا قد خربوا الشاحنة ايضاً ، اسمع يا والتر ، اريد ان اقوم بتنبيه وكالة المخابرات المركزية في لانغلي وربما اخبرونا عما لديهم من معلومات . لكنني اشك بذلك ، فلو كان لهم يد في الموضوع لطلبوا منا بشكل غير مباشر ان نحجب انظارنا عن المنطقة لفترة معينة ، والان اريد ان تخولني باجراء بعض التحريات الاخرى»

- «اسمع يا شاطر ، لا تنجرف بهذه الاثارة فما الذي قد حصل ان بعض الافراد قد داهموا مركزاً صغيراً وحاولوا الهروب من العراق والدخول الى السعودية ، لا الومهم على ذلك ، فمن لا يريد الخروج من العراق الآن؟»

- «اسف يا والتر فعلي ان اشرح لك شيئاً ، ان هذه الصور معكوسة . فاعلى الشاشة هو الاتجاه الجنوبي ليس الشمالي» .

نظر اليه الدب بدهشة وقال : «تعني . .؟»

- «نعم ، ان هؤلاء الاشخاص يحاولون الدخول الى العراق ، وليس الخروج منه ، اعتقد بأن علينا ان نبلغ لانغلي» .

فكر والتر سورنِن لفترة والقلق ظاهر على وجهه «ابلغهم ، ومن يريد ان يقوم بعمل جنوني كهذا» ثم نظر الى الصور مرة اخرى وقال : «اذن لنكتشف الامر» .

٣٧

قرر هاورد ان يبتعد قدر المستطاع ، عن النقطة الحدودية قبل ان يتوقف وكان الحظ قد حالفه مرة اخرى فالطريق أحسن مما كان يتوقع على الرغم من حفره وتعرجاته الكثيرة ، ولم يجد أية مشاكل في معرفة اتجاهه بسبب استعماله الدائم لجهاز الـ GSP .

توقف بورن عندما شاهد عموداً للكهرباء في الافق وصاح : «ها قد وصلنا الى خط الكهرباء» . نظر هاورد الى الـ GSP وايقن بانهم قد توغلوا لمسافة عشرين ميلاً داخل العراق واستمر : «يحتمل ان نلاقي السيارات هنا ، فالطريق العام يمر بموازاة خط الكهرباء والتحق بهم زيغلر في السيارة الثانية وقال «تعتقدون باننا ملاحقين؟»

فكر هاورد بالامر قليلاً ثم قال : «لم ار علامات تشير الى ذلك ، فلقد قمت بتدمير جهاز الارسال لديهم وبما انك قمت بتعطيل الشاحنة فلن يتمكنوا من ملاحقتنا حتى لو ارادو ذلك ، ولكن ليس هذا ما يقلقني» . واتفق زيغلر «نعم انا ايضاً كنت اترقب حركة جوية»

كانوا جميعاً على يقين بان اكبر المخاطر امامهم كانت ان تلاحقهم طائرات الهليكوبتر ، وطائرة هند Mi-24 فهي مخيفة حقاً - فقد فتكت بالالوف من المجاهدين الافغان في صراعهم الطويل ضد الاحتلال السوفيتي لبلادهم . الطائرة السمتية هند الروسية الصنع تتمكن من حمل كمية هائلة من العتاد ، ولها درع خارجي يجعل امر تدميرها من الارض بحكم المستحيل ، وهي علاوة على ذلك مزودة باحدث الاجهزة الالكترونية اللاقطة العراق يمتلك الكثير من هذه الطائرات وسبق وأن سُمِحَ له لاسباب يصعب معرفتها ان يستعملها لاخماد الانتفاضة في العراق بعد انتهاء حرب الخليج في آذار (مارس) ١٩٩١ .

تمنى هاورد ألا تكون هذه الطائرات موجودة على القرب منهم الان حيث سيؤدي

ذلك حتماً الى انكشاف سرهم في هذه المنطقة الخالية والحساسة من البلاد وفي ظلام الليل الدامس .

- « لاشيء لحد الان . لنستمر في طريقنا ولنحاول ان نجتاز الرطبة قبل منتصف الليل» اقتربوا من نقطة تقاطع الطريق الفرعي بالطريق العام المؤدي الى الرطبة بعد مسافة اثني عشر ميلاً ، وتوقفوا لتوزيع الاسلحة التي غنموها من نقطة التفتيش . اعطى هاورد كل عضو في الفريق بندقية ووضعت القاذفة RPG في مكان امين في السيارة الاولى ثم تسلم كل منهم حصته من الذخيرة والقنابل اليدوية ، واتجهوا شمالاً .

تحسن الطريق بشكل ملحوظ وسارعوا بالوصول الى مفترق طريق يؤدي الى جنوبي الرطبة حيث القاعدة الجوية . خلعوا عدسات الرؤية الليلية وفتحوا انارة سياراتهم العادية ، فقد حان الاوان للظهور بمظهر سيارتين للاسعاف .

على مسافة ثمانية اميال من الرطبة ، لحوا لاول مرة علامات للحياة على الطريق ، فرأوا اضاءة اربع سيارات متجهة اليهم وما كان امامهم وسيلة لاجتنابها .

فعلق هاورد «يبدوا انها عسكرية»

واجابه بورن «وما العمل الان؟»

«ضاعف الانارة واضغط على المزمار ثم لوح بيديك وانت تصيح بعض العبار ات الوطنية» نفذ بورن أوامر هاورد ولم ينظر اليه احد من ركاب السيارات الاربع وكان يبدو على وجوههم الوجوم وهم متلفلفون للاحتماء من البرد القارص .

وعلق هاورد : «انها سيارات لاندروفر ، ربما كانت هذه مفرزة حراسة في طريقها إلى القاعدة الجوية ، على أية حال فمن حسن الحظ ، لايبدو بان هناك انذاراً من وجودنا هنا» .

بعد مسافةٌ قصيرة ظهرت في الافق الاضاءات المتقطعة لمدينة الرطبة ، وكان يبدو عليها وكأنها مهجورة بسبب انقطاع التيار الكهربائية ، وبدا لهاورد بان الاضاءة الجيدة الوحيدة في المنطقة كانت لمنشأة عسكرية ، ثم ابتسم حينما سمع صوتاً مدوياً الى خلفه ، فقد كان اكفورد يجرب عملية الغاء كاتم الصوت في سيارته فالذين سمعوا هذه الضجة قد يتصورون بانهم فرقة اغتيال تنوي الاختراق عبر الاراضي العراقية دون ان يراهم احد!

وصلوا الى الطريق القديم الذي يربط بين بغداد والاردن واستمروا فيه باتجاه اليسار ثم باتجاه كركوك عبر القاعدتين الجويتين H2 و H1 . وبعد مسيرة ميلين على هذا الطريق ، صادفتهم عقبتهم الاولى إذ وجدوا امامهم جسراً محطماً من اثر القصف ، وقد تناثرت اجزاء كبيرة في المنطقة .

قال هاورد :«يالسوء الحظ! هل بامكانك ايجاد طريق اخر ياجوني؟»

- «لابد ان يكون هناك منفذ فهذا هو الطريق الرئيسي للتهريب من الاردن» وفجأة اثناء الحديث ، شاهدوا اضاءة تعود لشاحنة صغيرة قادمة من الغرب وهي تترك الطريق وتقوم بعملية التفاف في نقطة تبعد عنهم بحوالي الميل ، ثم تقوم بالالتحاق بالطريق العام على الجانب الاخر .

- «هيا ، لنتبع مسار الشاحنة» وبعد خمس دقائق كانوا على طريق كركوك مرة اخرى .

فسأل ماكدونالد «هل كان الجسر قد قصف من قبلنا» واجابه بورن «نعم لقد قصفناه بعنف حيث كان الجنود يلقبونه «بطريق السكود» اذ سيّر العراقيون منصات القذف على هذا الطريق ذهاباً واياباً ، وكانوا بعد اطلاق الصاروخ يتركون منصة كاذبة للتمويه ويخفون المنصات الحقيقية تحت الجسر ولم تتمكن قواتنا الجوية أن تعرف ذلك الا بعد مضي فترة طويلة» .

عند اقترابهم من قاعدة H2 وجدوا الطريق مزدحماً بعض الشيء فكرر بورن مسرحيته وراح يلوح بيده ويدق مزمار سيارته ، إلا انه أُهمل من قبل المارة . وبعد فترة لاحت اضاءة H2 في الافق فقال هاورد «استعد يا جوني ، فعند انعطافنا الى اليمين باتجاه محطة البنزين ، اريدك ان تنير الاضاءة السقفية مرة ثانية ، فمن المحتمل ان تكون هناك حراسة خارج المحطة» .

لم يكن ذلك ضرورياً اذ وجدوا المحطة قد دمرت ايضاً فقال ماكدونالد «يبدو بان هذا البلد قد دمر تماماً فلم نشاهد لحد الان سوى آثار الخراب»

- «كلنا امل ان يشمل ذلك القاعدة الجوية اذ سنمر من امامها بعد قليل»

وقال بورن : «على كل فان اقلاع الطائرات العسكرية قد توقف بسبب حظر الامم المتحدة» .

وما ان انتهى من حديثة حتى سمعوا صوتاً مدوياً واضاءة تعود لطائرة نقل ضخمة تمر

من فوق سياراتهم فصرخ بورن بدهشة «ماهذا؟»

نظر هاورد الى الطائرة المضيئة وهي تهبط وقال «طائرة شحن كبيرة ربما C-30) Antonov) على كل حال لنحاول الابتعاد من هنا» .

وعلق بورن بسخرية : « عند عودتنا سارفع الشكوى الى الامم المتحدة بمخالفة صدام حظر الامم المتحدة لطيرانه!»

- «حسنا ، لقد وصلنا الى مفترق الطريق ، اتجهوا يميناً عند المفترق» .

قال هاورد : «ميل واحد ونصل H1 وسنصل هناك بعد حوالي الساعة ربما ساعة ونصف» . تمكنوا من السير بسرعة نسبية لخلو الطريق ، وقبل وصولهم الى القاعدة بمسافة عشرة اميال خرجوا عن الطريق الرئيسي . . وتوقفوا .

«يُستحسن ان نملأ خزان الوقود» . لبس هاورد عدسات الرؤية الليلية وتمعن بالافق . لم يجد شيئاً . وبعد قليل رأوا اضاءة H1 وهي تلمع في الافق البعيد وقال هاورد «ربما حالفنا الحظ وتمكنا من المرور بامان . يبدو الطريق خالياً و . .»

وفجأة ظهرت اضاءة قوية على الطريق امامهم على بعد ستمائة ياردة .

«اضاءة الطوارىء ياجوني! الضوء الاحمر! سارجع الى الخلف مع داني «قفز هاورد الى المقعد الخلفي ولبس قميصا طبياً ابيض بسرعة فائقة اما داني فاستلقى على (السدية) «هيا ياداني عليك بالحبة ضعها بين اسنانك ثم اكبس عليها بشدة ثم اغمض عينيك واصرخ وتظاهر بالألم»

كان زيغلر في السيارة الثانية يتخذ نفس الاجراءات تماماً وكان أوشر مستلقياً على (السدية) وكانت صافرات التنبيه تعلو من السيارتين وقد اضاف أكفورد الى الضجيج قطع جهاز الكاتم . وتوقفت السيارتان عند المفرزة وهرع اليها عدد من الرجال ليستطلعوا الامر . قفز بورن من السيارة وبدأ يكلم الضابط باللغة العربية بسرعة محاولاً ارباكه ، ثم جاء به الى خلف السيارة وقام بفتح الباب الخلفي للسيارة التي تغيرت الى سيارة اسعاف وفي تلك اللحظة همس هاورد لماكدونالد «الان ياداني»

كبس داني بشدة على الحبة باسنانه واخذ يصرخ ويتظاهر بالم شديد اما الحبة فقد انفجرت بفمه وخرج منها سائل احمر قان اخذ يسيل من فمه الى صدره جرب ان يغلق فمه الا ان السائل استمر بالتدفق وصرخ مرة اخرى .

اما هاورد فكان يدمدم لنفسه وعندما قام الضابط بفتح الباب تكلم بجملة باللغة العربية كان قد تدرب عليها مراراً تحت اشراف بورن «اغلق الباب يا مغفل ، الا ترى ان الرجل يموت؟» كان منظر الدم المتدفق وتحذير «الطبيب» كافيين لاقناع الضابط فأغلق الباب بسرعة الا ان بورن لم يكتف بهذا الحد بل جر الضابط الى السيارة الثانية وفتح الباب الخلفية لها ايضاً ، فشاهد الضابط منظر زيغلر في قميص طبي وهو يحاول السيطرة على أوشر الذي كان يرفس برجليه ويصرخ بصوت عال ، وكان ساقه مغطى بالدم .

اقتنع الضابط بما شهده فقد كان في غاية الارتباك وكانت صافرات الاسعاف قد ساهمت بخلق اجواء من التوتر والارباك ، فلوح بيده وامر رجاله بان يدعوا القافلة تمضي في طريقها . وقف بورن امام سيارته وهو يصيح بالجنود العراقيين متوسلاً اليهم ان ارفعوا الحاجز من الطريق بسرعة فنظر اليه هاورد وهمس لنفسه «لاتبالغ في التمثيلية ياجوني» الا ان الجنود قاموا فعلاً برفع الحاجز فقفز بورن خلف عجلته وانطلق بسيارته بسرعة وتبعته السيارة الثانية بصوت ماكنتها المدوي وعلى مسافة ميلين قاموا باطفاء الانوار وصافرات الانذار وعاد كاتم الصوت يعمل في سيارة أكفورد فقال بورن «الحمد لله فقد كان هذا الصوت مرهقاً للاعصاب هل انت بخير ياداني؟»

- «انني بخير وما هي هذه الحبوب ، فقد سال هذا السائل في كل مكان»
- «انها اقراص فوارة حمراء ياعزيزي تباع في كل مكان يتخصص بالعاب التسلية» .

٣٨

كان جون كيرْوِن منهمكاً في العمل ، وكانت اول عقبة امامهم ، هو وسورنِن هي ترتيب الاولويات لاعمال القسم . فقد كانت دائرة الاستطلاع الوطنية في واشنطن NRO مكلفة بدراسة الصور المرسلة من الاقمار الصناعية وتحليلها وكان رئيسها مرتبطاً مباشرة بوزير الدفاع ديك شيني الا انه لم يكن يتمتع بصلاحية اعادة النظر بالاولويات المعهودة الى قسمه بل كانت وكالة الاستخبارات المركزية CIA هي المسؤولة عن ذلك وعن اتخاذ القرار بتغيير خط المدار للاقمار الصناعية .

تكلم سورنِن مع رئيس القسم مارتن فاغا ، والذي اعطاه مهلة سبع ساعات لمعرفة مدى اهمية المشاهدات في العراق وقال له «لديك وقت للعمل حتى الساعة السادسة ، وان لم تكتشف دليلاً مهماً لغاية ذلك الحين ، فسنعود الى اعمالنا الاعتيادية» ولم يكن فاغا قد افصح عن ميوله الحقيقية ، الا انه كان يأمل بان يلاقي سورنِن دليلاً ما عن امور مشبوهة تجري في العراق فقد يقوي ذلك من موقف الـ NRO والتي كانت مهددة بتقليص ميزانيتها للعام المقبل .

فقال سورنِن : «اشكرك ، وهل تخولني حق استعمال اقمار JSTARS بالاضافة الى اقمار KH؟» فكر فاغا لبرهة وقال : «حسنا ، افعل ذلك لكنني ارجوك الا تنسى بان هذه عملية مكلفة للغاية»

وسبق أن استخدم الحلفاء الـ JSTARS في حرب الخليج ، حيث يعتبر نظام E-8A JSTARS من أدق أنظمة الرصد للحركة الارضية وتعادل في دقتها دقة الاواكس في الرصد الجوي ، ويقوم بادارة النظام عدد كبير من الخبراء من حملة الشهادات العالية .

قام كيرْوِن فوراً بتحريك الـ JSTARS واكتشف منها بان السيارتين قد اقتربتا من مدينة الرطبة وبانهما قد عادتا لاستعمال الانارة العادية فقام كيرْوِن بحفظ صورة

السيارتين في ذاكرة الكمبيوتر من اجل اجراء المقارنة معها عند البحث في صور اخرى ، وقرر بان الامور تجري بشكل جيد لحد الان ، فالسيارتين تسيران وسط الصحراء ولايبدو بان هناك مجالاً لاختفائهما عن انظار الاقمار الصناعية للفترة القريبة القادمة . ولكن ماذا لو توقفوا فجأة؟ ومن هم هؤلاء الناس؟ ومن اين جاءوا؟

استدعى كيرْوِن احد معاونيه وطلب منه ان يتتبع الموضوع . اما هو فعاد الى شاشته ليدرس الصور المرسلة من دورات سابقة لاقمار الـ KH فقد كانت بحوزته صورة السيارتين وكل ما عليه هو ان يطلب من الحاسب الالي ان يلاقي هاتين السيارتين في صور مخزونة من دورات سابقة . وبعد محاولة لعدد كبير من الصور عثر على مطلبه . فقد قامت احدى اقمار (KH-11) بالتقاط صورة السيارتين اثناء خروجهما من معسكر صغير بالقرب من بدانة الواقعة بالقرب من مدينة عرعر . وفي صورة مرسلة من الدورة التي سبقت هذه وجد طائرة من نوع ايلاندر خارج المعسكر ، اما في اليوم الذي سبق ذلك ، فكانت الطائرة على بعد عدة اميال من المعسكر في مطار عرعر .

بدأ كيرْوِن يشعر بالتعب الشديد ، فقد مضت عليه إثنتا عشرة ساعة وهو في مكتبه ، نهض من كرسيه ببطء وذهب لمكتب سورنِن وقال له : «هل يمكنك الا تصال بلانغلي (مقر وكالة المخابرات المركزية) ليقوموا بمساعدتنا بعض الشيء يا وولتر؟» ثم شرح له عن اخر اكتشافاته وقال : «ربما تمكنوا هم من العثور على اثر للطائرة من اجل معرفة الجهة التي كانت قد قدمت منها» .

فكر «الدب» قليلاً وقال : «قد يجوز ذلك ، الا اني لا اعتقد بان ذلك سيؤدي الى نتيجة ايجابية قبل ان يفوت الموعد الذي حدده لنا رئيس القسم والذي سينتهي بعد خمس ساعات ثم ان الوقت هو بعد منتصف الليل في السعودية ولا اعتقد بانهم سيتمكنون من الحصول على المعلومات من الرقابة الجوية السعودية الان . الأجدر بنا ان نراجع أرشيف الصور للاقمار الصناعية والمحاولة للعثور على اثر لتحركات هذه الطائرة!!»

رجع كيرْوِن الى عمله متثاقلاً من ضخامة المهمة والجهد المطلوب بذله من اجل تحقيق كل ذلك . طلب معاوناً اخر ليقوم بتدقيق سجلات الاواكس وقام هو بالنظر بالارشيف وبعد فترة عثر على اثر للطائرة فقد صُورتْ صباح يوم ١٣ ابريل متجهة نحو عرعر . قام بالتدقيق بالارشيف عن آثار سابقة ، لكن معاونه الاول قام بقطع سلسلة افكاره .

- «اعتقد بان هناك مشكلة»

- «ماهي؟ هل فقدتم أثرهم؟»

- «لا فما زلنا على اثرهم . المشكلة هي انهم متجهون نحو بلدة اسمها حديثة والحقيقة فهي ثلاث بلدات متقاربة وهي اسهلها لفظاً فهناك اسم يبدأ بحرف الباء والاخر يبدأ بحرف الهاء . فاخترنا حديثة؟»

- «ومن المشكلة؟»

- «لديهم ثلاثة اختيارات . اما الاتجاه نحو الشمال الغربي - ويؤدي ذلك الى سوريا ، او نحو الجنوب الشرقي نحو بغداد - ولكنهم لو كانوا يريدون الذهاب لبغداد لاختاروا الطريق العام اليس كذلك؟»

- «والاحتمال الثالث»

- «ان يستمروا باتجاههم الحالي شرقاً وسيعني ذلك عبور نهر الفرات»

- «وأين المشكلة هنا»

- «تعال وانظر الى صورة الجسر هناك»

***

نظر هاورد الى جهاز GPS وتامل في الافق وقال «سنصل الى الحقلانية بعد خمسةاميال ياجوني»

«هل نتخذ الاجراءات الاعتيادية»

«الاضاءة نقط وبدون الصافرة ، الا اذا واجهتنا متاعب ، اخترق البلدة ثم اتجه يساراً لمسافة ثلاثة اميال وهناك سنعبر الجسر المؤدي الى بيجي» .

«حسنا»

وصلوا الحقلانية في الساعة ٣٠ :٢ بعد منتصف الليل ووجدوها خالية من المتجولين ثم اتجهوا الى اليمين وهنا شعروا بالتغيّر في الطبيعة والمناخ كلما اقتربوا من وادي الفرات حيث شاهدوا بساتين الاشجار المحيطة واحسوا بدفء الجو نسبياً ، وقال هاورد

- «الجسر على يمينك» وفجأة اوقف بورن سيارته وتأملوا المنظر الذي كان امامهم بصمت ، فقد أصبح الجسر حطاماً!!

- «هل هناك جسور اخرى يا إد؟»

- «كان هناك ثلاثة الا انها دمرت بالتأكيد وربما كان هذا من اخر الجسور التي دمرت» .
- «فما العمل الان؟»
- «هناك جسر الى الجنوب على مسافة عشرين ميلاً ، الا انه بجوار معسكر للجيش ولا اريد المجازفة ، وربما ضُرب هو الآخر» .
- «شمالاً»

«هناك مشروع ضخم لتوليد الطاقة الكهربائية الى الشمال وعلى بعد خمسة اميال ، وما بعد ذلك لاتوجد اية جسور لمسافة اربعين ميلاً .

«وهل يمكننا عبور السد؟»

«لابد ان يكون تحت حراسة مشددة ، ثم هل رأيت انواراً في طريقنا؟ لاشيء ، اعتقد بان السد قد دمر ايضاً ، لنستكشف الامور هنا بعض الشيء وإن لم نعثر على حل فسنذهب نحو السد» .

وبعد ميل من السياقة شاهدوا مرفأ لعبّارة نهرية ، تفحصها زيغلر بناظوره وقال «لابد من وجود الحراس ، ساذهب للاستطلاع» ثم اخذ بندقية واختفى ثم اشار لهم بعد مضي عشر دقائق باشارة ضوئية فتقدم الفريق بالسيارات نحو شاطىء النهر ، وكان زيغلر منحنيا وضاغطاً بركبته على صدر عريف عراقي كان قد وقع باسره وحينما نزل الاخرون من سياراتهم قال لهم «هذا هو العريف عبد ، وقد وافق ان يأخذنا بجولة سياحية في نهر الفرات ، اليس كذلك ياعبد»؟ ابتسم زيغلر بوجه العريف الذي لم يكن قد فهم كلمة واحدة من حديثه وكان العريف ينظر اليه بنظرة فيها الخوف والكراهية في ان واحد فاخرج زيغلر مسدسه ، وطغى الخوف على الكراهية وهز العريف برأسه مشيرا بالموافقة . فالتفت زيغلر الى بورن وقال له : «احذر من هذا الرجل يا بورن ، فقد حاول ان يلجأ الى سلاحه» .

أمسك بورن بقميص العريف واجبره على الوقوف ثم بدأ يكلمه بصوت خافت فيه الكثير من التوعد والتهديد . نهض العريف ليدير محرك العبّارة واشار بورن الى الاخرين ان يصعدوا الى سياراتهم . وعندما وصلوا الى منتصف النهر التفت بورن وقال لهاورد : «ابتعدوا بالسيارات بعد وصولنا وانتظروني . اما انا فاريد ان اكلم العريف» .

وبعد وصولهم للطرف الاخر تحركوا لمسافة قصيرة ثم توقفوا وبعد دقيقتين التحق بهم

بورن فسأله هاورد «كل شيء على مايرام؟»

«نعم لم يكن اسمه عبد» . بل كان حمود ، حمود ناصر» .

انتبه ماكدونالد لاستعمال بورن صيغة الماضي بكلامه وايقن بان العريف حمود ناصر قد قتل .

***

كان كيرْوِن قد عثر على الطائرة ايلاندر مرة اخرى ، هذه المرة واقفة بمطار الوجه وبقربها سيارة نقل كبيرة ، فمن اين جاءت هذه السيارة؟ فتش بسرعة في الارشيف باحثاً عن نفس السيارة في صور سابقة فوجدها في فجر يوم ١٣ ابريل كانت قد توقفت لفترة ثماني عشرة دقيقة على شاطىء البحر في نقطة تبعد حوالي سبعين ميلاً عن الوجه .

وكان الشاطىء يبدو خالياً فهل كان فعلاً كذلك؟ ام هل كانت السيارة على موعد مع سيارة اخرى؟ ولكن السيارة كانت قد خرجت عن الطريق باتجاه . . طبعاً! البحر!

ولكنه لم يجد اثر لزورق ، كل الذي وجده نقطة صغيرة يكاد لايراها . نظر اليها كيرْوِن بدقة . ميّز شيئاً طوله قدم واحد فما هو ياترى؟ كان صغيراً الا انه موجود بكل تأكيد وهو علاوة على ذلك مصدر حراري ، فهل كان رجلاً؟ لا فان الحرارة الصادرة منه اكثر بكثير من ان يكون انساناً . . ماكنة؟ اذاً يجب ان تكون ماكنة .

قام كيرْوِن بتوضيح الصورة قدر المستطاع ووجد النقطة الصغيرة ، المشعة للحرارة على بعد سبعمائة ياردة من شاطىء البحر . لابد انه قارب صغير .

رفع كيرْوِن رأسه وصرخ عالياً صرخة النصر . نظر اليه المحللون الاخرون وتوقفوا عن عملهم ، واما «الدب» فقفز واقفاً وتوجه صوب كيرْوِن وهو يركض .وصرخ كيرْوِن «لقد نلت منه يا والتر! لقد انتصرت؟» وبدأ يشرح له ولجمهرة من المحللين الذين التفوا حوله عن اكتشافه ، نظر اليه سورنن بفخر ، فقد قام بتدريب كيرْوِن بنفسه والان تمكن هذا الشاب من تحقيق المستحيل وقام بتتبع العملية من داخل العراق ومن خلال السعودية الى البحر الاحمر مستعملاً الارشيف فقط ، قطع مسافة شاسعة عبر فترة اسبوعين من الزمان وتوصل الى الحل ، كم ستكون فرحة رئيس القسم بذلك! وكم سيعجب رجال الاستخبارات ، فسوف يخبرهم تفاصيل عن العملية وتوقيتها وصورة للسيارات والمعسكر والطائرة والاهم من ذلك سيخبرهم ، بموضوع الباخرة الكبيرة . .

٣٩

ما ان وصل فريق هاورد على بعد عشرين ميلاً من المفترق المؤدي الى حديثة حتى شاهد مقراً للحراسة بالقرب من الطريق واوعز الى جوني ان يتوقف لدراسة الموقف ، وقال زيغلر : «لا يوجد احد ولاغرابة بذلك اذ انها مازالت الساعة الرابعة صباحاً» .

واجابه هاورد «الا ان ذلك سيتغير قريباً ، ليس امامنا سوى ساعتين حتى شروق الشمس فيبدو بان هذا احسن محل للتوقف . لنستطلع الامر ، لا اريد ان نقترب كثيراً من بيجي» .

اقتربوا بسيارتيهم من نقطة الحراسة دون ان يشاهدوا اثرا لاحد . خرج بورن وهو يصيح بالعربية طالباً الدخول ، فخرج رجل كهل كان قد استيقظ للتو من نومه وبادره بورن ببعض الملاطفات ودار بينهما كلام لفترة قصيرة ثم اخرج بورن فجأة مسدسه ، ظهر الرعب على وجه الرجل الكهل وهم بسرعة لفتح ابواب السور المحيط بالمخزن الموجود على مقربة من نقطة الحراسة دخلت السيارتان الى داخل السور واجبر بورن الرجل العجوز على ركوب السيارة الثانية وحذّر : «احرسه يابوب لغاية ما نلقي نظرة داخل المخزن ، هل تصدق بانه يحرس بناية فارغة؟»

جلس الرجل في مقعد السيارة الخلفي وهو يرتعش من خوفه ، كان يبلغ الستين من عمره الا انه يبدو اكبر من ذلك بكثير ، وكان الحارس الخفر الوحيد للبناء الذي كان خالياً فعلاً ، وقال بورن عند دخول السيارتين الى المخزن «هذا الامر يناسبنا تماماً ، اذ ان البناء الذي يعود لوزارة الزراعة ، هو مخزن للغذاء واصبح خالياً منذ فترة الحرب ، اما هذا الرجل فيقوم بالحراسة ليلاً متناوباً مع ولديه اللذين يحرسان المكان اثناء النهار ، وهو لايحمل سلاحاً فلن يسبب لنا اية مشاكل» .

- «حسنا نحتاج الى ان نستريح قليلاً . تجري الامور بشكل جيد لحد الان» أجاب هاورد .

٤٠

كان هاري كرسويل مرتبكاً فلم يكن يحب ان يوقظه أحد في الساعة الثالثة صباحاً ، والاهم من ذلك فلم يكن مرتاحاً من الاسلوب الذي كان قد كلمه به رئيسه بهذه الساعة المبكرة ، فما الذي يجري؟ هل حصل اعتداء عسكري ، ام انفجار ذري في مكان ما؟ كان الامر غريباً وكان كرسويل ينوي السفر باجازته السنوية في اليوم التالي ، فما العمل؟

لم يكن أمامه بديل آخر ، فرئيسه المباشر هو معاون رئيس وكالة المخابرات المركزية وقد بدا عليه الانفعال الشديد وأمره : «احضر بنفسك الى هنا فوراً!» . لماذا هذا الاستعجال؟ لابد انه امر مهم . معاون رئيس الاستخبارات كان في مكتبه الساعة التاسعة مساء بتوقيت لانغلي (مقر وكالة المخابرات المركزية) .

قرر ان يبدأ بالاتصال بالسفير ، اذ انه سيحتاج الى موافقته للقيام بالسفرة . رفع كرسويل سماعة الهاتف وقال : «اريد ان اكلم السفير أولاً ثم مدير عمليات شركة الطيران الامريكية في مطار جومو كينياتا الدولي في كينيا . اتصلوا بمنزله فسوف تجدونه هناك» .

كان السفير رجلاً نزيهاً وبادر بالمساعدة فوراً ، خصوصاً وان كرسويل الذي شغل منصب رئيس دائرة المخابرات المركزية CIA في السفارة الامريكية في كينيا كان قد اوضح مدى ضرورة قيامه بمهمته المستعجلة هذه اما رئيس شركة الطيران ، فبعد ان تغلب على دهشته لسماع مطاليبه ، فقد قام هو الاخر ، بما يلزم ، وكان كرسويل خلال نصف ساعة من مكالمته الهاتفية مستقراً بطائرة شركة الطيران الامريكية بوينغ ٧٤٧ ، وهي تستعد للاقلاع الى مومباسا ، المرفئ البحري في كينيا .

جلس كرسويل في جناح مسافري الدرجة الاولى يتناول افطاره ، والمضيفة تنظر اليه

بتعجب فقد كان المسافر الوحيد على متن الطائرة ، اما هو فقد كان يأمل اللحاق بباخرة الشحن قبل ان ترحل من الميناء .

***

«لقد توقفوا ياجون فلم تشهد الـ JSTARS اية حركة منذ عشرين دقيقة» .

«من المحتمل انهم قرروا ان يستريحوا قليلاً ، فالساعة ٢٥ :٤ صباحاً بتوقيتهم ، استمروا بالمراقبة»

كانت الساعة تشير الى ٢٥ :٩ بتوقيت واشنطن ، وكان كيرْون متعباً وبحاجة الى بعض الراحة هو الاخر ، فقد قضى خمس عشرة ساعة متواصلة في عمله . نظر الى اخر الصور وبدأ يناقش محل استراحة فريق هاورد مع زملائه وقال : «وماهو ارتفاع المبنى؟»

«حوالي سبعة امتار»

«حسناً اريد تصوير هذا المبنى من جميع زواياه ثم التفت الى سورنِن وقال له «اعتقد بانهم قد توقفوا هناك لفترة طويلة ، الا اني اريد الاستمرار بمراقبتهم ، لربما رحلوا قريباً فهل يجوز ان اطلب JSTARS ذلك؟»

ابتسم سورنِن ووجه الكلام لكيرْون : «تتمكن الآن ان تطلب ماتشاء ، فقد اخبرت رئيس القسم باكتشافاتك ولا يمكنك ان تتصور مقدار فرحته فقد قام هو باخبار رئيس وكالة المخابرات المركزية CIA الذي اخبر نائبه ، وهما غاضبان لعدم تمكن جهازهم من معرفة الموضوع مسبقاً ، وقام نائب الرئيس بتوبيخ بعض العاملين في الرياض ونايروبي وهم الان يتعقبون آثار الطائرة وباخرة الشحن ، وقد سمع رئيس القسم اشاعة تقول بان احد رجال الـ CIA قد استقل طائرة ركاب ٧٤٧ لوحده من اجل الوصول الى مومباسا ، وقام مجلس الامن القومي بعقد اجتماع طارىء ، وهم ينوون الاجتماع برئيس الجمهورية بعد قليل» .

نظر اليه كيرْون بدهشة وقال : «ولكن لماذا كل هذا الاهتمام؟»

فاجابه «لابد انك قد انشغلت بعملية الرصد فلم تفكر بالامر ملياً . فهؤلاء الرجال قد قدموا الى السعودية من البحر ودخلوا العراق بخفية ، فلابد ان يكونوا محترفين من الدرجة الاولى ، وهم اضافة لذلك يضحون بحياتهم فلابد ان يكون هدفهم كبيراً جداً ،

فما هو ، او من يستهدفون برأيك؟»

فكر كيرْوِن بما سمعه وقال «آه لم افكر بذلك . . يا آلهي!»

واجابه الدب : «نعم... يا آلهي!» .

٤١

أعجب هاري كرسويل بنتائج مساعدة السفير الاميركي له فقد كان ملماً بكل ما يجري في كينيا وتأكد الآن بان درجة مساعدة السلطات له تدل على تدخل من اعلى المستويات ، وربما كان للرئيس موي رئيس جمهورية كينيا دخلاً بالموضوع! . إنتشر الجنود الكينيون في كل مكان على الطريق المؤدي الى الميناء وفي محل ارساء الباخرة مناتي . وبعد ثلاث ساعات تمكن كرسويل من الاتصال بنائب الرئيس وابلغه بان الباخرة جاءت من فيلكستو وافرغت بعض حمولتها في بور سودان وجيبوتي ولم تتوقف في اي محل اخر . وكان النائب يبدو مرتاحاً بعض الشيء لسماع الاخبار وقال :

«وهل من أثر لمتسللين؟»

«تقوم الشرطة الكينية الان بعملية التفتيش يا سيدي ، فهناك اكثر من مئة ضابط من رجال الجمرك وهم يفتحون الحاويات الواحدة تلو الاخرى وقاموا بتوقيف ربان السفينة» .

«اتصل بي حال عثوركم على شيء» .

«سافعل ذلك ياسيدي» .

ونظر كرسويل من الشباك وشاهد الفوضى التي كانت تعم ظهر السفينة ، لم يكن يتوقع ان يعثروا على شيء خصوصاً وان المتسللين قد رحلوا منها ، الا ان اجراء التفتيش كان ضرورياً على الرغم من ذلك وفجأة دخل عليه احد الجنود وقال :

«ياسيدي ، يقول رئيس المفتشين بان عليك الحضور»

«ساحضر حالاً»

وعند نزوله اخبره رئيس المفتشين بأنهم قد وجدوا بان احدى الحاويات خالية من البضاعة فسأله كرسويل : «وهل هذا امر غريب؟»

«هذه الامور نادرة الوقوع ، ولكنها تحصل احياناً ان تكون الحاوية فارغة لجزء من

الطريق» .

ذهب كرسويل الى الحاوية وشاهد اربعة من رجال الجمارك وهم يتفحصون ختم الجمرك البريطاني فقال : «هل ان الختم صحيحاً»

فاجابه احدهم «نعم سيدي»

نظر كرسويل الى داخل الحاوية وجدها خالية تماماً فتجول من حولها ببطء ليتفحصها من الخارج وشاهد المروحة وهي لا تزال عاملة .

ولكن لماذا؟ اليست الحاوية فارغة؟ لابد انه خطأ كان قد ارتكبه احد الحمقى فقال «ان هذه المروحة مازالت تعمل خطأ ، هل يمكن لاحد ايقافها؟»

ثم توقف كرسويل فجأة وكانت تبدو عليه علامات التعجب فقد انتبه للتو بان الحاوية لم تكن باردة اطلاقاً! ركض الى الجانب الاخر وشاهد بان المروحة مازالت عاملة ثم نظر الى المحرار وكان ذلك يشير الى ان درجة الحرارة داخل الحاوية كانت عشرين درجة تحت الصفر فصرخ كرسويل «ايها المفتش! اعتقد بانا قد عثرنا على امر مريب»

«نعم يا سيد كرسويل تقول اوراق الشحن بان هذه الحاوية هي معبأة بالمواد الغذائية المجمدة» وهجم رجال الشرطة على الحاوية لفحصها فحصاً دقيقاً ، الا ان كرسويل لم يكن يريد انتظار نتائج بحثهم فقد هرع لجهاز الهاتف وقام فوراً بالاتصال بنائب الرئيس في واشنطن لابلاغه عن الخبر . وكانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل في لانغلي الا ان صوت النائب كان على الرغم من ذلك يعبر عن ارتياحه الكبير اذ قال : «الحمد لله فالمشكلة تعود اذاً الى لندن» .

ولم يكن كرسويل يعلم آنذاك بان المشكلة ستعود اليه بعد اقل من ست ساعات .

٤٢

انفض الاجتماع الطارئ للجنة المخابرات البريطانية المشتركة ، وبدأ أعضاء اللجنة بالتفرق ، وبينما كان مدير شرطة لندن يتوجه الى الباب ، اقترب منه رجل أنيق ذو شعر أبيض ويرتدي رباط عنق متميز .

– «السيد المدير . . هل لي ان أطرح عليكم بمقترح؟» .

نظر مدير الشرطة الى المتكلم ببعض الفضول وقال «نعم يا سيد غوديل» أني أرحب بأي مقترح جديد» .

ابتسم السيد غوديل «هل لي ان أعبر لك عن أسفي للطريقة التي عولجت بها قضية الجيش الايرلندي السري . لا اعتقد ان كانت ثمة ضرورة لأن يناقش الموضوع بهذه الحدة وبشكل علني ، زملائي في دائرة الاستخبادات يتفقون معي» .

هز مدير الشرطة رأسه بالموافقة وقال «أعتقد ان الموضوع كله عولج بشكل خاطئ يا سيد غوديل» .

«أرى ان نتجنب أي خلاف بين مؤسستينا ، أقول ذلك ، لأنني اعتقد بأننا نستطيع مساعدتكم بعض الشيء في هذه القضية الجديدة .

تفحص نائب رئيس جهاز المخابرات البريطاني وجه مدير الشرطة ليرى فيما إذا كان هنالك أي اعتراض بخصوص مقترحه ، ولكنه لم يجد أي اعتراض من مدير الشرطة . كان غوديل يعرف مدير الشرطة جيداً ، وكان هذا الأخير يتميز بحنكة وذكاء متميزين . واستمر غوديل . . «ان التحريات التي سوف نقوم بها ، ستكون تحت اشرافكم وتوجيهاتكم ، كل ما أريد قوله ، ان مؤسستي لها بعض الامكانيات الخاصة التي تود ان تضعها تحت تصرفكم ، إذ لا يعلم أحد بالضبط المشكلة التي نتعامل معها لحد الآن» .

– «مقترح جيد يا سيد غوديل ، خاصة الأسلوب الذي طرحته به» ، وابتسم مدير الشرطة

ثم سأل غوديل «هل استحصلت موافقة المدير العام؟» .

- «لا» لكني على يقين بأنها ستوافق على المقترح ، دعني أولاً اقترح ان اجتمع أنا والموظف الذي سوف ينسب اليه العمل والاشراف على هذه القضية ، وبعد ذلك سوف أقوم بالتنسيق معه» .

«فكرة جيدة يا سيد غوديل ، ما رأيك لو اصطحبتني الى المقر العام ، حيث نستطيع سوية ان نشرح للموظف المسؤول تفاصيل المهمة» .

«فكرة رائعة» أجاب غوديل .

سار مدير الشرطة ونائب رئيس الاستخبارات الى سيارة مدير الشرطة سوية ، فتح لهما السائق الباب ، وما أن استقرا داخلها حتى انطلقت بهم الى المقر العام لشرطة اسكوتلانديارد .

«سوف أنيط هذه المهمة بقسم النشاطات الخاصة (S011)» قالها مدير الشرطة وهو يحاول ان يرى رد فعل السيد غوديل . واستمر في حديثه «طبعاً ستشترك في العملية أقسام واختصاصات أخرى من ضمنها دائرتكم» .

ضحك غوديل وقال «شيء جميل ان يكون تفكيرنا في نفس الاتجاه ، لنأمل بأننا سننتهي الى نتيجة مرضية ، هل لي الآن ان أسأل عن اسم الموظف الذي سيتولى هذه المهمة؟» .

«سأوكلها الى قائد وحدة العمليات الخاصة (S011) العميد جونز باتريك جونز» .

«سبق وان التقيت به ، ولأسباب واضحة فقد عملنا سوية في الماضي ، واعتقد بأننا سوف ننجح في مهمتنا» .

«إذا كان هنالك أي سر في هذه العملية فسوف يكشف عنها جونز!» قالها مدير الشرطة ببعض الكبرياء والفخر .

٤٣

– اذن ايها السادة ، هذا ما سنقوم بعمله الآن» . قالها الكوماندر باتريك جونز احد معاوني نائب المدير العام للشرطة البريطانية وهو ينحني على مائدة الاجتماع ويحدق في وجوه ضباط الشرطة المجتمعين من حوله . ركز نظره على شخص قصير القامة ممتلئ ، يغلب اللون الاحمر على ما تبقى من شعر رأسه ، وقال يخاطبه : – « انت يا هيوي اريدك ان تذهب الى هذا العنوان في سويندن وتنسق مع الشرطة المحلية هناك . كما اريدك ان لا تتخطى صلاحياتهم ، ولكن دعهم يفهمون أن الأوامر لهذه العملية قد جاءت من مصادر عليا ، وان التحري يجب ان يتم مركزياً في لندن . وإذا وجدت أي اعتراض من الشرطة المحلية ، فاطلب منهم ان يكلموا مدير شرطة المنطقة . . حيث سيكون على علم بهمتهم .

انك سوف لن تجد أحداً في هذ العنوان فعليك في هذه الحالة ان تكسر الباب وتدخل الى المحل وتسجل بدقة ماتشاهده ، كما أريد ان تحلل أية ذرة تراب لتقصي أثر الساكنين . ثم اسأل الساكنين في المنطقة ما اذا كانوا قد شاهدوا هؤلاء الناس من قبل واذا كان العقار مؤجراً فاسأل المكتب العقاري عنهم . اريد اسماءهم واوصافهم وكل شيء اخر تتمكن من الحصول عليه ، سل ساعي البريد وبائع الحليب وكل من يمر من هناك بشكل اعتيادي ، أفهمت؟»

كان ضابط المباحث هيوي كارتر يدون ما يسمعه من الكوماندو باتريك جونز . وفكر بأن هذه المهمة ستكون كبيرة وذا طابع خاص ، وكدليل على ذلك كثرة الاشخاص الموجودين في هذا الاجتماع والاقسام المختلفة الممثلة فيه . لم يكن هيوي سعيداً بهذه المهمة ، حيث كانت لديه ما يكفي من مشاكل في نطاق عمله الروتيني اليومي . وفجأة خطرت له فكرة! سوف يمنح كل صلاحياته لمساعدته الجديدة . . لكي يتفرغ هو بالكامل

الى المهمة الجديدة . . ولا شك أن مساعدته الشابة سوف تتمكن من الارتفاع الى مستوى المسؤولية الجديدة ، لا شك انها كفوءة وإلا كيف تمكنت من الترقية بهذه السرعة؟!

ثم التفت الى رجل اشقر طويل القامة ، ذا هيئة أكاديمية يرتدي نظارات طبية بإطار سميك وقال له : «وانت يا پول اريدك ان تأخذ فريقك للتحري مع البنوك إبدأ بالقمر الرئيسي ثم الفروع ، اريد ان اعرف عن حسابات هؤلاء منذ اليوم الذي فتحت لحد الان بما فيها المراسلات مع جهات مصرفية في بريطانيا وكافة الصكوك التي كانوا قد صرفوها ، إبحث عن الشركات والاشخاص الذين تعاملوا معهم ، وعن المحاسبين القانونيين ، وأي شخص تعامل معهم . . اريد أسماء وتواصيف هذا الفريق . . هل فهمت؟» .

وهزّ پول هلاّم رئيس قسم مكافحة التزوير في شرطة المباحث المركزية في لندن ، رأسه بالموافقة ، ثم التفت باتريك جونز الى رجل اخر وقال : «وانت يا جيري اريد ان تأخذ فريقاً للتحري عن الطائرة ومعرفة كل شيء عن سجلاتها ، من اين أشتريت وبأسم من سُجلت؟ راجع مديرية الطيران المدني ودعهم يقدمون لك المساعدة في متابعة مسار الطائرة وكل ما يتعلق بها» .

– «والان اريد ان اعرفكم على السيد غوديل فهو من جهاز الاستخبارات البريطانية MI5 ، واريد منكم ان تتعاونوا معه تماماً فسيشترك معي في قيادة العملية» نظر المجتمعون الى بعضهم بدهشة وخيم عليهم الصمت ، واستمر الكوماندر «يستطيع السيد غوديل بمساعدتكم بكل ما تطلبون من أشخاص وأجهزة» .

– «سبق وان تعاون بعضكم مع جهاز المخابرات . . والسيد غوديل سميث في لندن ، سيكون الخط التليفوني مفتوحاً بين هذه الدائرة ودائرته وسوف نكون سوية منسقي هذه العملية» .

ونظر الجميع الى غوديل مرة أخرى باعجاب ، شعوراً منهم بأنه قد يكون موظفاً بدرجة رفيعة في جهاز المخابرات ، إلا ان الكوماندر جونز لم يدخل بالتفاصيل ولكنه واصل الحديث قائلاً :

– «ستكون هذه العملية مشتركة ، وسوف ينسب ضباط مخابرات لكل الوحدات

التي تعمل على هذه القضية ، وأرجو منكم ان تتعاونوا معهم وتستفيدون منهم . . ودعوني أقول بأني أريد نتائج ايجابية . . وبسرعة!» .

***

وفعلاً جاءت النتائج بعد ساعات قليلة ، فالتحريات الاولية كانت سهلة بعض الشيء ، وبدأت الصورة تتجمع تدريجياً ، فالمعلومات عن الحاوية تشير باتجاه شارع لوندس في منطقة سويندن ، اذ اكدت الشركة التي قامت بتسليمها بان ذلك قد تم الى الوحدة رقم ١٠ . داهم المكان عدد كبير من رجال الشرطة والمحللين وقاموا بفحص كل ما استطاعوا الحصول عليه وبدقة متناهية .

ومن جهة أخرى استجوبت مجموعة أخرى من الشرطة السمسار الذي قام بتأجير الوحدات الى السيد بريس ، وكانت الشرطة قد أقلقته من نومه صباح يوم الاحد ، فاخذت منه اوصاف السيد بريس ووزعته على كافة الوحدات ، مع اوصاف سيارته (بي .ام .دبليو 325si) .

وقد وصف السمسار سيارة السيد بريس بدقة متناهية ، موديل ١٩٩١ زرقاء اللون من الخارج مع مقاعد من الجلد ، رمادية اللون ، ولكنه لم يتذكر رقم السيارة بالكامل ، ولما حاولت الشرطة متابعة تفاصيل أخرى للسيارة من دائرة التسجيل المركزية في سوانزي لم يجدوا اثراً لشخص يدعى بريس ومع ذلك فقد اعتقلت الشرطة خمسة أشخاص لتطابق أوصافهم مع أوصاف السيد بريس ، إلا ان السمسار أكد انهم لا يشبهون السيد بريس مطلقاً .

أما السيارة بي . إم . دبليو فلم يعثر لها على أثر في بريطانيا ، حيث كانت قد سرقت وأعيد طلاءها وغيرت أرقامها وأعيد بيعها في ايطاليا!!

وقد استطاع مفتش المباحث هلاّم ان يحصل بعض النتائج الايجابية الأولية فيما يخص الحسابات المصرفية للفريق . فقد تعاون بنك باركليس بالكشف عن كل الحسابات ووثائق الشحن التي تعامل بها جوني بورن والذي كان ينتحل شخصية «بريس» . وفي الحال اكتشف وجود شركتين وهميتين اسسهما بورن للمزيد من التمويه . شكّل هلاّم وحدتي اضافيتين للتدقيق في نشاطات الشركتين وتدقيق حساباتها ، فتعرض محاموا ومحاسبوا الشركتين للتحري والتحقيق . ولما اكتشف وجود حسابات سرية تخص

الفريق في ليشنشتاين اضطر أن يخبر الكوماندر جونز .

- «فيما يخص حسابات ليشنشتاين يجب ان ننتظر الى يوم غد» أجاب الكوماندر باتريك جونز وهو يعض شفته السفلى ويضرب مكتبه بأصابعه في حركة عصبية تلقائية . «لا نستطيع ان تلاحق شركة أجنبية بمجرد أوامري أنا ، دعني أدبر الأمر» .

اتضح ان «بريس» لم يترك أي أثر لتحركاته . فالتحركات بالنسبة للسيارة بي . إم . دبليو الزرقاء لم توصله الى نتيجة . . والوحدات الصناعية الثلاثة كانت نظيفة تماماً . . وفي الواقع فإنها نظفت بمحاليل معقمة .

لقد تعاونت البنوك . . والسمسار الى أبعد الحدود . . ولكنهم كانوا يعطون مواصفات السيد بريس الذي كان متنكراً أساساً . لقد كان الفريق حريصاً ان يدفع نقداً لكل مشترياته كي لا يترك أي أثر . وحتى الوثائق التي وقعها «بريس» أو لمسها لم تكن عليها طبعات أصابعه ، حيث كان يلصق مادة سيلوفنية تخفي الأخاديد في أصابعه .

رن جرس الهاتف وكان مفتش المباحث ولسون على التليفون .

- «استطعنا تقصي الطائرة . . غادرت مطار ساوثمبتون يوم السابع من نيسان «ابريل» ١٩٩٢ . . وكان الفريق قد اشتراها من ايرلندا» .

- «هل هنالك أية أوصاف أو أسماء؟» سأله الكوماندر جونز بلهفة» .

- «لقد كنت آمل ان تستعمل نفوذك مع الشرطة الايرلندية ، سيدي ، وتسألهم عن المالك السابق للطائرة ، لا شك انهم سوف يتجاوبون معك» .

- «سوف ألبي طلبك» أجاب الكوماندر جونز «وماذا عن الطيار؟» .

- «كنت أود ان أفاجئك ببعض الأخبار المفرحة . فقد حصلنا على معلومات كثيرة عنه ، اسمه سو ليفان وهو مواطن أمريكي ، طيار تجاري محترف ولديه اجازة رسمية . لقد حصلنا على عنوانه ورقم جوازه ، تقريباً كل من نحتاج اليه لمتابعته . لقد دخل المملكة المتحدة بمفرده ، وسوف أقوم بارسال كل هذه المعلومات لك بالفاكس» .

- «انجاز ممتاز يا جيري» .

- «شكراً سيدي» .

كان الكوماندر جونز مرتاحاً لما انجزه خلال النهار ، وراح يهنأ نفسه للسرعة التي استطاع بها فريقه ان يلم ببعض أطراف القضية .

***

رفع الكوماندر جونز تقرير المتابعة الى رؤسائه ، خاصة التفاصيل الخاصة بالطيار الامريكي سوليفان . وفي الساعة التاسعة وخمسة وعشرون دقيقة صباحاً بتوقيت واشنطن وصلت تفاصيل التقرير الى مقر وكالة المخابرات الامريكية (CIA) معنونه الى نائب المدير العام لشؤون الاستخبارات .

لم يكن نائب المدير العام مرتاحا لتورط مواطن أمريكي في هذه العملية وظن انه سيرمي بكل القضية وعواقبها على الجانب البريطاني . . وكان كل من التقاه ذلك اليوم شعر بعلامات الامتعاض باديه على وجهه .

وبعد ان حرر طلباً الى مكتب التحريات الفيدرالية (FBI) لمتابعة تفاصيل الطيار سوليفان ، التفت الى جيمس أنسل رئيس قسم الشرق الأوسط في الوكالة وسأله عن أية معلومات من مدير مكتب الوكالة في السعودية فأجابه أنسل «تعني كيننغ» .

– «نعم ، كيننغ ، ماذا تراه يفعل . . لماذا لا يتحرك . . ويجد لنا بعض المعلومات ، أريد خبراً عن الطائرة وبسرعة» .

استغرب أنسل للحالة العصبية التي وجد بها نائب المدير العام ، فنظر اليه نظرة تحد وقال «ألفن كيننغ موظف قدير ، وقد استطاع ان يوافينا بتفاصيل تسجيل الطائرة بسرعة فائقة . أرجو ان تفهم الظروف الصعبة التي تحيط بعمله ، وخاصة ما زلنا لم نبلغ السلطات السعودية عن كامل القصة» . كان أنسل على حق ، فقد كان تخمين كيننغ صحيحاً عندما توجه الى مدينة جدة وتابع دخول الطائرة ومعلومات أخرى يصعب على غيره الحصول عليها .

– «على أي حال» أجاب نائب المدير ، «أطلب منه ان يثابر في متابعته ، حيث ان مستشار الأمن القومي سكاوكروفت يريد هذه المعلومات بسرعة . . ولا شك ان الرئيس يتابع الموضوع بدوره» .

التزم انسل الصمت . لم يشعر هنالك ضرورة من الاتصال بكيننغ ثانية . . حيث كان متأكداً من أن مرؤسه سيتصل به حال العثور على معلومات جديدة .

٤٤

كان من سوء حظ طالع الڤن كينينغز ، بان تكون الطائرة ايلاندر قد اختفت منذ اربع وعشرين ساعة . فقد قام دينارد بمغادرة بدانه ، بعد ان كان قد اخبر سلطة السيطرة الجوية بانه ينوي الاتجاه الى تبوك ، وكان ذلك بعد مغادرة فريق هاورد بدانه بساعة واحدة ، انطلق باتجاه عرعر ، الا انه ، بعد ان ضمن بان سلطة السيطرة قد تأكدت من صحة اتجاهه ، ولن يستمر بمتابعته بالرادار ، حول اتجاهه نحو الشمال وقام بانزال الطائرة الى ارتفاع مئة قدم . استمر بهذا الاتجاه لفترة نصف ساعة كاملة ثم تأكد من موقعه باستعماله جهاز GPS ثم رفع جهاز لاسلكي صغير وقال كلمتين فقط «الاضاءة الان» بعد مضي عشرة ثوان شاهد اشارة ضوئية صغيرة على بعد ميل واحد وتوجه نحوها وفجأة شاهد خطين متوازيان من الاضاءة الخافتة على الارض فهبط بطائرته في الصحراء .

كان پالمر بانتظاره ، في سيارة اللاندكروز الثالثة وكان قد اختار الموقع بنفسه قبل يومين ، في منطقة تبعد خمسة وعشرين ميلاً عن الحدود العراقية . ثم قام دينارد بتسليم پالمر الملف الذي يحوي كل سجلات الطائرة والاوراق الرسمية التي تعود الى سوليڤان ، ثم اتجه نحو الخيمة التي كان قد نصبها له پالمر لينام ، بانتظار موعد دخوله للعراق بطائرته ، فقد انتهت فترة حاجتهم لسوليڤان وكان يتمكن من حلاقة شاربه وازالة اللون البني من شعره .

اما پالمر فقد عاد لسيارته واتجه جنوباً نحو جدة في رحلة عودته الى هناك والتي ستستغرق ثماني عشرة ساعة .

٤٥

كان نائب رئيس وكالة الاستخبارات المركزية جالساً في مكتبه عندما دخل احد معاونيه ومعه تقرير مفصل عن سوليڤان وبدأ بقراءته .

- «الاسم رَي سوليڤان العمر ٤٦ سنة رقم الهوية . .»

- «نعم ارجوك ان تقرأ التفاصيل المهمة فقط» «اسف سيدي ، هو اعزب وله شقيقة واحدة تسكن في أيَوا ، كان يملك شركة طيران صغيرة في لوس موريلوس في تكساس وكان هو العامل الوحيد فيها . اغلق شركته في ١٤ مارس وانتقل دون ان يترك عنواناً اخر ثم غادر امريكا الى بريطانيا يوم ٢٧ مارس» .

- «وسجله الجنائي؟»

- «القي عليه القبض لحوزته على عشرة غرامات من مخدر الماريوانا سنة ١٩٦٧» .

- «وماذا عن سجله العسكري»

- «لايوجد»

- «وماذا عن اقربائه؟»

- «لقد عثرنا على اخته وقالت بانه رجل كسول ولايحب العمل المرهق ، وهو على الرغم من شعبيته اينما ذهب ، فان طموحاته صغيرة» .

- «لايحبان بعضهما اذاً؟»

- «يبدو بانها لا توده ، فقد اقرضته مبلغ ثلاثة الاف دولار قبل سبع سنوات من اجل مساعدته بفتح شركته الا انه لم يعيد لها المبلغ ، وانقطع الاتصال بينهما ، وحينما سئلت عما اذا تورط مع منظمة اجرامية ، ردت على السؤال بالضحك استهزاءً»

- «وماذا عن حالته المادية؟»

- «لدينا نسخ عن سجلاته المصرفية عبر الخمس سنوات الاخيرة ، يبدو بانه لم يمتلك

سوى طائرته الصغيرة» .

- «اي شيء آخر»

- «لا شيء سيدي»

خرج المعاون من مكتبه وجلس النائب يفكر بقضية رَي سوليڤان ، فيبدو انه رجل صغير ، عديم الطموحات ولا يمتلك اية خبرات تذكر فلابد ان يكون اذاً ، ذو اهمية صغيرة بهذه العملية ، وكان هذا من دواعي سرور النائب ، اذ انه لم يجد ما يكفي ان تتهم الولايات المتحدة بالعملية ، خصوصاً بان سوليڤان يبدو المواطن الامريكي الوحيد فيها ، فالمسؤولية مازالت تقع على بريطانيا .

٤٦

لم يكن مِيْل هاريس مرتاحاً من مكالمته الهاتفية الاخيرة . لماذا لم يرد عليه السيد پاتيل بنفسه؟ كان ذلك امراً غريباً لان السيد پاتيل ، وهو هندي الاصل ، كان قليل الخروج من بيته ، وبالاضافة الى ذلك ، فقد كان هاريس قد اخطره مسبقاً بانه سيتصل به في هذا الوقت بالذات يوم الاحد ، ومن هو الشخص الغريب الذي رد عليه بلهجة انگليزية؟

هل اعتقل پاتيل ، وما الذي يعرفه؟ لم يكن على علم سوى بقائمة الاحتياجات التي كان عليه اعدادها وشراؤها من اجل وضعها في الحاوية . ولم يسأله پاتيل عن السبب آنذاك ، فقد أُعطي مبلغ ثلاثين الف دولار كمكافأة له لعمله السريع فكان باتيل تاجراً ناجحاً وكان بامكانه الحصول على هذا الخليط العجيب من الاحتياجات على وجه السرعة ، ولم تكن مفردات القائمة سوى مواد عادية ، اما الحاوية فقد كانت حاوية عادية ايضاً .

لم يكن هاريس متأكداً وقرر ان يجرب الاتصال به مرة اخرى في اليوم الثاني ، فسيعود پالمر قريباً ومعه الملف ، مما سيمكنهم من التخلص من سوليڤان بعد ان كان قد انتهى دوره ، وسيعني ذلك بانهم سيتخلصون من احدى مهامهم وسيتمكنون من التفرغ للاعمال الاخرى بحرية ومع كل ذلك بقي هاريس بحالة من القلق الشديد .

٤٧

- «ألڤن؟»
- «نعم ، من المتكلم؟»
- «جوناثان ميتشال ، سأعرض عليك فكرة بصفة غير رسمية اعتقد بان الوقت قد حان لنتعاون فيما بيننا»

اخذ كينينغز حذره فقد كان صديقاً لميتشال الا انه لن يتمكن من التعاون معه بدون موافقة لانغلي (رئاسة جهاز المخابرات المركزية) اذ ان ميتشال كان يعمل في السفارة البريطانية : «انا لا افهم قصدك ياجوناثان»

- «لاتكن عنوداً يا ألڤن ، اتكلم بخصوص الطائرة»
- «ما الذي تعنيه؟»
- «الأيلاندر ، اعرف اين هي الان او بالاحرى اعرف اين يفترض ان تكون»

صرخ كيننغز بصوت عال «ماذا؟ وكيف وجدتها؟ واين هي الان؟» فبادره جوناثان بالسكوت وقال «هيا اذاً ما الذي تريده؟»

- «المسألة بسيطة ، سوف اعطيك المعلومات شرط ان تزودني بوسيلة للنقل ، اذ ان حكومة صاحبة الجلالة لا توفر لنا طائرات خاصة» .
- «اتفقنا اذاً سالقاك في مطار الملك خالد الدولي بعد عشرين دقيقة من الان»
- «حسنا الى اللقاء»

وبعد اربعين دقيقة كان كل من مدير محطة وكالة المخابرات المركزية الامريكي ونظيره البريطاني في السعودية في طائرة خاصة بِنيّةِ الاقلاع من الرياض فبادر كينينغز زميله البريطاني بالسؤال «هيا ياجوناثان ، اخبرني كيف حصلت على المعلومات»

- «المسألة بسيطة ، فقد كانت السفارة قد اتصلت بكل المطارات المدنية في السعودية

وحالفنا الحظ حين اتصلنا بمحل اسمه تبوك»

- «ماذا؟ لقد كلمتهم منذ ساعة واحدة ولم يفصحوا بأي شيء عن الطائرة ، أو سبب توجهها الى عرعر؟»

- «الطائرة ليست هنا او هناك ، المفروض ان تهبط في مطار تبوك قبل خمس عشرة ساعة ومع ذلك فلم يقوموا بالابلاغ عن ان الطائرة قد فقدت . ولم ينتبهوا لذلك الا حينما سألتهم عنها»

- «يا لهم من اغبياء! ولماذا عرعر اذاً؟»

- «هناك سببان اولاً لقد أقلعت من هناك الساعة السابعة مساء امس ، وثانياً لقد كان هذا مقرها عبر الاسبوعين الماضيين» .

- «ماذا؟!» وللمرة الثانية كاد كينينغز ينفجر من غضبه فقد كانت لانغلي على علم بذلك اذاً ، ولم يخبروه ، وها هو يبحث عن الطائرة في طول البلاد وعرضها ثم قام بتغيير الموضوع وقال :

- «اخبرني عن مؤسسة داركون ياجوناثان ، هل هي مؤسسة شرعية؟»

- «ماذا تقصد؟»

- «لقد اتصلت بالسيد هيوز رئيس فرعهم في جدة لان الطائرة كانت مسجلة باسمهم واجابني بانه لم يكن قد سمع شيئاً عن الطائرة من قبل ، بل كانت للشركة طائرة اخرى يستخدمونها منذ زمن بعيد»

فكر ميتشال قليلاً ثم قال : «هذا امر مثير للشك»

«ولماذا؟» .

«لان الطائرة جاءها امر بالاقلاع من مطار عرعر قبل يومين ، والتوجه الى بدينة ووصلني خبر يقول بان الطيار وزملاءه يسكنون هناك ولمؤسسة داركون مقر في بدانة»

فقاطعه كينينغز «اذاً لنرحل الى بدينة اولاً ولنلقِ نظرة على هذا المقر ، ثم لنذهب لمقابلة السيد هيوز هذا»

- «لدي فكرة اخرى لنتصل به الان توفيراً للوقت ، ألَديكَ جهاز للهاتف في الطائرة؟»

أبدى هيوز استغرابه لما سمعه ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد الح على ان كل زوار الشركة دخلوا الى السعودية بشكل شرعي ، وبامر من السيد دارتنغتون نفسه . فقال له

ميتشال :

- «ياسيد هيوز ، سابعث موظفاً من سفارتنا ليكلمك قريباً ، وسيصطحب معه أحد العاملين من السفارة الامريكية ارجو منك ان تشرح لهم الموضوع بالتفصيل وتتعاون معهم» .

وعده هيوز بانه سيقوم بذلك .

- «لدي استفسار اخير ياسيد هيوز فقد قلت لي بانهم طلبوا استعمال اربع سيارات فهل انك متأكد من ذلك؟»

- «نعم»

- «حسنا ساطلب منك اذاً ان تعد تقريراً موجهاً للشرطة السعودية ، تقول فيه بان السيارات قد سرقت وساتصل بك قريباً من بدانه لتأكيد ذلك»

انهى ميتشال حديثه ثم التفت الى كينينغز وقال «لندع الشرطة تطلع بالمهام الصعبة»

ابتسم رجل الـ CIA وقال «يعجبني ذلك جداً»

٤٨

أعد السيد توني هيوز على الفور تقريراً مفصلاً عن سيارات اللاندكروزر التي كان قد ارسلها الى بدانه ذاكراً مراسلات دارتنغتون الموجهة اليه بشأن المجموعة القادمة من بريطانيا . كما جهز ثلاث نسخ عن التقرير ، الاولى للشرطة السعودية ، ثم يعطي نسخة الى كل من رَجُلي الاستخبارات الامريكي والبريطاني ، وفي فترة انتظاره لقدومهما قام بالاتصال بمكتب السير بيتر دارتنغتون ، الا ان سكرتيرته كانت قد اخبرته بان السير بيتر خارج البلاد ولا يمكن الاتصال به اطلاقاً . وعندما زاره ضابط من الشرطة السعودية ، استقبله هيوز بترحاب واخبره عن كل مايعرفه عن القضية ثم اعطاه التقرير الذي كان قد اعده عن السيد «بريس» والسيد «بوتر» .

وتصرفت الشرطة السعودية بسرعة فائقة فقد ارسلت على الفور اوصاف الرجلين والسيارات المسروقة الاربعة الى كل مراكز الشرطة في البلاد ، وكانت اوصاف هيوز للرجلين دقيقة جداً الا انهما كانا قد التقيا به حينما كانا متنكرين وكان بورن وبالمر قد دخلا الى السعودية بجوازات سفرهما الاعتيادية والتي كانت تحمل صوراً لاعلاقة لها بالرجلين الذين قابلهما السيد هيوز ، الا ان هيوز كان قد ارتكب خطأً واحداً صغيراً في وصفه لبالمر اذ قال بانه كان يتكلم بلهجة افريقية جنوبية وهناك فارق جزئي بين هذه اللهجة واللهجة الزمبابوية (الروديسية) ولو كان هيوز قد ادرك ذلك لتمكن رجال الشرطة من القاء القبض على بالمر فوراً ، فلم يكن هناك اكثر من ثلاثة مواطنين زمبابويين في السعودية آنذاك وهم بالمر وديناري ورئيسه الذين كانوا يقيمون في الرياض .

حالف الحظ بالمر مرة اخرى في ذلك اليوم ففي الوقت الذي كان فيه هيوز يكلم الضابط السعودي بشأنه كان هو يمر من خلال نقطة تفتيش خارج حدود مدينة جدة

وكان ضابط التفتيش تبدو عليه علامات الملل ولم ينتبه اليه اطلاقاً ، فقد كان اهتمامه منصباً حول السيارة التي كانت خلفه وهي تحمل خمسة ركاب من الهنود ، وكان احدهم قد نسي ان يحمل دفتر اقامته معه ، وعند وصول تفاصيل سيارات اللاندكروزر لنقطة الحدود ، بعد اربعين دقيقة كان الضابط قد نسي تماماً مشاهدته لپالمر ولذلك فقد وصل الى جدة دون ان يعلم بشيء .

وصل الڤن كينينغز وجوناثان ميتشال الى بدانه والتقيا بالطباخ الباكستاني الذي كان قد بقي لوحده هناك وعلى الرغم من وضوح براءة الطباخ ، اضطروا الى استجوابه وعندما ادرك الطباخ بان هناك امراً خطيراً قد حصل ، سارع بتزويدهم بشتى المعلومات على الرغم من ان معظمها كانت خاطئة . فقد كان يخبرهما ما تصورهم يريدان سماعه ، مما ادى الى اكتشافهما لامره واهمالهما لكل ماقاله . فقال كينينغز : «ان هذا الرجل يتخبط في الظلام كل الذي نثق به مما قاله هو انهم كانوا ثمانية رجال من البيض وكانوا قد غادروا ليلة البارحة بثلاث سيارات والطائرة ، وربما نستطيع ان نثق بقوله بان اثنتين من السيارات صبغتا لتشبه سيارات الاسعاف وبان ماكنة احدى السيارات كانت تخرج «اصواتاً» مدوية وكانت السيارة الثالثة قد غادرت ايضاً اما الرابعة فقد فكّكت للاستعمال كادوات احتياطية ولابد ان هذه هي بقاياها هنا في الورشة . اقترح اذاً ان نذكر في تقريرنا باننا نبحث الان عن ثمانية رجال بيض ، وثلاث سيارات وطائرة واحدة ، واذا كان سوليڤان معهم فهذا يعني بان هناك سبعة رجال في السيارات الثلاث والتي نعلم عن كون اثنتين منها داخل العراق . اما اذا كتبنا اكثر من هذه التفاصيل فسيؤدي التقرير الى تعقيد الامور بشكل أكبر» .

وقال ميتشال «انك على حق ، ساذهب الان للاتصال بهيوز ولاطلب منه ان يقوم بابلاغ الشرطة لعلهم يتمكنون من القبض على السيارة الثالثة .

اتصل ميتشال على الفور بهيوز الذي اتصل بدوره بمركز الشرطة ، فتوسعت شبكة البحث لتشمل كل العاملين بمؤسسة داركون من البيض ، فقد كانت فرضية هيوز ورجال الشرطة السعودية هي ان المجرمين قد تقمصوا هويةالعاملين بمؤسسة داركون وكانت هذه فرضية خاطئة .

٤٩

كان جون كيرْون في حالة يرثى لها من النعاس ، فقام بالتأكد من ان فريق هاورد قد توقف لقضاء فترة النهار في المخزن ، ومن ثم سلم أمر المراقبة الى احد اعوانه وذهب الى غرفة الاستراحة واستلقى على احدى الارائك هناك ، وكان من الارهاق بحيث انه غط فوراً بنوم عميق لفترة عشر ساعات متواصلة وعند استيقاظه تناول كوبا من القهوة ورجع لمكتبه فقال له معاونه «اهلا بك ياجون لم اكن أتوقع عودتك بهذه السرعة» وابتسم كيرْون ثم قال : «لم اقدر على مغادرتكم طويلاً ياجاك وكيف تجري الامور؟»

– «لاشيء من ناحية الجماعة ، فالسيارات مازالت في محلها ، ولكن قضية الطائرة مازالت متأزمة فيبدو بان لانغلي لم تعثر على اية أثر لها لحد الان» .

– «لقد وجدناها في بدانه مساء البارحة في الساعة السادسة والنصف مساءً اليس كذلك؟ بامكاننا اذاً ان نفتش في سجلات الاواكس لنر اين ذهبت . سيستغرق ذلك بعض الوقت الا اننا سنعثر عليها» .

– «هذه هي المشكلة ياجون فقد علم احد الموجودين هناك بان الطائرة قد غادرت باتجاه تبوك في الساعة السابعة مساءً ولم تصلها ولم تكن طائرات الاواكس قد طارت البارحة بعد الساعة السادسة مساءً .

– «فما الذي قمت به؟»

– «يبدو بان لا امل لنا بالعثور عليها ، فقد تكون قد رحلت باتجاه ما او قد تكون قد سقطت»

وكان كيرْون على علم بصعوبة العثور عليها بالاستناد الى الارشيف فقال : «ما رأيك؟»

«لقد افترضت افتراضاً واحداً وهو ان الطائرة قد اختفت بشكل متعمد واستناداً الى

ذلك ، فمن البديهي ان تكون بعيدة عن منطقة تبوك»

«قد تكون على حق ، فاين ذهبت ياترى؟»

«اعتقد بانها قد رجعت في مسارها السابق وقد تكون قد دخلت العراق»

«وهل جربت الـ JSTARS؟»

«لن اتمكن من ان اطلب منها مغادرة موقعها في مراقبة السيارات ، اذ اننا لو افترضنا بان الطائرة كانت على بعد مئة ميل من نقطة انطلاقها فسيستغرق العثور عليها ثلاثة ايام»

قال كيرْون «اتفق معك لايمكننا المجازفة فلنجرب البحث في ارشيف آخر ولنلقِ نظرة على الصور التي أخذت ما بين الساعة السادسة مساءً والساعة الحادية عشر مساءً بتوقيت السعودية ، فلا داعي للنظر بالصور التي اخذت ما بعد ذلك اذ ان مكائن الطائرة ستكون قد بردت وسيصعب التقاطها من قبل الستلايت ، ولتكن طائرات الاواكس مستمرة في بحثها بالمناسبة ، هل تعرف شيئاً عن والتر؟»

«لقد نسيت ان اخبرك فقد جاء الى هنا قبل حوالي الساعة وكان في غاية من الاناقة اذ انه قد استدعي لحضور اجتماع مجلس الامن القومي الذي سينعقد في الساعة الحادية عشر صباحاً» .

٥٠

كان پالمر جالساً في بهو فندق الشيراتون وكان هاريس واقفاً عند مكتب الاستعلامات ، ليقوم باجراءات مغادرة سوليڤان للفندق ، حينما جاء رجال الشرطة للاستعلامات يطلبون مقابلة مدير الفندق وحينما جاء المدير طلبوا منه ان يشاهدوا دفتر الزوار ودار بينهم حديث باللغة العربية ، لم يكن هاريس قد فهم منه شيئاً الا انه عندما سمعهم يذكرون كلمة «داركون» تنبهت احاسيسه . ثم شاهد احد رجال الشرطة وهو يخرج صورة من محفظته وقام بتسليمها للمدير ، حاول هاريس ان يتقدم بحذر لمشاهدة الصورة وعندما تمكن من ذلك كان الدم يتجمد بعروقه ، فقد كانت صورة جيدة لسوليڤان ، الا ان المدير اعتذر من الشرطة وهز رأسه .

كان هاريس في هذه اللحظة مقتنعاً بالاجراءات الامنية التي كانوا قد اتخذوها لحماية سوليڤان ، حيث سكن غرفة كانت مسجلة باسم دينارد ، وانه دخل السعودية باسم شركة النفط العربية وانهم طلبوا من سوليڤان ان يحلق شنبه حال وصوله . ومع ذلك فالشرطة السعودية بدأت بتعقيبهم . دفع هاريس حساب سوليڤان أو بالأحرى (دينارد) ثم اخذ جواز سفره وجواز سفر پالمر واقترب من الاخير وهمس :

«كريس لقد كُشِفنا ، الشرطة تبحث عن سوليڤان وقد وجدتهم يلوحون بصورته امام مكتب الاستعلامات» فسأله پالمر «ومالعمل الان؟»

«يجب ان نتخلص من سوليڤان فقد انتهى دوره الاساسي كنا بحاجة لهويته من اجل ان يستعملها آندي . اما عملية اخراج الطائرة من السعودية بعد انتهاءالعملية فيجب ان تلغى ولنتخلص من الطائرة هنا . لنأخذ سوليڤان الى المطار الان . فهو لايعرف اسماءنا وسأرى ما يمكن عمله حيث انه لم يلتق باحد اخر عدانا انا وانت» . وقال پالمر «حسنا وماذا عن السيارات؟ لعلهم حصلوا على ارقامها» .

أجابه هاريس «نعم ويعني ذلك بانهم يبحثون على اللاندكروزر الواقفة خارج الفندق ساقوم باخذ سوليڤان للمطار بالتاكسي ، وساقوم باستئجار سيارة مشابهة من هناك . ثم نستبدل ارقام السيارتين الواحدة بدل الاخرى حتى نتمكن من استعمال سيارتنا ، فلا اريد ان يظهر على عداد السيارة المؤجرة باننا قد قطعنا مسافات شاسعة فيها لان ذلك سيثير الشك . كما ساقوم بتأجيرها باسمي وعند العودة ، نعيد الارقام كما كانت لئلا نضطر لترك هذه السيارة في مكان آخر» .

«ولكننا لو قمنا باستبدال الارقام ، فستكون السيارة المؤجرة بخطر اليس كذلك» .

أجابه هاريس «نعم الا انه لدي خطة اخرى» فشرح له المخطط واخذ منه اوراق سوليڤان وذهب الى غرفته . وفي طريقه الى الغرفة توقف عند غرفة عمال الصيانة واخذ منها بعض الادوات ثم ذهب الى غرفته ووضعها في حقيبته . ذهب بعد ذلك الى غرفة سوليڤان واصطحبه للبهو وركبوا التاكسي . وفي الطريق الى المطار ، قام هاريس باخبار سوليڤان بان المهمة قد انتهت ، الا انه سيستلم اجوره على الرغم من ذلك وقام بتسليمه ورقة كتبت عليها شفرة سرية واسم مصرف بلجيكي واخبره بان المصرف سيبرق له مبلغ تسعين الف دولار الى اي مكان يختاره» .

ثم قال له «اسمع يا رَي قد نواجه بعض الصعوبات بالمطار فلا تلفت النظر لنفسك فلقد كنت مسجلا بالفندق تحت اسم اخر ارجو ان تحافظ على اتزانك هل فهمت؟»

فقال سوليڤان «كنت أدرك بانه سيكون هناك امر غير متوقع سيحصل لقاء حصولي على تسعين الف دولار» فابتسم هاريس وقال : «لو القي القبض عليك فكل ما يجب ان تقوم به هو ان تصر على انك كنت في الفندق طيلة فترة وجودك هنا ، وهناك كثير من الشهود الذين سيؤيدون ذلك»

«لا تهتم فساقوم بما هو مطلوب . بودي ان اعرف كل التفاصيل المتعلقة بالموضوع ، الا انني سوف لن اسألك عنها» .

وابتسم هاريس مرة اخرى وقال «قد تكون هذه القضية مضرة بصحتك ولكنك قد تقرأ عنها بالصحافة يوما ما ، واريد ان انصحك ايضاً الا تعود الى امريكا الان» .

«الى هذه الدرجة! لاتقلق فلم افكر بالعودة في جميع الاحوال ، كنت اريد ان أعيد بعض النقود لاختى هناك الا اني سابعثها لها برقياً اما انا فاريد ان اقضي بعض الوقت

في شرقي آسيا ، وربما اذهب لزيارة تايلند»

وصلا الى المطار وقام هاريس بتوديع سوليڤان ، ثم ذهب على الفور الى مكتب تأجير السيارات وسأل الموظف : «هل لديكم سيارة تويوتا لاندكروزر؟ افضل ان يكون لونها فاتحاً اذ ان الالوان الداكنة لا تعكس الحرارة بشكل جيد» ونظر اليه الموظف باستغراب الا انه اكد وجود سيارة باللون الفاتح ، وقام هاريس بأستئجارها .

اخذ السيارة الى موقف اخر للسيارات وقام بفك لوحة رقم السيارة مستعملاً المعدات التي كان قد سرقها من الفندق ثم اخرج قطعتين خشبيتين من نفس الحجم كان قد اعدهما عندما كان بغرفته واخذ يستنسخ رقم السيارة عليها مستعملاً قلماً اسود عريضاً يكتب بالخط العريض ووضع القطع الخشبية على السيارة ثم وضع قطع السيارة الحقيقية في محفظته . ورجع بعد ذلك للفندق بالتاكسي ليضع لوحة السيارة المستأجرة على سيارته . وكان دينارد ينتظره في البهو وغادرا الفندق على الفور .

اما في المطار فيبدو بان امر القاء القبض على دينارد لم يكن قد وصل الى سلطات الجمارك . لخطأ اداري لم يكتشف الا بعد مضي اثنتي عشرة ساعة ، مما ادى الى فقدان ضابط الشرطة المسؤول عن الخطأ لوظيفته . الا انه ادى ايضاً الى خروج رَي سوليڤان من البلاد بامان .

٥١

كان جوناثان ميتشال قد ارسل تقريره الى لندن وراحت نسخة منها الى مقر شرطة السكوتلانديارد البريطانية وبالذات الى مكتب الكوماندر جونز . نظر جونز الى الملف وقرأ الادلة بان هيوز كان يتصرف وفق تعليمات كانت قد وصلته من لندن . ثم نظر الى اسم الشركة والى نسخ من التعليمات التي كانت قد ارسلت الى السعودية ، كان جونز قد سمع بدارتنغتون من قبل . وهو من ابرز الصناعيين في بريطانيا ولا يعقل ان يكون قد تورط بقضية كهذه . يجب ان يكون هناك تفسير لهذه الادلة ، طلب من احد معاونيه ، السيد هالام الحضور الى مكتبه فوراً وقام بشرح الموضوع له ثم قال :

– «كن حذراً يابول يجب ان تظل القضية سرية للغاية اذ لا اريد ان أُتهم بترويج الاشاعات عن دارتنغتون وشركته»

– «الامر مفهوم ياسيدي . ساختلق ، اعذاراً مقنعة لتغطية الموضوع» .

وصل هالام الى مقر رئاسة داركون وذهب فوراً الى مكتب السيدة ويبستر ثم اخرج هويته وقال «اني بول هالام من سكوتلانديارد ياسيدتي هل يمكنني التحدث مع السير بيتر دارتنغتون على الفور رجاءً؟»

نظرت السيدة ويبستر اليه واجابته بالجواب المعهود «لا استطيع ذلك من دون موعد سابق ياسيدي ، هل تخبرني شيئاً عن الموضوع؟»

– «هل يمكنني ان اسألك عن الفترة التي عملتِ بها هنا ياسيدتي؟»

– «اجابته السيدة ويبستر وهي تقول بفخر «منذ خمس وعشرين سنة وانا السكرتيرة الخاصة للسيد بيتر»

وعرف هالام بان تخمينه كان صحيحاً فيمكنه ان يصف هذه السيدة بكلمة واحدة وهي الاخلاص . وهذا بالضبط ما كان هالام يريد مشاهدته ، حيث ينوي اختلاق عذر

للوصول الى دارتنغتون دون ان يؤدي ذلك الى الاساءة الى سمعة المؤسسة . وكان تخمينه بان هذه السيدة لن تقوم بافشاء الامر الى احد مادام متعلقاً بالسيد بيتر ، فقال لها .

«هناك موضوع خاص يتعلق بآنسة شابة يحتم علي الاتصال بالسير بيتر فوراً» .

ظهر على وجه السيدة ويبستر علامات الارتباك وقالت «السير بيتر غير موجود هنا ولا يمكن الاتصال به اطلاقاً» .

يجب علي التحدث معه من اجل الوصول الى حقيقة الامر واعتقد بان ذلك سيكون من مصلحة السيد بيتر فانا اعتقد شخصياً ، بان ما تدعيه السيدة الشابة عن السيد بيتر فيه الكثير من المبالغة على اقل تقدير» .

واقتنعت السيدة ويبستر بذلك يجب انقاذ السير بيتر من الفضيحة ، اذ انه سيتمكن من توضيح الامر بسهولة . اخرجت ورقة صغيرة من دفترها وكتبت عليه عنوان السير بيتر في جزر الباهاما .

٥٢

نظر برنت سكاوكروفت مستشار الرئيس لشؤون الامن القومي الى الحضور في قاعة الاجتماع وقال : «اذاً ايها السادة ، فلنقم اولا بسرد ملخص للحقائق التي نعرفها لحد الآن ، في كانون الاول «ديسمبر» من العام الماضي ١٩٩١ ، تقدم رجل ذا لكنة جنوب افريقية بشراء طائرة من نوع برتن نورمان أيلاندر في جمهورية أيرلندا ، وقد طلب من مالكها أن يسلم الطائرة في مطار ساوثمبتون في جنوب انكلترا حيث مكثت لمدة اربعة اشهر ، ونعلم ايضاً أن نفس الرجل كان يتردد على الطائرة ويدخل عليها التعديلات ويساعده فيها خمسة أو ستة اشخاص آخرين . كما نعلم أن رجلاً بريطانياً كان قد أسس عدة شركات وهمية ، ومول مشترياتها من حساب في ليشستاين ، وكان الرجل متنكراً معظم الوقت وأنه استأجر وحدات صناعية استخدمها كورش . هذا الرجل ، هو الشخص الوحيد الذي تعامل بشكل علني مع الناس وأن حاوية وصلت الى مقر الفريق في الوحدات الصناعية ، كما ان تعديلات كبيرة أجريت عليها ، وشحنت الى مومباسا في كينيا حاملة خضروات مجمدة . وبينما كانت هذه الامور تأخذ مجراها ، نرى ان طياراً من تكساس اسمه سوليفان يبيع شركته ويسافر الى انكلترا ليصلها يوم ٢٨ آذار «مارس» ، وفي السابع من نيسان «ابريل» تقلع الطائرة آيلاندر من ساوثمبتون الى السعودية . في الثامن من نيسان «ابريل» يظهر الرجلين الانكليزي والجنوب افريقي في السعودية في مكتب شركة داركون الدولية ، حاملين تخويلاً لاستعمال احدى المواقع العائدة للشركة في «بَدَنه» في شمال المملكة ، وكان التخويل موقعاً من رئيس مجلس ادارة الشركة سير پيتر دارتنغتون ، وحسب تعليمات الأخير فقد وضعت الشركة أربع سيارات من طراز لاندكروز ذوات الشاصي الطويل تحت تصرف هذا الفريق في «بَدَنه» . طائرة آيلاندر تصل الى مدينة جدة يوم ١١ نيسان «ابريل» ومن ثم يتوجه الطيار الى

مدينة الوجه ، حيث يمكث يومين ثم يتجه يوم ١٣ نيسان «ابريل» الى عرعر ويمكث هنالك لغاية ٢٣ نيسان «ابريل» حيث يطلب الترخيص لنقل الطائرة الى موقع العمل في «بَدَنه» .

هنالك تقرير عن ثمانية رجال في موقع العمل ولكن مواصفاتهم غير واضحة . يقوم هؤلاء الرجال بطلاء سيارتين لتظهر مظهر سيارات الاسعاف العسكرية العراقية ويجزءون الثالثة لاستخدامها كأدوات احتياطية . يوم امس ٢٥ نيسان «ابريل» ، اختفى أثر السيارات الثلاث والطائرة والرجال الثمانية الذين كانوا في الموقع . أما الطائرة فقد أخذت ترخيصاً للاقلاع قاصدة تبوك ، ولكنها لم تصل الى وجهتها . أما الحاوية فقد وصلت مساء الامس الى مومباسا في كينيا ، ووجدت انها خالية تماماً ولم يُلاحظ أي من طاقم السفينة تصرفاً غير طبيعي خلال الرحلة . هذه حقائق أكدها التحقيق وتحريات الشرطة البريطانية ومكتب التحريات الفيدرالي (FBI) ووكالة الاستخبارات الامريكية (CIA) .

واستمر سكاوكروفت في حديثه «دعونا نبحث الآن في بعض الاحتمالات» وتطلع الى الوجوه الواجمة حول المائدة ثم قال : «إن ماسمعته من الدائرة الوطنية للاستطلاع يبدو معقولاً جداً ، وأن الفرضية التي جاءوا بها مقبولة بالنسبة لي وهي كالتالي» :

أخفى الفريق اثنان أو أكثر من الاشخاص داخل الحاوية وهي في طريقها الى مومباسا ، وفي ليلة ١٣/١٢ من نيسان «أبريل» وخلال مرور الباخرة في البحر الاحمر ، فرغوا الحاوية ، ثم هربوا من الباخرة باستخدام زورق مطاطي ، واستقبلهم على الساحل السعودي بعض اعوانهم حيث نقلوهم الى الضفة ، ثم انتقلوا بالطائرة آيلاندر الى عرعر ومنها براً الى «بَدَنه» . وفي الليلة الماضية ، يوم ٢٥ نيسان «ابريل» ، دخل الفريق في سيارتي الاسعاف الى العراق ، بعد ان افتعلوا حادث الحريق في نقطة الحراسة على الحدود العراقية ، ثم اتجهوا الى الشمال الشرقي سالكين طريق كركوك ، وقبل بزوغ الفجر بتوقيت العراق ، توقفوا في محل الى الشرق من مدينة حديثة وهم الآن يختبئون في مستودع كبير . أما الطائرة آيلاندر والسيارة الثالثة فقد اتجهوا الى محل آخر . . وما زلنا نحاول العثور عليهم .

– «والآن» قال سكاوكروفت «كما قلت سابقاً فهذه فرضياتي أنا ، ولكني لست خبيراً

في قضايا لاستطلاع لأؤكد صحة المعلومات التي وردتنا من دائرة الاستطلاع الوطنية ، ولا أعلم فيما إذا كنا نستطيع أن نجزم على صحة الموضوع من صور الاقمار الصناعية والرادار» وتوقف قليلاً ليرى رد فعل المجتمعين ثم قال :

- «ولكن قبل أن نستمر في الحديث ، أرى من الضروري أن نستمع الى مدير دائرة الاستطلاع الوطنية» ثم التفت الى المدير قائلاً : «سأكون ممتناً لو تفضلت بالقاء بعض الضوء على الموضوع» . التفت مدير الدائرة مارتن فاغا ، واشر الى سورنن (الدب) الذي كان جالساً بجانبه أن يبدأ الحديث .

استغرق سورنن عشر دقائق يشرح التفاصيل الفنية ثم قال : «وكما ترون أيها السادة فاننا التقطنا نشاطات هذا الفريق بمحض الصدفة ، لكن متابعتنا لهم كانت على درجة عالية من الدقة . الحقيقة أن الاحداث جرت في وقت لم نكن مشغولين بمتابعة أمور أخرى ، فكان قرار المدير أن نصرف بعض الوقت لمتابعة هذا الفريق» .

- «هل لديكم أية استفسارات أيها السادة؟» قال سكاوكروفت وهو ينظر الى المجتمعين .

- «هل لي أن أسأل سؤال؟» اعترض الشخص الذي كان جالساً على يمين سكاوكروفت .

- «تفضل يا جون»

بدأ جون كيلي وكيل وزارة الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الاوسط فقال : «هناك انعكاسات مهمة لهذه القضية على سياسة امريكا الخارجية ، ولذلك فاننا في وزارة الخارجية نعتبر بأن هنالك ضرورة ملحة لايقاف هذه الجماعة فوراً ، واعتقد بأن هذا الموقف يعكس آراء رئيس الجمهورية ايضاً . ويبدو بأننا مع الاسف لن نتمكن من الوصول اليهم وهم في داخل العراق ولن يبقى امامنا سوى مجالين للعمل ، الاول ، هو العثور على السيد بيتر دارتنغتون لمعرفة دخله بالموضوع ، لعله لو كان متورطاً فيه ، يتمكن من اقناع هذه الجماعة بالخروج من العراق تلقائياً ، والثاني هو العثور على الطائرة ، ومحاولة الاتصال بالجماعة من خلال الاتصال بالطيار واقناعهم بالعودة الى السعودية فوراً وسؤالي هو : ما هو امل عثورنا على الطائرة؟»

فاجابه «الدب» الامل ضعيف جداً ياسيدي ، إلا في حالة اقلاعها فيتم اكتشافها فوراً

من قبل طائرات الاواكس . المشكلة في بقائها على الارض هي اننا لا نعرف كيف نبدأ بالبحث عنها ، نتمكن من العثور عليها بهذه الحالة لو قمنا باستخدام اقمار E-8) JSTARS) الا انها في مدار اخر الان ويجب ان تبقى كذلك من اجل مراقبة المخزن الذي يختبئ فيه الفريق والحقيقة فان العثور على الطائرة عند اقلاعها قد لايؤدي الى نتيجة لانهم يكونوا قد قاموا بانجاز مهمتهم وأنهم سوف يحتاجون اليها بعد انتهاء المهمة من اجل تسهيل عملية هروبهم من العراق ، وتخميني بأن الطائرة سوف لن تتحرك لحين اجتياح الفريق اليها في رحلة العودة» .

وقال روبرت غيتس رئيس وكالة الاستخبارات المركزية CIA «نحن في الـ CIA نتفق مع هذا التحليل» ثم قال سكاوكروفت «لقد قمنا بتحليل الموقف والنظر الى كافة الادلة ، ويبدو بأن الـ CIA وNRO ووزارة الخارجية متفقين على امر واحد على الاقل وهو بأن هناك سبباً واحداً لوجود مثل هذه الجماعة المدربة والمحترفة داخل العراق ، هل لديكم أية استفسارات فنية؟» . خيم الصمت على الجلسة ، وقام سورنن يحاول مغادرة الغرفة ، إلاّ أن سكاوكروفت أشار اليه بالجلوس «قد نحتاجك في نقاشنا القادم» ، عاد سورنن الى الجلوس في مقعده ، بينما استمر سكاوكروفت «والآن أيها السادة لندخل الى صلب الموضوع» .

«أيها السادة . . لاشك لدينا الآن من أن هذا الفريق المدرب والذي يملك خبرات وموارد فائقة ، له هدف واحد داخل العراق وهو اغتيال صدام حسين» .

بدا الاستغراب والدهشة على وجه لونغماير ، في الوقت الذي تمتم الجنرال بيرنسايد ، نائب رئيس الاركان ، «لقد حان الوقت أن تطلع جهة ما بهذه المهمة!» .

التفت سكاوكروفت الى الجنرال بيرنسايد وقال :

- «هذه القضية ليست موضوع البحث في الوقت الحاضر» .

كان الجنرال بيرنسايد يمثل وزارة الدفاع في هذا الاجتماع .

- «أقترح أن نترك لهذا الفريق انجاز مهمتهم . . فقد كان الأحرى بنا . . ان ننجز العملية بانفسنا في العام الماضي!» .

- «لو سمحت لي يا سيادة الرئيس» أعترض جون كيلي «هنالك مسائل تتعلق بسياسة الولايات المتحدة الخارجية والتي قد تكون غائبة عن الجنرال بيرنسايد» .

- «كف عن هذا الهراء» تدخل الجنرال بيرنسايد «أنظر أين وصلنا نتيجة لسياستك الخارجية؟ صرفنا ستين مليار دولار في حرب الخليج لنتخلص من الوغد صدام . . لنفاجئ بالضعفاء في وزارة الخارجية يوقفوننا في آخر لحظة . . ثم تتجرأ وزارة المالية أن تخفض ميزانية وزارة الدفاع . . انها مهزلة حقاً!» . نهض لونغماير ، وكيل وزارة المالية على قدميه وصاح «يا سيادة الرئيس أرجو ان تنبه الجنرال بيرنسايد أن يحترم الحاضرين في هذا الاجتماع» . حاول سكاوكروفت أن يهدأ الاجتماع وقال : «أيها السادة . . ان رئيس الجمهورية على اتفاق تام مع ما تراه وزارة الخارجية بهذا الصدد» .

تدخل كون كيلي وبدأ يشرح التركيبة السكانية للعراق والمخاوف من أن ينقسم الى ثلاث دويلات في الجنوب والشمال والوسط ، ثم عرج على دول الجوار وشرح مشاكل كل منها الداخلية وخاصة ايران وتركيا وتأثير كل منها على المستقبل السياسي في العراق . . ثم قال «تذكرون كم كانت الحرب العراقية - الايرانية ملائمة بالنسبة لنا . . فهاتين الدولتين تختزلان بعضهما وبقاء كل منهما على ضعفهما الحالي هو في صالحنا!» .

وتوقف قليلاً ليرى ردود فعل الاجتماع على ما قاله ، ثم واصل الحديث «هل يقبل أي منكم أن تبقى ايران الدولة المتسلطة في المنطقة دون أن تكون هنالك دولة بنفس القوة في مواجهتها . . اذن . . يهمنا ان تبقى الدولة العراقية قوية . . ولسوء الحظ . . فان هنالك في رأينا رجل واحد فقط يستطيع حكم العراق وهو صدام حسين . . واذا اختفى صدام . . انتهى العراق» . توقف كيلي مرة اخرى ليستجمع أفكاره وقال : «اذن فهذه المحاولة على حياة صدام حسين يجب أن تمنع بأية وسيلة كانت!» .

- «نستطيع أن نحذر صدام» تدخل لونغماير «ولم لا؟ نستطيع ان نتصل بالانباري سفير العراق لدى الامم المتحدة ونخبره بالموضوع» .

تدخل روبرت غيتس رئيس وكالة الاستخبارات المركزية CIA وقال «لسوء الحظ فالامر ليس بهذه البساطة فلن يصدق الانباري هذه الاخبار حتى وان وصلت اليه عن طريق جهة محايدة ، ولسوء الحظ ايضاً فليست هنالك جهات محايدة نستطيع نحن الاعتماد عليها لاقناع العراقيين بأن هذا الخبر صحيح . . دون أن نعلمهم مصدر هذه الاخبار ، وهناك نقطة أخرى . . فما زلنا في حرب مع العراق وتقديم أية معلومات أو

الاتصال بالعدو سوف يسبب لنا مشاكل سياسية مع حلفائنا .

- «لا أعتقد فكرة انذار العراقيين مقبولة في الوقت الحاضر» قال سكاوكروفت «هل لديكم مقترحات اخرى؟» .

- «كل ما نأمله الآن . . أن تفشل المحاولة ويلقى القبض على المرتكبين أو يقتلوا في العراق» قال مدير مكتب التحريات الفيدرالية (FBI) ، ثم استمر «أنا في الحقيقية مستغرب للنجاحات التي حصل عليها هذا الفريق ، آخذين بعين الاعتبار طبيعة الاشخاص المساهمين في العملية! فالمحاولة هذه في نظري لا تتعدى كونها عمل يقوم به مجموعة من الهواة!» .

إلا أن سورنن وفاغا لم يقتنعوا بما سمعوه من مدير مكتب التحريات الفيدرالية لمعرفتهم المباشرة بمهارة الفريق والكفاءة العالية التي يتمتعون بها ، وأن أكتشاف خطتهم كانت بمحض الصدفة .

- «هنالك طريقة واحدة لايقاف هذا الفريق» التفت المجتمعون الى مصدر الصوت واذا به الجنرال بيرنسايد «أنا متأكد من إننا نستطيع القيام بالمهمة» .

- «أرجو منك أن تشرح ما تقصد ، جنرال بيرنسايد» قال سكاوكروفت بصوت هادئ .

- «إذا استطاعت دائرة الاستطلاع الوطنية تحديد موقع تواجدهم ، فاننا نستطيع القضاء عليهم ، حيث أن البارجة «يو . اس . اس . ميسوري» الآن في شمال الخليج ولدينا الاسلحة اللازمة لضربهم» . ولم ينتظر ردود فعلهم حيث أستمر قائلاً :

«إننا نستطيع ان نهلكهم خلال ساعة واحدة من الآن» . مرت فترة نصف دقيقة ، خيم الصمت على المجتمعين . نظر سكاوكروفت الى وجوه المجتمعين فلم يجد معارضاً للفكرة . امتدت يده الى التلفون الاحمر ورفع السماعة ببطء ، وتكلم باقتضاب وبصوت واطئ ثم ناول السماعة الى الجنرال بيرنسايد ، وبعد برهة لم ينطق الجنرال بأية كلمة خلال سماعه المتكلم على الطرف الآخر ، ثم قال :

- «نعم سيادة الرئيس . . سوف أعطي الاوامر على الفور» .

٥٣

– «لقد جاءك شخص من القنصلية يا پيتر ، انه يريد مقابلتك»

– «وماذا يريد؟» . أجاب السير بيتر وهو يرفع نظارته السوداء عن عينيه .

نهض السير پيتر دارتنغتون من الاريكة الشمسية التي كان مستلقياً عليها ونظر الى زوجته التي أجابته ؛

– «لم يذكر ذلك يا عزيزي . فهو ينتظرك في المكتبة»

ارتدى سير بيتر دارتنغتون قميصه وحذاءه وقال : اللعنة ، وكيف عَلِمَ بأني هنا؟»

– «لا بد انه سأل عنك من المؤسسة في لندن يا عزيزي . هل ستدعوه لتناول الغداء معنا؟»

– «لا» . قالها بانزعاج وهو في طريقه الى الڤيلا .

ذهب دارتنغتون الى المكتبة وهو منزعج ونهض الرجل لاستقباله قائلاً «السير پيتر دارتنغتون؟»

نظر اليه دارتنغتون ببرود وقال «نعم . كيف لي أن اساعدك؟»

– «اسمي سميث . الملازم سميث . ملحق في القنصلية البريطانية في ناساو . لقد طلب إليّ زملائي في لندن أن اتحرى بقضية امنية ونعتقد بأنك ستتمكن من مساعدتنا في ذلك» .

– «اية قضية امنية؟ هل يمكنك الانتظار لغاية عودتي الى لندن؟»

– «لا أعتقد ذلك يا سيدي» ثم فتح الملازم حقيبته واخرج منها رسالة واعطاها لدارتنغتون قائلاً «هل هذا هو توقيعك يا سيدي؟»

نظر دارتنغتون الى الرسالة وقال : «امهلني دقيقة . . ساحتاج الى نظاراتي ، فتح درج المكتبة وتناول منها نظاراته ، وضعها على عينيه وبدأ يقرأ ما في الرسالة . . كان سميث

يراقب ردود فعله عن كثب . نعم ، هذا هو توقيعي» ثم اكفهّر وجهه حينما قرأ الرسالة التي كان قد بعثها بورن الى هيوز في مكتب الرياض فصرخ « ما هذا؟ لم اقم بارسال مثل هذه الرسالة! هذا تزوير! من اين جاءت هذه الرسالة؟»

كان سميث مستمراً بمراقبة وجه دارتنغتون ويدرس انفعالاته ، هل كان يخفي شيئاً؟ أدرك دارتنغتون معنى الرسالة ، الا أن فزعه كان حقيقياً لانه لم يكن يتوقع أن يواجَهَ الامر بهذه السرعة . إلا أنه قرر أن يُواجه هذا الذي يسمي نفسه سميث . . فسأله «أرجو أن تشرح لي ماذا تعني هذه الامور . . فأنا أكاد لا أفهمها» أما سميث فلم يكن في الحقيقة ضابطاً في شرطة المباحث ، وإنما ضابطاً في المخابرات البريطانية . وكان قد أخذ توجيهاته من مدير العمليات في المخابرات البريطانية پول هلام عن كيفية التعامل مع سير پيتر دارتنغتون ومع ذلك لم يستطيع سميث التقاط اللحظة التي ارتبك فيها دارتنغتون عند رؤيته الرسالة . كان سميث يدرك أن السير پيتر لديه ورقة رابحة يخرجها في الوقت المناسب .

- «سير پيتر ، لقد أرسلت هذه الرسالة بالفاكس من مكتبك . يمكننا معرفة ذلك من خلال مقارنة شفرة الفاكس في هذه الرسالة مع الشفرة في رسائل اخرى كانت قد ارسلت قبل فترة» ، بادره سميث .

- «نعم ، نعم» قال دارتنغتون وهو ينظر الى سميث نظرة انزعاج واضحة .

قدم سميث رسالة أخرى وطلب منه أن يفحصها . . تمعن فيها دارتنغتون كانت رسالة فاكس أقدم من الاولى والتي سبق وان بعثها الى هيوز في مكتب الرياض . ثارت ثائرة دارتنغتون وصاح في سميث ؛

- «من أين حصلت على هذه الاوراق؟ أريد شرحاً وافياً» .

- «اذا تكرمت سير پيتر . . أرجو أن تقارن الرموز والارقام في أعلى الرسالة» .

- «إنها نفس الارقام والرموز . . التاريخ مختلف . . ولكن الامور الاخرى متطابقة في الرسالتين» .

- «وهو كذلك . . في الحقيقة أن كلا الرسالتين ارسلتا من نفس جهاز الفاكس . . كل جهاز له رموز خاصة في تسجيل وبث الرسائل فكلا الرسالتين ، ارسلتا من جهاز كانون Fax-220 . . هل تنكر انك قمت بارسال كلتا الرسالتين» .

- «طبعاً انكر ذلك . . أعني انني قمت بارسال الرسالة الاولى . . ولكن ليست الثانية» .

- «ولكنني أود أن أكرر ان كلتا الرسالتين ارسلتا من جهاز واحد» . أصر سميث وقطب دارتنغتون حاجبيه وكأنه يحاول أن يتذكر شيئاً . . ثم قارن الرسالتين مرة أخرى . . ثم قال «أمهلني دقيقة» وكأنه يتذكر شيئاً . . أسرع الى مكتبه وفتح الدرج ليخرج منها مفكرته . وبدأ يقلب أوراقها بسرعة . . وفجأة توقف وعلت الابتسامة وجهه وقال بنشوة المنتصر «سوف أشرح لك كل شيء» .

أخذ سميث على حين غرة . . ولم يكن يتوقع أن يأتي دارتنغتون بأية شروحات لما تورط به!

- «أرجو أن تشرح ما تقصد بذلك!» قال سميث .

- «في ليلة التاسع عشر من نوفمبر «تشرين الثاني» سطى على منزلي في مقاطعة كَنْتْ بعض المراهقين . . ومن بين الاشياء التي سرقوها ، جهاز الفاكس الذي تتكلم عنه . . وكما ترى فان تاريخ رسالة الفاكس المزورة هو الثاني من ديسمبر «كانون الاول» . لاشك ان الجهاز بيع الى أناس أشرار . أما رقم التلفون في أعلى الصفحة فلا يعني شيئاً . . حيث بالامكان إدخال ذلك على الجهاز إذا كان القصد هو التزوير» .

توقف دارتنغتون عن الكلام ، وتنفس بعمق ثم واصل الحديث «والآن أرجو ان تتكرم باشعاري عن سبب مجيك الى هنا . . وإذا كانت هنالك مشكلة حقيقية . . وفيما إذا كنتم بصدد اتخاذ اجراءات حولها» .

فوجئ سميث بكل هذا الكلام وسجل في مفكرته بعض التواريخ التي ذكرها دارتنغتون . . وكان يغلي من الغضب لان رؤساءه لم يعطوه مثل هذه التفاصيل ثم توجه بالكلام الى پيتر دارتنغتون وقال : «أرجو المعذرة . . أرى من واجبي أن أشرح لك الموضوع ، وسوف تفهم خطورته إذا علمت ان الجماعة الذين قاموا بارسال الفاكس المزور الى السعودية ينتمون الى منظمة ارهابية تهدف الى القيام باعمال التخريب والارهاب!» .

اعتدل دارتنغتون في جلسته ، وكانت علامات الاستغراب الظاهرة على وجهه هذه المرة حقيقية . وقد ارتكب سميث خطأ ، لم يكن سيرتكبه هلام ، لو كان في موقعه . لم

يسرد سميث كامل القصة الحقيقية واكتفى بالعموميات ، ولو سرد سميث الوقائع كما هي . . لكان وقعها النفسي على بيتر دارتنغتون مختلفاً تماماً .

- «فهمت الآن اهتمامك بالموضوع ، ارجو أن تعذرني لو كنت قد اظهرت بعض الحدة في كلامي معك . لم اكن اعلم بأن الموضوع بهذه الجدية . هل هناك ما يمكنني القيام به لمساعدتكم؟»

- «شكراً يا سيد بيتر . إلا اننا يجب أن نكون حذرين . اعتذر مرة ثانية عن ازعاجك»

خرج سميث من الفيلا وهو منزعج . لم يكن مرتاحاً من المقابلة اطلاقاً ، فقد تفاجأ بهذا التفسير لجهاز الفاكس ، وعلاوة على ذلك ، فقد أظهر دارتنغتون ثقة غريبة بنفسه ، ومع كل ذلك قرر أن يستمر بمراقبته . فقد كان البيت تحت رقابة الكترونية وكذلك جهاز الهاتف ، وقريباً سيتأكد سميث من مدى براءة السير بيتر دارتنغتون .

***

كانت البارجة تشق طريقها في المياه الهادئة لشمال الخليج ، تاركة وراءها بريقاً من الامواج ، متجهة الى الشمال بسرعة ثلاثين ميلاً بحرياً . ومن مركز القيادة ، شعر قطبان البارجة بشعور غريب ، بعد أن تلقى الاوامر الاخيرة قبل عشرة دقائق . قد يكون هذا آخر عمل عسكري قبل أن تعود أدراجها . . وتتقاعد عن المساهمة في الاسطول البحري الامريكي ، والى الأبد .

كانت ميسوري احدى اضخم اربع بارجات بنيت ابان الحرب العالمية الثانية وتقاعدت جميعها ، بدأ بالبارجة نيوجيرسي ثم أياوا وثم وسكونسن . . وبعد ثلاثة اسابيع سوف تتقاعد يو .إس .إس . ميسوري . سرح القبطان بافكاره «ترى هل تكون هذه الرحلة الاخيرة للميسوري؟ مستحيل» فهو لا يمكن أن يتصور ميسوري إلا عائمة في المحيطات . . «انها تحمل تاريخ خمس عقود أو أكثر!» وسرح القبطان بافكاره الى الماضي البعيد . بدأت ميسوري رحلتها في نهاية عام ١٩٤٣ وبداية عام ١٩٤٤ ، وقد حاربت اليابانيين ببسالة في المحيط الهادي . . كما جرت احتفالات انتصار الحلفاء في الشرق الاقصى واستسلام اليابان على ظهر البارجة ميسوري . وخلال الحرب الكورية ، أتخذت ميسوري مقراً لقيادة العمليات العسكرية في المحيط الهادي . لقد تقاعدت ميسوري أكثر من مرة في السابق . . ولكنها أعيدت الى الخدمة الفعلية وطورت بتطور التقنية الحربية

وباتت مجهزة بأحدث المعدات والاسلحة المسيرة الكترونياً .

تذكر القبطان بفخر عندما تعين قبل سنة ونصف السنة قائداً للبارجة ميسوري . ساهمت ميسوري ورفيقها وسكنسن في حرب الخليج عام ١٩٩١ ، وفي نظره فانهما أبلتا بلاءً حسناً .

تنبه القبطان بانه سرح بافكاره . . وان عليه أن يتهيأ لتنفيذ الاوامر الصادرة اليه . . اتصل بالضابط المسؤول عن طريق جهاز الاتصال الداخلي «أعطني تقرير متابعة» فاجاب قائد سلاح الصواريخ جيمس بويد : «دقيقتين وكل شيء جاهز . . سيدي» .

- «اتصل بي عندما يكمل كل شيء» .

ابتسم القبطان في ظلام غرفة القيادة وهو يعلم ان طاقم البارجة والبالغ عددهم الف وستمائة شخص كانوا متحمسين للحركات الفعلية وينتظرون مثل هذه الاوامر بفارغ الصبر .

وعاد بذهنه الى الاوامر التي استلمها من رئيس اركان القوات المسلحة . أوامر غريبة فعلاً ، ولكن . . لا شك انه هدف مهم . . وإلا . . لماذا تأمر القيادة بضربه باربعة صواريخ من نوع كروز . . وفجأة علا صوت قائد سلاح الصواريخ جيمس بويد : «جاهزون لاطلاق الصواريخ سيدي»

- «غرفة اللاسلكي . . هل هناك تأكيد على الاطلاق؟» .

- «نعم سيدي» .

- «ابدأو بالعد التنازلي للاطلاق» .

انطلقت صواريخ كروز والتي تزن بحدود طن ونصف ويبلغ طولها واحد وعشرون قدماً وقطرها عشرون إنجاً .

بدأت طيرانها في بادئ الامر بشكل مواز الى سطح البحر مخلفة وراءها خطوطاً بيضاء من السحاب . وبعد نصف ثانية من الاطلاق برزت بعض الزعانف الصغيرة على طول كل صاروخ لتساعدها في التوجيه ، كما برزت فتحة في نهاية الصاروخ لتسمح بدخول الهواء ، حيث انطلقت ماكنة اخرى (Williams F 107) ، لدعم طيران الصاروخ وفجأة دبت الحياة في الصاروخ . . انفصل محرك الدفع الاولى وسقط في البحر . وعلى ارتفاع خمسمائة قدم عدل الصاروخ توماهوك (BGM - 109C) مساره ،

واتجه نحو الافق الشمالي الغربي باتجاه الاراضي العراقية .

وهنا عاد صوت قائد سلاح الصواريخ جيمس بويد الى مكبر الصوت : «أطلقت الصواريخ في الساعة ٥٢ :١٨ ، مدة الطيران خمسة وخمسون دقيقة ، وقت الوصول التقريبي الساعة ٤٧ :١٩ بالتوقيت المحلي للعراق» .

استغرق اطلاق الصواريخ الاربعة ثلاثون ثانية فقط ، ووقف قبطان ميسوري يراقب الصواريخ وهي تختفي في ظلام الليل الدامس .

٥٤

دخل زيغلر الى المخزن فنظر اليه إد هاورد وقال له : «كيف تسير حركة المرور يا مايك؟»

- «الزحام شديد بدرجة انني لم ار مثله من قبل . لا بد أن تكون هناك فرقة كاملة تتحرك الآن . وكيف امور زوارنا؟»

- «انهم خائفون . ما زال جوني يكلمهم» ثم اشار هاورد بيده الى المجموعة الصغيرة في الطرف الآخر من المخزن .

لقد كان الرجل الكهل بحالة من الرعب ، ومتأكد بأن نهايته قد اقتربت ، اذ لم يكن يتوقع أية رحمة من الامريكان ، لكثرة ما سمع بقسوتهم من أجهزة الاعلام العراقية . إلا انه كان حزيناً لمصير ولديه ، اللذين ينتظرهما نفس المصير ، واحفاده سيتيتمون ، فهم عائلة فقيرة وكان حصولهم على وظيفة الحراسة هذه بمثابة المعجزة . اما الان فقد انتهى امرهم ، اذ سيقتلهم بكل تأكيد هذا الرجل الامريكي الذي يتكلم العربية .

وقال له بورن «أيها العجوز . . سنغادر هذا المكان خلال ساعة واحدة»

- «سيدي . انا رجل عجوز . اني لست مهماً . ولكن ولداي . . انهما شابان ، انهما ولدان صالحان ويحترمان والدهم . ولهما زوجات واطفال ، اما انا فأمري ليس بالاهمية فقد انتهت ايامي ، هذه مشيئة الله . لو كنت سترحم ولديّ فسيرحمك الله»

اجابه بورن بصوت فيه بعض الخشونة والقسوة «لست على خلاف شخصي معك أيها العجوز»

- «اعرف ذلك يا سيدي . فقد كانت معاملتك لنا جيدة . إلا انك ستقتلنا وهذا امر متوقع . اريد منك فقط أن ترحم ولديّ» .

جلس داني ماكدونالد على مقربة منهم يستمع لحديثهم ، وهو وإن لم يفهم معظم الكلام ، فقد فهم الموقف من نظرته للوجوه . وكان داني يشعر بالشفقة على هذا الرجل

الكهل الذي يبدو بانه قد فقد امله بالحياة في لحظة أسرِه . رأى داني في تلك اللحظة ، الرعب لظاهر على وجهه النحيل ، وثيابه الرثة وشعره الابيض وجسده النحيف . كل ذلك يضيف الى مظهره ضعفاً .

إلا انه على الرغم من ذلك لمس داني الوقار في وجهه الكهل وهو يواجه الموت ، وشعر بالاشمئزاز ، اذ كان يعرف بأن الموت مصير هؤلاء الابرياء ، ولم يتمكن من البقاء في محله . فنهض وذهب ليكلم هاورد وقال له : «هل لي أن اسألك سؤلاً يا إد»

– «تفضل»

-هل هناك ضرورة فعلية لاغتيال هذا الرجل الكهل وولديه؟»

– «ماذا تعني يا داني؟»

– «لست غبياً يا إد . فأني اعرف ما قام به جوني بذلك الوغد على العبّارة . ستفعلون الامر نفسه هنا أليس كذلك؟»

نظر اليه هاورد وقال : «اجلس يا داني . لقد كنت تعرف قوانين اللعبة عندما وافقت على الانضمام الى المجموعة . لا يمكن أن نجازف وينكشف امرنا ، نعم ، كان جوني قد اضطر لقتل الجندي وعليه أن يقتل هؤلاء الثلاثة ايضاً . إلا اني سأقول لك الآن بأننا لن نقتلهم»

– «ماذا؟ ولكن لماذا يقوم جوني باستجوابهم بهذه القسوة اذن؟»

أجابه هاورد : «ألم نكن قد ارتحنا اليوم يا داني؟»

«نعم ، لقد نمنا جميعاً . ولكن ما شأن ذلك . .؟»

قاطعه هاورد قائلاً : «الكل ما عدا جوني . فقد جاءني بعد أن القينا القبض على الولدين وقال لي بأنه يريد أن يجرب اسلوباً آخر . لقد كانت فكرته هو»

– «لماذا تعتقد ذلك»

– «لقد كانت فكرة جوني بأن لا نقتلهم ، ورأيه أنه اتيحت له فرصة تكوين علاقة مبنية على الاحترام معهم ، فربما زالت كراهيتهم لنا . فلو زاد خوفهم واحتقارهم لنا الى حد كبير فربما شعروا بالامتنان حينما نخبرهم بأنا قد قررنا أن نفرج عنهم . فهي خدعة سايكولوجية معروفة . ولذلك لم ينم جوني . إلا أن هناك عاملاً آخر سيضمن سكوتهم»

– «هل يهددهم جوني بأن نعود لقتلهم لو اخبروا عنا؟»

فأجاب هاورد : «نعم . ولكنه لن يقولها بهذا الشكل فعلاقته معهم ستكون مبنية على الاحترام المتبادل . اما اسلوبنا الاخر فهو بأننا سوف نعطيهم كمية كبيرة من النقود ، كتعويض على الاساءة له ولولديه» ثم ابتسم هاورد واستمر بقوله : «وسيصعب عليهم عند ذلك اخبار السلطات عن وجودنا هنا . فسيعرضون الى تحقيق من قبل اجهزة الامن وقد يتعرضون الى التعذيب . ولو كشف بأنهم قد استلموا مبلغاً من العملة الصعبة ، فسيؤدي ذلك الى مقتلهم» .

فأجابه ماكدونالد : «لقد فهمت»

فسأله هاورد : «أرضيت الآن؟ حسناً فلنتهيأ . اريد أن نخرج من هنا عند الساعة السابعة ، ولكن لو بقي الطريق مزدحماً لغاية الساعة الثامنة سنرحل عبر الحقول المجاورة» .

وقال زيغلر : «لا يعجبني ذلك»

فسأله داني : «ولم لا؟ أليس ذلك اسلم من الطريق العام؟»

فقال هاورد «لا بالعكس ، فسنجلب الانتباه لانفسنا ولن نتمكن من اللجوء الى المخادعة مثلما فعلنا البارحة . على كل حال فسنغادر قبل الساعة الثامنة . والآن لنأكل بعض الشيء» .

ذهب ماكدونالد ليساعد أكفورد باعداد الطعام فهمس زيغلر لهاورد :

«هل تعتقد بأنه بدأ ينهار»

فقال هاورد وهو يشعل سيجارة «لا اعلم . لا أعتقد ذلك . لكنه تأثر عندما قتلنا الجندي ليلة البارحة . يجب أن نحذر من امره بعض الشيء . ولذلك اخبرته بأن جوني يريد الافراج عن هؤلاء لطيبة قلبه ولم أخبره عن السبب الحقيقي . فغياب ثلاثة حراس في آن واحد سينذر السلطات بأن شيئاً ما قد حصل!» .

***

وصلت الصواريخ الاربعة الى الشاطئ خلال تسعين ثانية . كان اثنان منهم يتجهان نحو الشرق والاثنان الأخران يتجهان قليلاً الى الغرب . واتجه الثنائي الشرقي الى مصب شط العرب وانخفضا الى ارتفاع مئة قدم وقامت اجهزة الكمبيوتر والرصد بتسيير الصواريخ . واستمرت صعوداً بمحاذاة شط العرب الى البصرة وشاهدتها بعض القوات

العراقية المرابطة في المنطقة ورموها بنيران مبعثرة ، إلا انهم لم يصيبوا الصواريخ التي كانت تطير بسرعة خمسمئة وخمسين ميلاً في الساعة .

اما الثنائي الآخر فقد عبر جزيرة بوبيان واستمر الى أن وصل الى قناة شط البصرة وعبر البصرة ايضاً مروراً فوق المطار المدني حيث فتحت عليها النيران المتفرقة ثم وصل الى هور الحمار واتجه غرباً نحو مدينة الناصرية .

٥٥

- «توني؟ پيتر يكلمك : هل تخبرني ماذا يجري؟»

فرح توني هيوز لسماعه صوت دارتنغتون وقال «پيترا كم اسعدتني بمكالمتك هذه . اين انت؟»

- «اقضي اجازتي في جزر الباهاما . لقد اتصل بي رجل من الشرطة واخبرني بكل شيء بما فيه توقيعي المزور . فمن هم هؤلاء الناس؟»

اخبره هيوز بما كان يعرفه عن القضية بما في ذلك مقابلته لرجلي مخابرات من السفارتين البريطانية والامريكية وقال «وهذا كل ما اعرفه . الكل هنا يبذلون جهدهم للقبض عليهم ، اعتذر عما حصل ، إلا أن اوراق المؤسسة المصحوبة بتوقيعك الشخصي أدت الى اقتناعي بأن كل شيء على ما يرام»

- «اسمع يا توني ، اريد منك أن تتعاون مع السفارة ومع الشرطة السعودية ايضاً»

- «لقد فعلت ذلك يا پيتر»

واستمر دارتنغتون «لقد اغضبني هذا الموضوع جداً . اما انت فلن تلام على شيء . إلا انهم قد قطعوا اجازتي وقاموا بتشويه اسم المؤسسة . اريد أن يلقى القبض عليهم واريدكم أن تساعدوهم قدر المستطاع . هل فهمت . يبدو انهم مجموعة من الارهابيين»

- «لقد تصورتهم هكذا ولو لم يخبرني احد بذلك»

- «اتصل بي مباشرة هنا لو سمعت شيئاً ما» ثم اعطاه رقمه في الباهاما وانهى مكالمته . ودخلت زوجته بعد لحظات الى المكتبة وقالت : «ماذا هناك يا عزيزي؟»

فأجابها وهو ممتعض «يبدو بأن هناك عصابة تستعمل اسم داركون في السعودية ولن اسمح لهم بذلك»

وانتبهت زوجته الى علامات الغضب ترتسم على وجهه . اما هو فقد كان سعيداً جداً

لنجاحه بإقناع الجميع ببراءته لحد الآن .

وكان سميث قد سمع هذه المكالمة من مقره على بعد عدة اميال من منزل دارتنغتون وقد بدأ يقتنع ببراءة السير پيتر ، الا انه كان سيواصل عملية الرصد على الرغم من ذلك .

***

نظر هاورد الى بورن الذي كان جالساً مع السجناء الثلاثة وقال له : «هيا يا جوني . لقد جهز الطعام»

والتفت بورن قائلاً : «سأكون معكم خلال خمس دقائق يا اد . سأقوم الان بشرح الامور لهم» وبعد ثوان قليلة ارتفعت صيحات الفرح منهم ونظر اليهم ماكدونالد ليراهم مبتسمين وقد انشرحت وجوههم . قام بورن بفك القيود من ايديهم فوقفوا لاول مرة وقاموا بمصافحة يده بحرارة ثم هرعوا الى الاخرين والحوا على مصافحة يد كل منهم . نظر ماكدونالد الى الرجل الكهل وشاهده يمسك بيد بورن ليعبر عن امتنانه وتفهمه للموقف . ونظر الى وجهه وبدت عليه علامات الهدوء والطمأنينة . فكان على الرغم من هندامه الممزق ، صورة من الوقار وكبر النفس .

بدأ هاورد يأكل بسرعة . فقد كانت الساعة السابعة وخمس وعشرون دقيقة وقال «ابقوا صحناً لبوب . سأذهب الان لتفقد اموره والاطلاع على حالة الزحام في الشارع . اعدوا العدة للرحيل» .

***

كانت الصورايخ قد التقت في نقطة على مسافة سبعين ميلاً من الهدف . كانت الساعة السابعة واحدى واربعون دقيقة وكانت ستصل الى الهدف سوية بعد ثماني دقائق بالضبط .

***

قام هاورد بفتح باب المخزن وقال : «ان القافلة العسكرية قد رحلت قبل حوالي عشر دقائق . فلنرحل»

وقام هاورد وأكفورد باخراج السيارات من المخزن وسط ظلام دامس وقد استعملوا عدسات الرؤية الليلية بالاضافة الى الأضاءة تحت الحمراء . وقام بورن بمساعدة الحراس

الثلاث بغلق الباب ثم قام بتوديعهم ، وركب السيارة الاولى بعد أن كان هاورد قد ترك له مقعد القيادة خالياً . ثم التفت اليه هاورد وقال :

«هل انت مقتدر على القيادة يا جوني؟»

«اني بخير»

«هيا بنا»

***

كانت الصواريخ ستصل الهدف بعد دقيقتين ، وجهاز الكمبيوتر في كل منها ينظر الى صور الكترونية للمحيط الجغرافي ليقوم بمقارنتها بالصور الموجودة في برنامجه . فقد وصلت الى نهاية المطاف ، وتعرفت ، الواحدة تلو الاخرى ، على هدفها ، واتجهت صوبه .

***

انتظر الرجل الكهل خروج السيارتين ، ثم غلق الباب الرئيسية . كان قد بعث ولديه لبيوتهم وبقي هو كعادته يحرس ليلاً . وحمد الله على نجاته من خطر الموت . فلم يكن الامريكان بالقسوة التي سمعها عنهم! ، بل على العكس من ذلك ، فقد اعطوه كمية كبيرة جداً من النقود واظهروا له احتراماً كبيراً ايضاً . فقد اصبح الآن رجلاً ثرياً وكان مستقبله ومستقبل اولاده يبدو زاهياً . إلا انه قرر أن يحذر مظاهر الثراء المفاجئ ، ومن ناحية اخرى وَجَبَ عليه أن يحترس عن اكتشاف الامر ، فقد يؤدي به ذلك الى الهاوية . قرر أن يخفي النقود وراء حجرة كبيرة خارج المخزن الا انه داخل السور فلن يعثر احد عليه عن طريق الصدفة . فذهب الى المكان واخذ يحفر حفرة في الارض . وكان لهذا العمل الاثر في انقاذ حياته . ففجأة حصل انفجار كبير وتحول الليل نهاراً ووقع الى الارض جريحاً على اثر ضربة في رأسه من قطعة صغيرة من الحجر المتطاير . وبعد خمس دقائق عثر عليه ولداه اللذان هرعا نحوه بعد أن سمعا صوت الانفجار . فتح عينيه ، فأخذته الدهشة للدمار الكامل الذي شاهده ، لقد اختفى المخزن تماماً .

«يا الهي! هل رأيت ذلك؟» توقف بورن فوراً ونزل الفريق ليستكشفوا الامر . كان المخزن على مسافة ميل منهم وكان قد تبخر ولم يبق له اثر على الاطلاق . صاح بورن بدهشة :

«ما الذي حصل؟»

فأجابه زيغلر «لقد سمعت اصوات ثلاثة او اربعة انفجارات متتالية»
وقال هاورد «وانا كذلك . فلنرحل من هنا فوراً»
وأسرعوا بالرحيل بسيارتهم . وبعد فترة من الصمت قال بورن «لا بد انها كانت ضربة جوية»
وقال هاورد «أعتقد ذلك فقد كان الانفجار أكبر من أن يكون نتيجة قصف الدبابات . إلا اني لم اسمع صوت الطائرات . فهل سمعته انت؟»
- «تخيلت وكأنني قد سمعت شيئاً ما ولكنني لست متأكداً . ربما كان صوت محرك السيارة يطغي عليه . لا بد انها كانت قنابل . ما رأيك؟»
وقال هاورد «لا اعرف . فهي في جميع الاحوال لا تبشر بالخير . إني متأكد بأنها لم تكن صدفة» وقال بورن «لا بد انها كانت صدفة ، فلو كانوا يلاحقونا لبعثوا طائرات مروحية أو قاموا بقطع هذا الطريق . وربما فعلوا ذلك . هل تعتقد بأنه يجدر بنا مغادرته»
- «لا ، لم يتغير شيء . فسنجلب الانتباه لو خرجنا عن الطريق»
- «وماذا عن القافلة العسكرية الى المقدمة منا»
- «لو كانوا قد سمعوا الانفجار ولربما تصوروه تمريناً ولن يتوقفوا»
- «آمل أن تكون صائباً»
وقال هاورد «لو كنت مخطئاً فقد انتهى امرنا . ولكننا سنتمكن ، مع ذلك ، من الاستفادة من وجود هذه القافلة . فلنلحق بها في مؤخرتها ونخترق نقاط التفتيش كجزء منها»
زادت السيارتين من سرعتهما ، وبعد خمس عشرة دقيقة كانوا قد لحقوا بالقافلة وهي تتحرك ببطء . التحقوا بالقافلة دون أن ينتبه اليهم احد ، الا أن هاورد كانت تساوره الشكوك حول الضربة الجوية ، فربما لم تكن صدفة .

٥٦

كانت اقمار الـ JSTARS قد صورت القافلة العسكرية الطويلة وكان كيرْون قلق بعض الشيء على مصير السيارتين .

فلو كانتا قد اندمجتا بهذه القافلة لتعذر عليه اقتفاء اثرها ، إلا انه اقنع نفسه بأن هاورد سيعمل على تحاشي القافلة قدر المستطاع وبأنهم سينتظرون مرورها قبل إكمال سيرهم .

ورجع سورنِن من اجتماع مجلس الامن القومي بحدود الساعة الثانية عشرة والنصف وهرع لمكتب كيرْون مخاطباً له : «هل انت متأكد بأن السيارتين ما زالتا بالمخزن يا جون؟»

– «اني متأكد من ذلك يا والتر»

– «حسناً . اريدك أن تراقبهما عن كثب الان ثم اريد صورة واضحة للمخزن عند الساعة الثامنة مساءً بتوقيت العراق اي الساعة الثانية بعد الظهر بتوقيتنا هل فهمت؟»

– «بكل تأكيد» وبدأ كيرْون باصدار امره لجهازه وبترتيب الموضوع فيما يتعلق بالقمر الصناعي (الستلايت) . وكان عليه أن «يأمر» الستلايت بتغيير مداره من اجل تحقيق ذلك . ثم نظر الى الدب الذي كان واقفاً بجانبه وسأله»

وكيف كان الاجتماع يا والتر؟»

=– «لا تسألني ياجون» وهز رأسه بانزعاج وقال «يا لهم من اوغاد!» ثم ذهب لمكتبه .

وعند الساعة الثانية عشر واثنان واربعون دقيقة كشفت صور الـ JSTARS بأن هناك حركة ما في المخزن ، وفي لحظة سماعه بالنبأ ، قفز الدب من مكتبه وهرع لمكتب كيرْون وقال :

– «هل انك متأكد من ذلك؟»

– «نعم . انظر بنفسك . سيارتان . وقد وقفتا عند المدخل ، هنا .

وكان «الدب» يركز على الشاشة ويهمس لنفسه «ربما تمكنوا . ربما . .»

- «لا بل انني لمتأكد يا والتر ، ها هي السيارتان»

- «ليس هذا ما اعنيه . استمر بالمراقبة»

وبعد خمس دقائق تحركت السيارتان وقال «الدب» وهو يبتسم «يا لحسن حظهم! فقد نجوا!» وباللحظة الاخيرة!»

واندهش كيرْون لهذه الانفعالات فسأل

- «هل تخبرني ما بك يا والتر؟»

فأجابه الدب «لا شيء يا جون . استمر في تتبع السيارتين . والان لنلقِ نظرة اخرى على المخزن»

وبعد عشرين ثانية حصل تشويش في الصورة على الشاشة دامت لفترة طويلة نسبياً . وعند عودة الصورة ، كان المخزن قد اختفى»

وقال كيرْون بصوت مرتبك «لقد انفجر! لا اصدق ذلك! لقد انفجر!»

وقال الدب «لقد انفجر فعلاً . والان توقف من متابعة السيارتين» وعاد الى مكتبه وهو يبتسم .

***

عند الساعة الحادية عشر ، كانت طائرة سوليفان تستعد للاقلاع الى بانكوك ، أما هاريس وبالمر فكانا متجهين بالسيارة اللاند كروزر الى جدة .

أما هاورد فقد قرر أن يترك القافلة ويتجه الى اليمين بعد أن كان قد تأكد من موقعه بمراجعة جهاز GPS ، وذلك في منطقة قريبة من بحيرة الثرثار . «ها قد بدأنا الجزء الاخير من رحلتنا ، يبدو أن الطريق جيد ولو انه ليس معبداً ، الا اننا سنواجه مخاطر أكبر كلما اقتربنا من نهر دجلة»

لم يصادفهم احد في الطريق الا انهم كانوا بمرور الزمن يقتربون من مناطق مأهولة بالسكان . وعند الساعة الحادية عشر مساءً ضَمَنَ هاورد بأنهم اصبحوا على بعد عشرة اميال من هدفهم فامر بأن يأخذ الجميع حذرهم وان تقلل السيارتين سرعتهما . واخيراً بدت علامات التحضر في الافق حين شاهدوا اضاءة سيارات وشاحنات متجهة جنوباً نحو بغداد .

فهمس بورن قائلاً : «أعتقد بأن امامنا ثلاثة اميال فقط» .

فأخرج هاورد احدى خرائطه التفصيلية وقال: «نعم. فالمنطقة الصخرية تقع على بعد نصف ميل من هنا، الى اليسار».

وبعد ثلاث دقائق صاح «هنا!».

واستدار بورن بسيارته ببطء وتبعه زيغلر بالسيارة الثانية لفترة عشر دقائق، حيث شاهدوا بناية تبعد عنهم بمسافة اربعمائة ياردة. نزل هاورد وتبعه زيغلر وسار نحوها، وبعد عشرين دقيقة عادوا سوية فقال هاورد «انها تلائمنا تماماً ولا داعي لأن نبحث في محل بين الصخور. فهي محاطة بالجدران ولا سقف لها ولا توجد أية علامات تشير بانها كانت قد استعملت مؤخراً».

***

«لقد توقفوا بكل تأكيد يا والتر»، وأشار كيرْون الى النقطة على الخارطة. ثم تحركوا مرة ثانية ولكن لمسافة بضعة مئات من الياردات فقط. ولم يتحركوا منذ ثلاثين دقيقة. ومن المؤكد أن يكونوا قد توقفوا عمداً، فهم يسيرون ببطء شديد منذ أكثر من ساعة وقد وضعوا السيارتين خلف حاجز ما. والساعة الآن بعد منتصف الليل عندهم».

فكر الدب قليلاً وقال: انهم يبعدون ميلاً عن الطريق الرئيسي المؤدي الى الشمال. لعلهم قرروا الذهاب الى بغداد غداً. حسناً واية بلدة تكون هذه على الجانب الاخر من الطريق؟»

ولم يظهر الاسم على الشاشة فنظر كيرْون الى الخارطة وقال: «تدعى تكريت. هل يعني ذلك شيئاً ما ؟»

- «لا اعلم. سأخبر رئيس القسم لعله يعرف هو. اما انت فاستمر بالمراقبة»

***

تكلم هاورد بصوت خافت وقال «هيا، سنرحل الان. اما انت يا جوني فإمسح أي أثر للعجلات وبأسرع ما يمكن. حاول أن تنام بعض الوقت حيث يبدو عليك أنك منهك».

«سأنام عند الصباح يا إد. الى اللقاء بعد ست وثلاثين ساعة وابلغوا هذا الوغد تحية خاصة مني»

وابتسم هاورد قائلاً «سنفعل ذلك»

ثم قام هاورد وزيغلر وماكدونالد بحمل حقائبهم الكبيرة على ظهورهم. وكانت كل

حقيبة تزن اكثر من مئة رطل وكاد ماكدونالد يقع على الارض من اثر الحمل الثقيل هذا ، الا انهم رحلوا واكتافهم منحنية الى الامام ، باتجاه الطريق العام . نظر اليهم بورن ثم التفت الى أكفورد وأوشر قائلاً : «هيا بنا يا شباب . فأمامنا عمل شاق . ولنبدأ بتنظيف السيارات» .

***

نظر رئيس القسم الى الدب وقال بحماس :

- «هل قلت تكريت؟»

- «نعم يا سيدي . لقد توقفوا على مسافة خمسة اميال منها ، وقد اختفوا خلف حاجز ما»

فكر رئيس القسم لفترة ثم قال :

- «أعتقد بأني اعرف ما يريدونه يا والتر ، وأعتقد بأنكم ستتمكنون من الارتياح قليلاً الان فلن تتحرك هاتان السيارتان لفترة يومين من الان . اريد بعض الصور للموقف الكلي ، فهناك اجتماع طارىء آخر لمجلس الامن القومي خلال ساعة من الان وسيريدون مني تقريراً مفصلاً عن الاحداث» .

- «هل تريد صور الـ JSTARS ايضاً يا سيدي؟»

- «لا فأن صور KH ستكفي . هل يمكنك إنجاز ذلك خلال نصف ساعة؟»

- «سافعل ذلك يا سيدي» ونهض الدب ليعد الصور ثم توقف برهة وسأل عن موضوع كان يقلقه بعض الشيء : «ارجو ألا تعترض على سؤالي يا سيدي ، فهل سيقومون بضربة صواريخ اخرى؟»

نظر رئيس القسم الى الدب وقال بهدوء : «ارجو الا تكون قد تعاطفت مع هؤلاء الرجال يا والتر»

وكان سورنِن يشعر بالحرج حين اجابه : «اعتذر عن ذلك يا سيدي ، الا انه يبدو لي بأن العمل هذا ليس صحيحاً . وكان هذا الشاب ينظر الي بنظرات غريبة عندما شاهد ما حصل» .

فكلمه رئيس القسم بخشونة وقال :

- «لم يكن قرارك انت يا والتر . ولا يحق لك ولا لاعضاء القسم الاخرين من التعليق

عليه . هل فهمت؟»

ثم استمر بحديثه بنوع من الهدوء وقال : - «ولكنني لا أعتقد بأن هناك ضربة اخرى . فقد وصل هؤلاء الناس الى هدفهم ، ولن تخدم الضربة مصالحنا في الوقت الحاضر . لا استطيع أن اقول أكثر من ذلك»

اعتذر الدب من رئيسه وغادر المكتب . وعند خروجه من الباب ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجهه .

***

كان أوشر وأكفورد منهمكين بتنظيف السيارتين . وقد بذلا مجهوداً جسدياً كبيراً إلا انهما لم يتمكنا من إزالة الطبقة الزيتية دون استعمالهما لمواد كيمياوية خاصة بالتنظيف . ثم قاما بتفريغها من كافة المعدات الطبية ما عدا صندوقاً صغيراً للاسعاف الاولي ثم قاما بابدال كافة المصابيح الضوئية التي كانت قد كسرت عمداً لغرض التمويه ثم ابدلا عدداً من القطع المكسورة بالقطع الاحتياطية التي كانوا قد اخذوها من السيارة المهشمة في بدانه ، وابدلا أرقام السيارة .

«لن نضع الأعلام الان بل سننتظر لغاية قدوم موعد رحيلنا . فقد يشاهدها احد من طائرة مروحية . ولنلصق القطع الجديدة على الجوانب وعلى السقف» . ثم نظر الى ساعته وقال «الساعة الان الرابعة صباحاً لقد احسنا عملاً . يا ترى كيف تسير أمور الاخرين؟»

فأجابه أكفورد : «لا بد انهم بخير ، هيا لنشرب الشاي» .

٥٧

كان هاورد قلقاً حول مسألة عبورهم الطريق العام ، فوقفوا الى جانب الطريق ينتظرون خلوّه من السيارات لفترة تسمح لهم بالعبور دون أن يراهم احد . وجاءت فرصتهم بعد برهة من الزمن فنهضوا من خلف الشجيرات التي كانوا يستترون وراءها ومشوا بسرعة الى الجانب الاخر . اتجهوا جنوباً وهم يرتدون عدسات الرؤية الليلية وتوغلوا بين المزارع والحقول لفترة ساعة او اكثر . وعند الساعة الثالثة صباحاً وصلوا الى مرتفع بسيط الى جنوبي البلدة وشاهدوا تكريت ممتدة امامهم ، وخلفها شعاع الاضاءة للمطار العسكري الذي كان يبعد عنهم بحوالي عشرة اميال . وكان نهر دجلة يجري الى اليمين منهم ومن ورائه مطار تكريت الشرقي . اما اقرب المباني اليهم فكان على مسافة نصف ميل .

كان هاورد ينظر الى جهاز GPS باستمرار الى أن شاهد فسحة متروكة داخل حدود البلدة ، كثرت فيها الاعشاب ، وأحاطتها المباني من ثلاثة جوانب اما في الجانب الاخر فكانت هناك منصة ضخمة ركبت عليها العديد من الانوار الكاشفة .

توقف هاورد وتأكد مرة اخرى من موقعه ثم قال : «حسناً لقد وصلنا الموقع ، الآن اريد أن تقيس لي المسافة التي بيننا وبين المنصة يا مايك»

وقاموا بإنزال الحقائب من على اكتافهم ثم قام ماكدونالد بنصب اجهزة القياس . وبعد فترة قصيرة قال :

«ألف ومئتين وتسعين ياردة»

فقال هاورد «هذا أمر جيد ، سيكون هذا هو موقعنا الرئيسي . اريدكم الان أن تفتشوا عن احسن موقع الى الامام منا بمسافة عشرين ياردة ، اما انا فسأفتش عن موقع ثالث على مسافة مئة وخمسين ياردة الى الوراء»

قام زيغلر على الفور بالبحث في المنطقة الواقعة امامهم بدقة وقد انبطح على الارض مراراً

ليختبر خط الرؤية من زوايا عديدة . واخيراً وجد نقطة ملائمة ونادى لماكدونالد ليتقدم ويختبر مجال الرؤية بنفسة . فجاء ماكدونالد ورضي عن الموقع فاخرجوا معدات الحفر وبدأوا بحفر خندق كبير .

٥٨

نظر برنت سكاوكروفت الى المجتمعين وقال :

- «اذن ، لم يكتشف البريطانيون ادلة تربط دارتنغتون هذا بالعملية؟»

فأجابه روبرت غيتس رئيس الـ CIA :

- «يبدو هكذا يا سيادة الرئيس ، فقد قامت الشرطة السرية البريطانية باستجوابه في محل قضاء اجازته في جزر الباهاما ولدي كل تفاصيل المقابلة . يكفينا القول بأن لديه تفسيراً مقنعاً للادلة الدامغة ضده ، وهو علاوة على ذلك ، كان في الباهاما قبل فترة بداية العملية . وتظهر سجلات شركة الهاتف هناك بأنه لم يجر او يتلقى أية مكالمة خارجية لغاية اليوم ، فقد رصدت أجهزة المخابرات مكالمة كان قد اجراها دارتنغتون مع رئيس فرع مؤسسة في السعودية وكان الغضب ظاهراً على صوته . وهناك اجهزة انصات في الفيلا التي يمكث بها وتشير الى انه بحالة عصبية متوترة ، وهناك تسجيل لزوجته وهي تخبر احدى صديقاتها ، بأن الحادث قد اغضبه الى الحد الذي كان يفكر بالعودة الى بريطانيا فوراً . لقد استمعت الى هذه التسجيلات بنفسي ، واستطيع القول بأن دارتنغتون يبدو عليه بأنه بريء ، الا اننا لم نكن ، نحن الـ CIA ، مقتنعين تماماً ، وسيقوم البريطانيون بالاستمرار في المراقبة» .

ثم التفت سكاوكروفت الى رئيس دائرة الاستطلاع الوطنية وقال «وهل لدائرتكم أية أخبار عن هؤلاء الرجال؟»

وضع مارتن فاغا ، خارطة تكريت على الطاولة وشرح للحضور آخر التطورات واختتم كلامه بقوله «وقد توقفت السيارتان عند هذه النقطة منذ ساعتين ونصف ، وأعتقد بأنها ستبقى هناك لفترة ست وثلاثين ساعة» .

فقال له سكاوكروفت «ولماذا؟»

«لان تكريت هي مسقط رأس صدام حسين ، وسيحل بعد يوم غد ، اي يوم ٢٨ نيسان (ابريل) ، عيد ميلاده ، ويحتمل أن يظهر هناك من اجل رفع معنويات اعوانه . وعلى أي حال يبدو بأن هؤلاء الرجال يعتقدون بأنه سيقوم بذلك» .

فدخل غيتس مرة اخرى في النقاش وقال :

– «اتفق مع هذا الرأي . فالاحتفالات بهذه المناسبة تقام سنوياً في العراق ونقلت وكالة الانباء العراقية بأنها ستقام كالمعتاد في هذا العام ايضاً . الا انهم لم يذكروا شيئاً عن حضور صدام لها ، اذ أن تحركاته تعتبر من اهم الاسرار الداخلية في العراق فلم يعلن عنها في اي وقت في السابق ولا بد بأن هؤلاء الرجال لديهم معلومات معينة ولا نعرف مصدرها» .

فقال سكاوكروفت : «وما اهمية ذلك . فلو كنا متأكدين من موقعهم الحالي ، ربما نتمكن من توجيه ضربة اخرى بالصواريخ» .

فأجابه دوغلاس لونغماير : «الا انها فشلت في المرة الماضية . وقد خسرنا اثني عشر مليون دولار . .»

وصرخ الجنرال بونايد «الضربة لم تفشل ايها الاحمق . فقد وصلت كل الصواريخ الى الهدف ودمرته . وكان احتمال مغادرة هؤلاء الرجال قبل وصول الصواريخ موجوداً ، وكان ذلك امراً خارجاً عن سيطرتنا» . ثم التفت الى سكاوكروفت وقال : «يا سيادة الرئيس ، هل يمكنني أن اطلب من وزارة المالية بألا تتدخل في شؤون لا خبرة لها فيها؟ وبما أن الاستاذ الجليل هذا يبدو عليه بأن لا خبرة له بأي موضوع على الاطلاق فعليه أن يغلق فمه في كل الاحوال»

وجد بعض الحضور صعوبة بالغة في السيطرة على استئناسهم بانفجار الجنرال العفوي هذا ، فقام فاغا بابداء رأيه قبل أن ينشب الصراع بين الجنرال ولونغماير فقال : «لقد فكرت باحتمال اللجوء الى ضربة صواريخ اخرى ، وأعتقد أن الاوان قد فات لذلك . فلو كان هؤلاء الرجال يريدون اغتيال صدام حسين ، لما بقوا بسياراتهم ينتظرون قدومه لفترة يومين . فلا بد انهم قد تركوا الى مواقع اخرى ولن يأخذوا سياراتهم معهم . فقد نتمكن من تدمير السيارات بالصواريخ الا اننا لن نقتل هؤلاء الرجال ، اذ ليس لدينا القابلية على رصدهم بواسطة الستلايت . ولو تمكنا من قطع سبل هروبهم ، فقد يقعون

بالاسر . وماذا لو كان هناك مواطنون امريكان ما عدا الطيار ، متورطين بهذه العملية؟ وماذا لو قامت السلطات العراقية باستعراضهم امام عدسات التلفزيون؟» .

أظهر سكاوكروفت دهشته لسماع هذا التحليل وخيم السكوت على القاعة ، ثم تكلم الجنرال برنايد بصوت هادئ وقال :

- «ان السيد فاغا على حق ، فقد غادر هؤلاء سياراتهم وهم الان في موقع آخر . فلا جدوى من الضربة» .

وقال سكاوكروفت : «يبدو هذا الكلام معقولاً . فما هي توصياتكم للسيد رئيس الجمهورية اذن ، يا ايها السادة؟»

فقال فاغا «ليس امامنا إلا أن ننتظر فشل المحاولة لسبب ما ، وان يتمكن الفريق من الهروب؟»

وقال غيتس «الهروب الى السعودية ، حيث نتمكن من إلقاء القبض عليهم!»

٥٩

انهى الفريق عمله في المخبئين الرئيسيين خلال ساعات الظلام . وعندما اقتنع هاورد تماماً من ان العمل قد أنجز بشكل مرضي ، انتقلوا الى المرحلة التالية في أعلى السفح . استمر هاورد وماكدونالد في العمل ، بينما انصرف زيغلر الى تثبيت أجهزة قياس سرعة الريح على أعمدة الكهرباء القريبة .

عاد زيغلر بعد ساعة تقريباً بعد ان وجد موقعاً ملائماً لاثنين منهما ، الأول على بعد أربعمائة ياردة وخمسون ياردة والثانية على بعد ثمانمئة ياردة من المخبأ الأمامي .

ـ «آسف يا داني ، لم أجد محلاً ملائماً للجهاز الثالث ، ومن غير الفائدة تركها على الأرض ، حيث قد يعثر عليها أحد» .

– «لا بأس . على أية حال فإن وجودها على الأرض ستكون عديمة الفائدة . . ونحتاج أن تكون على علو بضعة أقدام على الأقل لقياس سرعة الريح» .

بدأت تباشير الفجر بالظهور ، عند انتهاءهم من حفر المخبأ الثاني ، وتغطيته بالأحراش . نظفوا المحل من أي أثر لوجودهم ونثروا الأحراش حولها بدقة ، ثم انتقلوا الى المخبأ الأول الذي كان قريباً من ساحة الاستعراض .

أصر ماكدونالد ، من انهم لم يكن باستطاعتهم العثور على مدخل المخبأ الأول ، لولا انهم تركوا اشارة ضوئية سرية في المدخل .

أما التراب الناتج من الحفر ، فقد تعاون الفريق على نقله الى مسافات بعيدة نسبياً عن المخبأ . كما انهم اختبروا قوة تحمل سطح المخبأ بالسير عليه سوية ، ثم غطوه بالتراب والاحراش وبعض الأشواك التي اقتطعوها من محلات قريبة .

بينما زحف هاورد وماكدونالد الى المخبأ ، تأخر زيغلر عنهم ليمسح أي أثر لعملهم في الخارج ولما تأكد من خلو المنطقة ، زحف هو الآخر الى المخبأ ، وسحب الغطاء خلفه .

كان ماكدونالد يشعر بتعب حقيقي ، حيث عمل طوال الليل . . ولكنه كان قد تعود على العمل الشاق . . إلا أن أعصابه كانت متوترة مما زاده إرهاقاً . استلقى على ظهره في المخبأ وهو يفكر بأحداث الأيام الماضية ؛ كل الذي مر به هو حقيقي . . وانه الآن في أرض العدو .

كان الخوف يعتريه بعض الأحيان . كيف تورط بهذا المشروع؟ وما هي نهايته؟ ونظر الى زميليه ، زيلغر كان نائماً بدون حراك وهاورد كان بجانبه .

كيف يستطيع هذا الرجل ان ينام نوماً عميقاً بهذا الشكل؟ وهو وحتى ان حاول فسوف لن يستطع الخلو الى الراحة . هاورد كان مستلقياً على بطنه ، يراقب الخارج من احدى فتحات المراقبة . كان وجه هاورد مطلياً بالدهان الأسود ورأسه باليشماغ (الغطاء) العربي . كان يبدو غريباً ومخيفاً في نفس الوقت . عيناه كانت تلمح مع بروز الضوء الأول للصباح .

- «حاوِل ان تنام بعض الشيء يا داني» همس هاورد دون يدير وجهه صوب داني أو يحول انظاره عن المراقبة «سوف ترتفع حرارة الجو بعد قليل وينقلب المخبأ الى ما يشبه الفرن!» .

- «سأحاول» قال داني وقد استلقى على ظهره ، وركز نظراته على سقف المخبأ الذي كان يبعد عنه بضعة انجات . كان السقف مكوناً من القضبان الحديدية لنقالة الاسعاف ، يليها طبقة من البلاستيك السميك ثم طبقة ترابية بعلو اثني عشر انجاً . ومع ان نقالات الاسعاف كانت عبئاً عند النقل ، إلا أنها كانت أقل ثقلاً من الغالونات العشرة للماء الذي حمله كل منهم أثناء الرحلة من موقع السيارتين الى المخبأ .

- «في الظروف الاعتيادية يحتاج المرء الى نصف غالون ماء يومياً . . أما في درجة حرارة جو العراق ، فسوف نحتاج غالونين من الماء يومياً على الأقل» قال هاورد وهو يبرر كميات الماء الهائلة التي حملها معه الفريق .

أما الطعام الذي حملوه معهم ، فكان من المعلبات ولم يستغرق حيزاً يذكر . . مقارنة بالماء ، كما حملوا معهم ثلاثة بنادق وقنابل يدوية مع كمية كافية من العتاد ، اضافة الى المعدات الفنية الأخرى كالنواظير الحربية ، وبندقية ماكدونالد الخاصة وأجهزة قياس سرعة الريح .

تدريجياً . . بدأت أعصاب ماكدونالد ترتخي وخلال عشرين دقيقة كان يغط في سبات عميق .

***

ـ «أهلاً سيدي ، لم أكن أتوقع ان تعود بهذه السرعة» قالت مفتشة المباحث جولييت شيلي لرئيسها هيوي كارتر الذي دخل الغرفة فجأة» .

كان التعب بادياً على وجه هيوي كارتر وكانت أساريره تنم عن ان شيئاً كان قد أزعجه .

– «ليس هناك ما يمكن ان أقوم به في الوقت الحاضر» قال هيوي بامتعاض ، «أربعة وعشرون ساعة مضيعة للوقت . . لم نحصل على أية دلائل لمتابعة الموضوع . . . وكيف الأمور هنا؟» .

– «الأمور هادئة جداً . . لا شيء بتاتاً» أجابت جولييت «ثم انتظرت لوهلة وقالت «يبان عليك الارهاق سيدي . . لماذا لا تذهب الى البيت وترتاح بعض الشيء ، سأهتم بأمور القسم في غيابك!» .

– «مع الأسف لا استطيع الذهاب الى البيت . . يجب ان أبقى في المكتب حيث قد تتطور الأمور . . ويحتاجوني على عجالة ، على أي حال . . سوف أحاول ان أرتاح في الغرفة المجاورة . . وأرجو ان تناديني إذا أتتني مكالمة مهمة» .

– «سأعمل لك فنجاناً من القهوة ، سيدي ، هل تريد أي شيء آخر؟» .

– «شكراً . . إذا وجدت بعض البسكويت؟» .

هرعت جولييت الى حانوت الدائرة وهي تفكر ان رئيسها يحتاج الى أكثر من فنجان قهوة وبسكويت . عادت جولييت بعد خمس دقائق الى غرفة هيوي كارتر وهي تحمل صينية الافطار . نظر هيوي الى الطبق الشهي التي عادت به جولييت وقال بتعجب «ما هذا؟» .

– «سيساعدك هذا على استعادة نشاطك» .

شعر هيوي كارتر بالجوع وهو ينظر الى طبق البيض والطماطم والسجق والبطاطا المقلية ، أشر الى جولييت ان تجلس وشرع هو بالاكل بنهم ، وكان بين الحين والآخر يتمتم «هل تصدقين ان هذا الفريق مسح كل أثر يمكن تقصيه؟ نظفوا كل شيء . . وفكروا بكل صغيرة وكبيرة!» .

- «ما الموضوع؟ ولماذا كل هذا الاهتمام سيدي؟» .

- «قيل لنا انها مجموعة ارهابية» أجاب هيوي وهو يمضغ طعامه . . «ولكني لا أصدق ذلك . أية مجموعة ارهابية تعد العدة لعملها في انكلترا ثم تسافر الى الشرق الأوسط؟ ألم نعتاد على عكس ذلك؟ ثم ما شأننا لو ذهب هؤلاء الارهابيون ونسفوا أهدافاً في الشرق الأوسط؟ لماذا لا نترك العرب ان يحلو مشاكلهم فيما بينهم؟» .

- «هل ذكرت ان هؤلاء توجهوا الى السعودية؟» سألت جولييت وقد دق ناقوس الخطر في رأسها . . حيث تذكرت ان خطيبها ذكر شيئاً عن سفره الى السعودية! قطعاً سوف لن يتورط جوني بورن بعملية من هذا االقبيل؟! ثم استمرت في سؤالها .

- «ولماذا في السعودية؟» .

- «لا أدري . . قال هيوي كارتر وهو يحتسي القهوة بعد ان أنتهى من تناول الفطور الذي جلبته جولييت ، واستمر قائلاً «في السعودية يوم ٨ نيسان «ابريل» وأدعيا انهما من عمال البناء . كان أحد الرجلين انكليزيا والآخر يتكلم بلهجة جنوب افريقيا . كان هنالك آخرون بينهم طيار أمريكي ، وآخرون دخلوا الى المملكة خلسة بعد ان اختباؤوا في حاوية متجهة الى كينيا» . قالها هيوي بتهكم . ثم استمر «وقد كانوا يستخدمون بعض الوحدات الصناعية في سوندن كقاعدة انطلاق من انكلترا . .» .

سرح ذهن جولييت قليلا ، الثامن من ابريل؟ خطيبها جون بورن رحل الى السعودية يوم ٧ ابريل . . ووصلها يوم ٨ ابريل . .

انتبهت جولييت مرة أخرى على كلام هيوي كارتر «لقد اختلطت عليّ الأمور وأصبحت خيوط القضية تقود الى جهات وأطراف متعددة» .

حاولت جولييت ان تعود في ذاكرتها الى كلامها مع خطيبها جون بورن علها تجد بعض الربط بين ما سمعته منه وبين ما يحدثها به هيوي كارتر . . صحيح ان جوني بورن كان متستراً على طبيعة عمله . . ولكن لماذا كل هذا الشك؟

- «هل قُلتَ بأنهم تركوا الوحدات الصناعية نظيفة ودون أي أثر؟» .

- «نعم تركوها في غاية النظافة» حيث لم نجد أثر لقطع ملابس مثلاً أو شعر أو أي شيء يمكن ان نهتدي به . . عدا بقعتين صغيرتين من الدهان (الصبغ) الأصفر على الأرض» .

- «هل قلت بقع من الدهان؟» سألت جولييت وقد بدأت شكوكها تتزايد .
- «نعم ، لا شك انها كانت من مخلفات الارهابيين . . لأنهم كانوا أول المستأجرين لهذه الوحدات . . لا شك ستكون نفس الدهان الذي طليت به بعض أجزاء الحاوية» .
- «ماذا تعني بذلك؟» سألت جولييت بصوت خافت .
- «الحاوية التي حوروها لتهريب بعض أفراد الفريق الى السعودية . . فقد قطعوا باباً صغيراً في احدى جوانبها . . ثم أعادوا طلاء الشقوق باللون الأصفر . . لا شك لدي من ان بقع الدهان في الوحدة الصناعية ستنطبق مع الدهان على جدار الحاوية» .

كان وقع هذا الخبر بمثابة لطمة كبيرة على جولييت . كاد يغمى عليها ولكنها تمالكت أعصابها ونهضت من الكرسي ببطء وطلبت الاذن من رئيسها ان تغادر الغرفة معتذرة ان لديها مهمة يجب انجازها في غرفتها .

جلست في مكتبها على أول كرسي صادفته . . وتركز نظرها على الحائط دون ان ترى شيئاً . . وكانت كلمات هيوي كارتر ترن في أذنيها ، دهان أصفر! هذه البقعة التي وجدتها على بدلة العمل لخطيبها جوني بورن . . كانت البقعة لدهان أصفر!

***

- «يا سيادة الرئيس . . رئيس الوزراء جون ميجور على الخط» .

فأجاب جورج بوش «شكراً» ثم رفع السماعة وقال «جون؟ جورج معك . كيف حالك؟»

فأجاب جون ميجر «شكراً . . أنا بخير» بينما استمر جورج بوش بالكلامك « اسمع يا جون ، لدينا مشكلة متعلقة بالعراق . فهناك جماعة يحاولون اغتيال صدام حسين . هل علمت بذلك؟»

- «نعم . قد تكون القضية محرجة للغاية» .
- «نعم محرجة جداً . لقد أخبرتُ بأننا لن نتمكن من ايقاف العملية وما علينا الا أن نتأمل أن يفشلوا في مهمتهم ولكننا نأمل ايضاً بأن يتمكن جماعتكم من اقناع رئيس المؤسسة هذه لعله يستطيع إيقاف العملية هو . فهل توفقتم بذلك؟»
- «السير بيتر دارتنغتون؟ لقد قابلوه ويبدو بأنه بريء . إنه رجل أعمال محترم» .
- «طبعاً يا جون . ولكن هلا يتمكن جماعتكم من الضغط عليه قليلاً؟ لا بد انك

تعرف ما أقصد ، فلن نتمكن أن نضيع وقتنا الآن» .

وأجابه ميجور بحزم : «لا يا سيادة الرئيس ، فلن نفعل ذلك ، ولا نتبع هذه الاساليب مطلقاً ، اذ أنها ستؤدي الى فضيحة كبيرة»

فأجابه الرئيس بتوتر «ستكون لدينا أكثر من فضيحة لو نجحت هذه الخطة لاغتيال صدام!»

- «اؤكد لك يا سيادة الرئيس بأني متفهم لقلقك ، اذ اني قلق ايضاً . ولكنني سأعود الى النقطة التي طرحتها ، وهي احتمالات نجاح العملية . فتقارير الشرطة عندنا تشير بأن الفريق هذا مكون من رجال محترفين وأكفاء وبأن احتمالات نجاحهم كبيرة» .

وتمكن رئيس الجمهورية من طرح السؤال الذي كان يريده وقال «اذن يا جون ، فأن هناك أمراً محيراً بالنسبة الينا وهو بأن هؤلاء الرجال يبدو بأنهم على ثقة من ظهور صدام في تكريت يوم غد ولا نعلم من أين حصلوا على هذه المعلومات . فأجهزة الاستخبارات الامريكية لا تعرف شيئاً عن تحركاته . فهل اجهزة استخباراتكم على علم بذلك؟»

- «حسب معلوماتي ، لا يعرف احد هنا شيئاً عن تحركات صدام»

- «الحقيقة ، يا جون بأننا سنحرج جداً لو القي القبض على هؤلاء الرجال . فيبدو بأن هناك مواطناً امريكاً واحداً على الاقل قد تورط بالعملية ، وهناك بعض مواطنيكم ايضاً» .

وعرف رئيس الوزراء ما كان يقصده رئيس الجمهورية فأجابه بنبرة حادة : «من المحتمل أن يكون هناك بعض المواطنين البريطانيين متورطين بهذه العملية يا سيادة الرئيس ، الا انني سأجزم لك بأنهم لا يمثلون حكومة جلالة الملكة على الاطلاق» .

وقال الرئيس بصوت هادئ «لا طبعاً يا جون . فلم اكن اعني ذلك . اما من ناحيتي فسأجزم لك بأن حكومة الولايات المتحدة ليست من وراء هذه المحاولة» .

وعرف جون ميجور بأن الرئيس الامريكي كان يشك بدور الحكومة البريطانية بالموضوع وبأنه يريد منه تأكيداً صريحاً بعدم صحة ذلك فقال :

- «وانا بدوري سأجزم لك يا سيادة الرئيس ، بأن الحكومة البريطانية ليست وراء المحاولة» .

بدا الرئيس متأرجحاً برأيه بعض الشيء ، لسماعه تأكيداً رسمياً من رئيس وزراء

بريطانيا وقال :

- «اذن يا جون ، فأن امر هؤلاء لمحير . لقد دار نقاشنا حول احتمال كون افريقيا الجنوبية او اسرائيل من ورائهم . إلا أن استخباراتنا كانت ستعلم بالموضوع لو كان ذلك صحيحاً ، وعلاوة على ذلك ، فلماذا قامت المجموعة بالاستعداد للعملية في بريطانيا حيث يكون احتمال كشفهم كبيراً؟ هل لديكم بعض الافكار حول ذلك» .

- «اخشى بأننا لا نعرف شيئاً يا سيادة الرئيس»

قرر رئيس الجمهورية بأنه كان قد ضغط ما فيه الكفاية على رئيس الوزراء وبأن عليه الآن أن يلطف الاجواء بعض الشيء فقال «اذن يبدو بأننا عاجزون عن القيام بأية مبادرات في الوقت الحاضر . بالمناسبة فلم اتمكن من تهنئتك شخصياً على إعادة انتخابك ، فألف مبروك . هل استلمت برقيتي؟»

- «نعم استلمتها . وقد كانت مبادرة لطيفة منك شكراً»

- «نحن هنا جميعاً نحسدك يا جون ، فلقد ضمنت منصبك لفترة خمس سنوات أما انا فما زلت أواجه الكثير من المشاكل ، اذ أن المعارضة تضيق الخناق عليّ . لربما تستطيع أن تنصحني حول بعض الامور ، فأن اسلوبك كان ناجحاً جداً» .

كان رئيس الوزراء مسروراً بهذا الاطراء وقال :

- «اشكرك يا جورج . نعم فالأمور السياسية تجري بشكل جيد ، فقد حصلنا على ما نريده من معاهدة ماسترخت وتسير اوروبا الان على الطريق الصحيح . ويمكنني أن انصحك بأن المعارضة احياناً تحصل على الدعاية السياسية أكثر من حصولها على الاصوات . على كل ، فلك امنياتي بالتوفيق في انتخاباتكم»

- «اشكرك يا جون . سأتصل بك عن قريب»

وكان رئيس الجمهورية الامريكية مقتنعاً بأن جون ميجور قد أجاب على استفساراته بكل اخلاص وامانة .

***

استيقظ ماكدونالد على صوت ضربات غريبة فوق سطح المخبأ ، وكان على وشك ان يجلس ، ولكنه تذكر السقف الواطئ للمخبأ . نظر الى يمينه ورأى زيغلر يراقب الخارج

من احدى فتحات المخبأ . سمع ماكدونالد أصوات غريبة في الخارج .

- «قطيع من الماعز» تمتم زيغلر .

كان الجو خانقاً في المخبأ ، وكان فتحة التهوية الوحيدة ، هي فتحات المراقبة في طرفي المخبأ . كان هاورد مستلقياً على ظهره ، ولكنه كان صاحياً . نظر ماكدونالد الى ساعته ، استغرق نومه خمس ساعات . كانت الساعة تقارب الثانية عشرة ظهراً . ناول زيغلر قنينة الماء الى ماكدونالد . . فتحها وأخذ منها جرعتين وقال :

- «مذاقه كالبلاستيك» ثم التفت الى زيغلر وسأله «ماذا كنت تقول عن قطيع الماعز؟» .

- «وصلوا هنا منذ الصباح وأحاول ان أبعدهم عن المخبأ . . المشكلة . . أينما تواجد القطيع . . تواجد الراعي!» .

- «داني» همس هاورد «دعنا نترك زيغلر ليتدبر أمر الماعز ، تعال نراقب النشاطات الجارية في ساحة الاستعراض» .

زحف ماكدونالد على بطنه وراح يراقب الساحة مع هاورد من خلال الفتحة الجانبية للمخبأ ، مستخدما ناظوره العسكري .

كانت الساحة تغص بعشرات من الجنود ، كل منهمك في عمله ، جماعة تنصب الأعمدة لترفع عليها الاعلام العراقية وآخرون ينصبون الحواجز ليقفف وراءها المتفرجون وآخرون يعلقون صور صدام في كل مكان . كانت هنالك أيضاً عدد من الشاحنات الكبيرة تفرغ حمولتها من قواعد منصة الاحتفال ومنصة التحية . كما رأى ماكدونالد من خلال ناظوره المكبر أحد الجنود يحمل أجزاء منصة التحية ليضعها في منتصف منصة الاحتفال التي سيقف عليها ضيوف الدولة .

أعاد ماكدونالد الناظور الى هاورد ، الذي ألقى نظرة سريعة باتجاه موقع منصة التحية وصاح «بنگو» عندما رأى موقع المنصة . كانت المسافة بين الصورة الكبيرة لصدام حسين وموقع المخبأ ألف ومئتين وتسعون ياردة ، فالمسافة إذن بين منصة التحية والمخبأ بحدود ألف ومئتين وخمسين ياردة . التفت هاورد الى ماكدونالد وقال :

- «دعنا نقيس المسافة بالضبط» .

نصب ماكدونالد جهاز قياس المسافة بصعوبة بالغة في المخبأ ، ووجهها من خلال

الفتحة نحو موقع منصة التحية ، وبدأ بتغيير الصورة من خلال ناظور الجهاز الى ان حصل على صورة واضحة . دوّن الرقم الذي أظهره الجهاز ، ألف ومئتان وخمسة وأربعون ياردة .

فككوا الجهاز مرة أخرى ، وأعادوا الاجزاء الى الحقيبة الخاصة بها . التقط ماكدونالد الحاسبة اليدوية الصغيرة وضغط بعض المفاتيح استعداداً لتشغيلها ، كان ماكدونالد قد تمرن على الجهاز في «بَدنَه» وساعده أوشر على حساب مسار الاطلاقة وعلاقتها بسرعة الريح وزواية التهديف والضغط الجوي .

أجرى هاورد وماكدونالد بعض التمارين النظرية في الحاسبة وتأكدوا تماماً من ان حساباتهم صحيحة وانهم في الموقع المناسب لتنفيذ المهمة .

٦٠

كانت تجيش بصدره مشاعر من الغضب الاسود . وكلما ازداد غضبه ، تشوشت افكاره . وكلما تشوشت افكاره تدهورت حالته وكأن لا حدود لمقدار غضبه . فكانت تصل به الاحوال الى الدرجة انه كان يضرب اي شيء او اي شخص امامه .

نظر الرجل الكبير بغضب الى المائدة الممتدة أمامه والى الصحون والاقداح . . ثم نظر الى الخادم الذي جلب الطعام قبل دقائق . . وكان هذا الأخير قد تجمد في مكانه من شدة الرعب .

عديمو الفائدة هؤلاء الحيوانات! عديمو الفائدة تماماً! . وانفجر الغضب مجدداً بدماغه فرفع يده وضرب الطاولة التي كانت امامه وقام بتهشيم الاقداح والصحون بعنف . ثم نظر الى الخادم وصاح به أن يخرج حالاً . قال الخادم وهو يرتجف من خوفه :

– «هل أنظف الغرفة يا سيادة الرئيس؟» .

– «أخرج فوراً» قالها صدام حسين وهو يضرب المائدة بيده ، ثم نهض واقفاً وقد إحتقن وجهه واتسعت حدقة عينيه . لم ينتظر الخادم لتلقِ أي أوامر أخرى ، فخرج مسرعاً وهو يغلق الباب المصفحة خلفه .

وقف الرجل الضخم واخذ يجوب ارجاء الغرفة وهو يرتجف غضباً . فقد كانت نفس الفكرة دائماً هي التي تولد هذه الحالات عنده . في كل مرة كان يفكر بنفس الشخص ، الذي خانه وكذب عليه واهانه . الرجل الاجنبي الوحيد الذي كان قد وثق فيه .

كيلي! . ذلك الخائن المحتال . لقد كان صديقاً لكيلي بل كان مطيعاً له . كان مخلصاً لكيلي وللولايات المتحدة ، الا انهم على الرغم من ذلك فقد خانوه . والآن فقد قطع على نفسه عهداً أن ينتقم من كيلي مثلما كان قد انتقم من الكثيرين من قبله .

تحسس صدام مسدسه وبحركة لا شعورية سحب المسدس والتفت الى الباب الخشبية

وصاح بأعلى صوته . . كيلي أيها الوغد . . . فانطلقت رصاصتين صوب الباب . انعكست احدى الرصاصتين من الحائط الكونكريتي وضربت إناءً فضياً للقهوة كان الخادم قد جلبه لتوه . انسكبت القهوة على المائدة ومن ثم على السجاد الايراني الفاخر في الغرفة .

سمع المرافقون في الغرف المجاورة صوت الاطلاقات . . إلاّ أن أحد منهم لم يجسر أن يدخل غرفة الرئيس ليتبين الأمر . تعلم المرافقون ألا يجازفوا في مثل هذه الحالات . . وإلا فانهم سيكونون الضحية التالية . كان الرجل الكبير يتعمد بث الرعب في قلوب أعوانه ليضمن انضباطهم وطاعتهم العمياء له ، هكذا أراد أن يكون من يعمل معه . . ثم انصرف ذهنه مرة اخرى الى كيلي . . سوف لن يقتله برصاصة الرحمة . . يجب أن يتعذب حتى النفس الاخير! .

وبحركة لا شعورية أفرغ الخراطيش الفارغة ، ثم فتح الدرج وتناول رصاصتين وعبأ المسدس مرة اخرى وأعاده الى محله .

غداً سيكون لقاؤه المهم مع الايرانيين والسوريين . لقد فرضت الظروف هذا اللقاء اذ انه يكره الايرانيين ، ولكنه سيقلب الظروف لتخدم مصالحه . كما تعود أن يفعل دائماً ، فسيقترح توقيع معاهدة سلام لينقذ الوضع الاقتصادي من التدمير الكامل . وسيوقع المعاهدة مع الايرانيين اولاً ويفرضها بعد ذلك على السوريين . وغداً سيلتقي بالمندوب الايراني ، وبعد أن يشاهد المندوب الاستعراض الذي أعده صدام من اسلحة ثقيلة سيوقع على الاتفاقية . . لاشك أنه مهتم بعد تضييع أسابيع عديدة من المفاوضات .

لكنه لم يكن يثق بالمندوب ولا بأسياده في طهران . سوف يحاولون خداعه أو الاحتيال عليه . لن يثق بهم ابداً! يحتمل أن تكون هناك مؤامرة . . نعم! هناك دائماً مؤامرات ، إلا انه قد اتخذ اجراءات للاحتياط . فلو كان هناك مؤامرة فستفشل كما فشلت المؤامرات الاخرى! وسيرى الوفد الايراني مقدار قوته العسكرية وسيوقع .

وبقي صدام حسين يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وهو يخطط للغد في مخبأة الحصين عشرات الامتار تحت شوارع بغداد .

***

وأخيراً حل الظلام وانخفضت درجة الحرارة في المخبأ وشعر الرجال بارتياح شديد ، اذ

صار بإمكانهم أن يخلدوا الى الراحة مرة اخرى . استلقى هاورد على أرض المخبأ وغط في سبات عميق بينما حل زيغلر محله في الحراسة الى جانب ماكدونالد .

كانت هنالك بعض الاضواء الخافتة في المدينة ، وجنوداً تجمعوا حول نيران باهتة هنا وهناك . وأقرب مجموعة من الجنود كانوا على بعد ستمائة ياردة . وقد كانت هناك حركة مستمرة طيلة فترة النهار .

أعداد كبيرة من الناس مرت أمامهم بمحاذاة خطوط التوزيع الكهربائي ، إلاّ أنهم لم يلحظوا اجهزة قياس المسافة التي نصبها هاورد على الاعمدة الكهربائية على ارتفاع ثمانية أقدام . وكان الفريق مطمئناً من أن الاجهزة لن تجلب انتباه أحد ، حيث أن معظم الناس ينظرون الى الامام أو الى الاسفل عند السير بشكل طبيعي ونادراً ما ينظرون الى أعلى . . ومع ذلك وحتى وإن شاهدوا الاجهزة ، فسوف يعتقدون بانها قد وضعت هناك بشكل رسمي .

كان التوتر بادياً على الفريق وهم في مخبأهم يراقبون تطورات اليوم . . وكلما طال انتظارهم ، ازداد التوتر . وفجأة همس زيغلر بصوت خافت «انتبه» . التفت ماكدونالد وشاهد مجموعة من الجنود يتجهون نحوهم .

نظروا من خلال عدسات الرؤية الليلية وشاهدوا الجنود على مسافة مئتي ياردة وقد توقفوا . وبعد مضي فترة تحركت المجموعة تاركين اربعة جنود ليحرسوا المنطقة . تمت مراقبتهم للجنود الاربعة لفترة نصف ساعة كانوا يسمعون فيها اصوات الجنود وهم يتكلمون فيما بينهم . . بدأ أحد الجنود بالتدخين ، بينما جلس الثلاثة الآخرون على الارض . . وبعد أن أنهى سيجارته . . جلس معهم ليخلدوا جميعاً الى النوم . . راقبهم الفريق بدقة . . وبعد بضعة دقائق ؛ همس هاورد قائلاً : لا تتحرك من هنا يا داني . سنذهب انا ومايك لتدبير امرهم»

- «الا انهم لم يشاهدونا»

«قد يجوز ذلك ، ولكنهم لو بقوا بهذا الموقع لغاية الغد ، فسيشاهدوننا عندما ننفذ الضربة ، او عند محاولتنا للهروب» .

- «الا تفتقدهم قيادتهم؟»

- «يجب أن نقامر بذلك . ونظرة الى زيهم تدلك على أن جنوداً بهذا المستوى لن

تفتقدهم وحداتهم بسرعة ، كما اني لم اراهم يستعملون جهاز الاتصال وربما كانت اوامرهم أن يبقوا بموقعهم لغاية انتهاء الاستعراض ، وأغلب الظن فانهم لا يعلمون من سيحضر الاحتفال غداً!» .

هز مادونالد رأسه . . ولم يكن متأكداً مما سمعه ، بينما بدأ هاورد وزيغلر بالاستعداد لترك المخبأ . ودون أن يصدر منهم أي صوت ، دفع زيغلر غطاء المخبأ وقفز الى الخارج ، يتبعه هاورد . راقبهم داني ماكدونالد بانتباه وهم يزحفون الى أعلى الرابية . . وبعد حوالي عشر ياردات . . ومع استخدام الناظور الليلي ، فقد اختفوا بين الاحراش .

كان مادونالد يراقب موقع الجنود الاربعة . . حيث كان الجندي الخفر ينهض بين الحين والآخر ليأخذ جولة قصيرة حول الموقع ثم يعود حيث ينام زملائه الثلاثة . وفجأة شاهد ماكدونالد شبحاً يعلو خلف الجندي الخفر . . وبعد بضع ثواني هوى الجندي الى الارض دون حراك . . لم يصدر من مكان الحادث أي صوت يذكر . . واستمر الجنود الثلاثة في سباتهم العميق! . . وبعد أقل من دقيقة ظن ماكدونالد أنه شاهد حركة طفيفة حيث يرقد الجنود الثلاثة . . وبعدها خيم السكون مرة اخرى على الموقع . استغرب ماكدونالد ، بل وأعجب بمهارة زملائه . . لم يسمع ، كما كان يتوقع حتى صوت «كاتم الصوت» لرشاشة هاوردا .

وتسارعت دقات قلبه . ماذا حصل؟! وفجأة شعر بالوحدة ، وبعض الخوف . . وكأنه في زورق صغير وسط محيط هائج . ماذا لو أصيب هاورد وزيغلر؟ . ماذا لو لاقوا حتفهم؟ كيف سيتدبر أمره في هذه القرية؟ ومرت الدقائق بطيئة . . أربعون دقيقة ولم يسمع شيئاً . . وفجاة سمع أسمه .

– «داني» ، التفت الى مصدر الصوت . . وإذا بزيلغر يزحف على بعد عشر ياردات في الاحراش القريبة . . يتبعه هاورد .

– «ماذا حصل؟» سأل ماكدونالد بصوت خافت .

– «لقد تخلصنا منهم» أجاب هاورد .

– «ولماذا استغرق كل هذا الوقت؟» سأل ماكدونالد .

– «كان علينا ان نتخلص من الجثث ونواريها عن الانظار . . ثم نتخلص من أي أثر . . قد يقود الباحثين الى مخبأنا» .

٦١

- «يُظهر JSTARS زحاماً كثيفاً للسيارات المتجهة نحو تكريت يا والتر» .

- «وكيف تبدو الامور؟» وجاء «الدب» الى مكتب كيرْوِن واخذ ينظر الى شاشة جهازه .

- «تتدفق السيارات الخفيفة ومعظمها من الشاحنات نحو تكريت منذ حوالي ساعة اي منذ الساعة السابعة صباحاً، بتوقيت العراق . لا توجد عربات مصفحة . أعتقد بأنهم ينقلون جنوداً ليشاركوا بالمهرجان . أصحيح بأن اليوم هو عيد ميلاد صدام؟»

- «هكذا قيل لي يا جون .وما هي آخر التقارير؟»

- «هناك حركة للطائرات والطائرات المروحية هنا في مطار تكريت الشمالي ، وتوقفت الحركة قبل نصف ساعة . وقامت بعد ذلك بعشرين دقيقة طائرة مروحية بالاتجاه الى تكريت من الجنوب . وهناك حركة كثيفة من العربات المصفحة هناك أيضاً . وما أن هبطت الطائرة حتى تحركت العربات على شكل قافلة باتجاه جنوبي . وهناك قافلة اصغر من العربات المصفحة الخفيفة قادمة من الجنوب وستصل تكريت بنفس الوقت .

هل تعتقد بأن شيئاً ما سيحصل؟»

- «لا اعرف يا جون ولكنه يبدو كذلك . وما هي نوعية العربات المصفحة؟»

- «العربات الثقيلة القادمة من الشمال هي من نوع T54 و T62 ويحتمل ان يكون بعضها من الـ T72 . اما العربات القادمة من الجنوب فهي من نوع BRT70 وبعض السيارات الاخرى» .

- «حسناً ، فاعتباراً من الآن اريد أن تقوم كافة الاقمار KH بمراقبة الموقف مراقبة دقيقة» .

وبدأ كيرْوِن بإعداد الاوامر لاقمار KH وبعد عشر دقائق التفت الى الدب وقال بحماس :

- «لقد بدأت العربات بالالتقاء في هذه النقطة المنفتحة الى الخارج من البلدة هنا» .

لم يجبه الدب وانصب تركيزه كاملاً على الشاشة والتف من حوله المحللون الاخرون لينظروا الى الشاشة واظهرت الصورة الظاهرة عليها بأن الاوضاع قد اضطربت اذ أن السيارات القادمة من مختلف النقاط قد توقفت في مكان واحد .

وفجأة صرخ كيرْون قائلاً :

- «انظروا! لقد تحركت الطائرة المروحية مرة اخرى وهي متجهة الى المكان ذاته!»

***

سمع الرجال الثلاثة في المخبأ دوي الدبابات قبل أن يشاهدوها بانفسهم . وكانت الساحة قد اكتظت بالالوف من الرجال ، معظمهم من الجنود الذين وقفوا مواجهين لمنصة التحية . وبدأت الفسحة من خلفهم ، والتي قد خصصت لعامة الناس ، بالازدحام بسكنة تكريت الذين كانوا قد دعوا للحضور بشكل جماعي للمساهمة بالاحتفالات .

وتقدمت الجماهير مجموعة من الجنود الذين تميّزوا عن الاخرين بأناقة مظهرهم وبدا عليهم بأنهم يديرون المسيرة . تمعن بهم هاورد من خلال ناظوره وقال :

- «ان هؤلاء هم الوحيدون الذين يحملون السلاح ، فلا بد أنهم من الحرس الجمهوري . تهيأ يا داني» .

وأخرج ماكدونالد بندقيته من حقيبتها وأخرج من جيبه المحفظة التي كانت تحتوي على الذخيرة المخصصة لها . ثم بدأ بعلميات القياس بمساعدة هاورد ، وأدخل المعلومات الى الكومبيوتر بسرعة .

- «سرعة الرياح؟»

- «هدوء تام . لا حركة»

وبعد ادخاله لنتائج كافة القياسات ، اعطى جهاز الكمبيوتر خطة مسار الاطلاقة وبدأ يهيء ميزان البندقية مرة اخرى .

ودخلت الدبابات وأخذت مواقعها في أرجاء الساحة ، وتكدست الجمهرة من الجنود مندفعين بإتجاه موقع المدنيين وتعالت سحب من الغبار من حولهم . وكانت الدبابات قد احاطت الجماهير تماماً ، ثم بدأت محركاتها بالتوقف تدريجياً وخيم الهدوء على

الساحة . كان ماكدونالد قد خمن بأن عدد الحاضرين كان يزيد على العشرة آلاف شخص وفجأة ، وبينما كان يتأمل المشهد الذي أمامه ، سمع صوت طائرة مروحية .

هبطت الطائرة ببطء امام منصة التحية وتعالى الغبار من حولها ، ثم توقفت ماكنتها وبدأت سحب الغبار تنجلي .

٦٢

كان هاورد يراقب الطائرة المروحية ، شاهد سيارة تقترب منها لتتوقف ثم فُتحت احد ابوابها . وبعد برهة خرج منها رجل بلباس رجال الدين بعباءة وعمامة سوداء واتجه نحو الطائرة يرافقه اثنان من رجال الحرس الخاص ، وهو جهاز الحراسة الشخصية للرئيس العراقي فهمس هاورد لرفاقه :

- «يبدو عليه من رجال الدين الايرانيين»

- «وما الذي جاء به الى هنا؟ أليس الايرانيون هم ألد اعداء صدام؟» .

وصل الرجل الايراني على مقربة من مكان هبوط الطائرة ووقف ينتظر هدوء مروحتها . وما أن توقفت عن الحركة تماماً حتى فتح بابها وخرج منها رجل ضخم بلباس عسكري زيتوني اللون يتبعه ثلاثة عسكريين ، واتجه فوراً الى رجل الدين وصافحه وبعد معانقة خاطفة ، التحق رجل الدين بحاشية الرجل الضخم باللباس العسكري .

تركزت انظار هاورد على الرجل الضخم باللباس العسكري من خلال عدسة التكبير واتبع كل خطواته باهتمام بالغ . فقد عرف هويته منذ النظرة الاولى ، هذا هو نفس الرجل الذي كان قد شاهد صوره في المئات من المشاهد والافلام الاخبارية وها هو يراه في الحقيقة وكان يكاد لا يصدق عينيه . فقد حصلت المعجزة ، وها هو الوغد يمشي امامه الآن . فهمس لماكدونالد بحماس «حسناً فهذا هو . استعد فهو الرجل الذي يمشي الى الامام . انتظر لغاية صعوده على المنصة . زيغلر ، هل الاجواء خالية؟»

ونظر زيغلر من خلال الفتحات العديدة للمخبأ ليتأكد للمرة الاخيرة من خلو الموقع وقال «نعم ، ونحن جاهزون للتنفيذ» .

كان ماكدونالد قد أعد البندقية وقام بتوجيه الفوهة من احدى الفتحات نحو الساحة ، وعبأ البندقية ووضع اصبعه على الزناد استعداداً للاطلاق . كان يتنفس

بهدوء وبطء ثم قال «سأحتاج الى هدوء مطلق رجاء وأرجو ان لا يتحرك احد منكم ، عليّ ان اركز على الهدف الآن» .

اعتلى الرئيس العراقي منصة التحية وتوجه الى منبر الخطابة في وسط المنصة ، وخيم صمت مطبق على الجمهور . كان الرجل الايراني ومرافقه قد وقفا الى يمين رئيس الجمهورية ، وكان هناك ضابطان عراقيان كبيران على المنصة ايضاً ، يتكلمان بهدوء فيما بينهما ، وقف صدام حسين على المنصة ورفع يده ليحيي الجماهير . وفجأة ظهرت علامات القلق على وجه هاورد وهو يتابع الاحداث من خلال عدسة التكبير وقال «هناك ثمة اخطاء . .»

اهتز المخبأ لدوي البندقية وبدأ ماكدونالد على الفور بادخال اطلاقة اخرى فيها وصرخ بوجه هاورد «لقد قلت لك بأن تسكت! اخبرني عن الضربة!»

استغرقت الاطلاقة فترة ثانيتين للوصول الى الهدف وبدأت الكاميرا تدور لالتقاط فيلماً للحدث ، بينما كان هاورد وماكدونالد يراقبان من خلال المنظار الحربي ، وفجأة اندفع جسد الرئيس العراقي بقوة هائلة الى أعلى ثم الى الوراء بشدة وخر قتيلاً بالقرب من المنصة .

وقف الرجال على المنصة دون حراك ، ثم اخرج احد المرافقين مسدسه ورفعه فوق رأسه استعداداً للاطلاق ، ولم يقترب احد من الجثة . ثم بدأت اولى صيحات الفزع تصدر من الجمهور .

وللمرة الثانية قام ماكدونالد بإطلاق البندقية صوب المنصة ورفاقه ينظرون اليه بدهشة وسمعوه وكأنه يصرخ بصوت عالٍ «الله! الله!»

التفت اليه هاورد بغضب وقال : «ما هذا؟ اهدأ يا رجل! ما الذي تقوم به؟» .

كان ماكدونالد ينظر من خلال العدسة وبعيون واسعة لشدة التوتر . كان قد قتل احد المرافقين على المنصة الذي كان قد سحب مسدسه لتوه ثم نظر الى رفيقيه بفخر . وصاح فيه هاورد :

- «توقف يا داني! لم يكن هذا صدام!»

- «ماذا تعني؟ لقد مات! لقد اصبته في صدره بالمحاولة الاولى . انظر بنفسك يا رجل!»

كانت الفوضى تسود ساحة الاستعراض ، كان الناس في هرج ومرج يتسارعون في اتجاهات مختلفة . بينما تتصاعد اصوات مختلفة من أرجاء الساحة ولم يكن وضع الحماية الخاصة للرئيس أفضل من الجماهير ، فكانوا يتراكضون بشكل عشوائي . لقد أدخلت الاطلاقتين الاولى والثانية الرعب في قلوب الحرس الخاص . . . حيث سارع اثنان منهم باحتضان رجل الدين الايراني وطرحوه ارضاً . . . بينما تساقط عدد من المشاركين في الاحتفال قتلى جراء رصاص الحرس الخاص . وفجأة انطلقت قذيفة من احدى الدبابات T-72 واحدثت دوياً هائلاً في الساحة ، مما حدى بالحرس الخاص التوقف عن اطلاق النار . وبينما كانت الجماهير تتابع القذيفة الاولى ، انطلقت القذيفة الثانية من مدفع الدبابة T-72 . توقف الحرس عن اطلاق النار تماماً بينما انبطح معظم المتفرجين في الساحة تحاشياً للقذيفة .

– « دعنا نرحل فوراً» قال زيغلر بهدوء «لا أرى داعياً للتفرج على الاحتفالات!»

– «لا» صاح هاورد ، وما زالت عيناه تراقب الساحة من خلال التلسكوب «انتظروا ، ان الشخص الذي قتل لم يكن صدام وانما احد اشباهه» .

– «ماذا تعني بهذا الهراء!» سأل ماكدونالد باستياء .

– «الشخص الذي قتل لم يكن يرتدي مسدساً» قال هاورد «صدام حسين يرتدي مسدساً في كل المناسبات ، ارجو ان تنتظروا قليلاً» .

– «يا للعنة» قال زيغلر .

ومن الجانب البعيد للساحة جاءت عدد من السيارات المصفحة حيث اصطفت الواحدة بجانب الاخرى وخرج منها أكثر من مئة من رجال الحرس الخاص ، وقفوا بانتظام ثم بدأوا يخترقون الجمهور الى ان وصلوا امام منصة التحية فوقفوا على شكل قوس وأخرجوا اسلحتهم الاوتوماتيكية ووجهوها نحو السرية الاولى للأمن الخاص الذين كانوا على المنصة وأمروهم بإلقاء أسلحتهم ، ورفع أيديهم . وُضع رجال السرية الاولى بصف واحد وامروا بالجلوس على الارض وأوثقوا أيديهم خلف ظهورهم . ثم ذهب آمر السرية الثانية ، يرافقه ستة من رجاله الى احدى الدبابات T-72 ووقف بتأهب .

انفتح الباب العلوي للدبابة وخرج صدام حسين ووجهه ملتوي من شدة الغضب .

وقف امام الدبابة ونظر الى من حوله . ثم قام بحركات بطيئة ، باخراج مسدسه ورفعه فوق رأسه وخيم الصمت على الجميع .

نظر اليه الرجال الثلاثة في المخبأ بدهشة ، فقد كان وجوده مؤثراً للغاية ولم يكن أحد منهم يشك بأن الرجل الذي امامهم كان هو الطاغية بنفسه . خيم صمت رهيب على الساحة . أشر لهم صدام بمسدسه ان يقفوا جانباً وتقدم نحو المنصة ببطئ بينما كان الحرس يدفعون جانباً كل شخص يعترضهم بخشونة . وصل صدام الى المنصة وتوقف . نظر طويلاً الى جثة شبيهه ثم الى أحد مساعديه الذي كان طريح الارض وهو مضرج بدمه نتيجة للاصابة القاتلة في معدته . التفت الى رئيس الحرس واصدر له اوامره . سارع اثنان من الحرس بجلب المندوب الايراني وألقوا به عند قدمي صدام . حاول الدبلوماسي الوقوف على قدميه إلا ان الحرس ركلوه مرة اخرى الى الارض ، رفع صدام مسدسه واطلق النار على رأس المندوب فأرداه قتيلاً .

ثم أمر بإحضار آمر السرية الاولى من الامن الخاص وكان يلتوي بجسده ويصرخ خائفاً ، التقت نظراته مع نظرات صدام . . . فاغمي عليه ، صوّب صدام مسدسه ، وأطلق رصاصه فقتله هو الأخر ، وكان هذا هو مصير كافة افراد السرية الاولى .

نظر اليه الرجال الثلاثة من المخبأ بدهشة وتعجُب ، فقد ادركوا بأن صدام لن يتحرك من مكانه لغاية انتهائه من اعدام كل الذين كان يعتبرهم مسؤولين عن محاولة اغتياله .

نظر ماكدونالد من خلال عدسة بندقيته وشاهد صورة صدام في وسطها تماماً وتصلب في محله ، كما شعر كل من هاورد وزيغلر بأنه على وشك الاطلاق . حبس ماكدونالد نفسه وأطلق بندقيته .

لن يعرف ماكدونالد سبب انحراف مسار الاطلاقة الى الاسفل ، فقد تكون هناك عدة اسباب ، فربما اخلت ميزانية البندقية قليلاً ، او نشطت سرعة الرياح لوهلة ، او قد يجوز انه كان مرتبكاً بعض الشيء . وكان صدام واقفاً على حافة المنصة ورجليه متباعدتين بعض الشيء ويديه ممتدة الى الاسفل استعداداً لإعدام أحد أفراد السرية الاولى . ارتطمت رصاصة بندقية ماكدونالد ، بمسدس صدام ثم انعكست باتجاه منطقة الحوض وانفجرت مهشمة عظم الحوض وكل المنطقة المحيطة بها .

علت صرخات صدام من شدة الألم ووقع على الارض يتلوى والدماء تنزف منه

بغزارة ، أما الذين كانوا من حوله فلاذوا بالفرار وعلامات الذعر بادية عليهم ، وأنتهز الجندي الذي كان ينتظر اعدامه هذه الفرصة وفرّ هارباً . لقد كانت جروح صدام واضحة للعيان وعويله يملأ الساحة . وبعد صمت دام ثانية واحدة عمت الفوضى ساحة الاحتفالات مرة أخرى .

فقد تمكن رجال السرية الاولى من الحرس الخاص بالهرب جميعاً وهبوا يبحثون عن اسلحتهم . ففتح رجال السرية الثانية النيران عليهم . ولكن تمكن عدد من افراد السرية الاولى من الوصول الى اسلحتهم فنشب قتال بين السريتين ، ادى الى مقتل آمر السرية الثانية ، ومع مقتله عمّت الفوضى بين أفراد الحرس الخاص .

وفي أقل من دقيقة واحدة قتل أكثر من ستين من أفراد الحرس الخاص وعدد كبير من الجمهور .

ومن بين الجنود الذين شاركوا في ساحة الاستعراض ، كان هنالك سرية من جنود المدفعية الثقيلة . كان هؤلاء الجنود من بقايا ثلاث فرق للمدفعية ساهمت في حرب الخليج العام ١٩٩١ . لقد تعرض هؤلاء الجنود الى قصف مستمر من طائرات B-52 الامريكية لأيام متتالية وهم في خنادقهم في الكويت وقد لاقى حوالي تسعين بالمئة من الجنود حتفهم نتيجة هذا القصف . كانت معنويات الجنود قد هبطت الى الحضيض .

بعد الحرب ، أعيد تنظيمهم في سرية واحدة بعد أن أضيف اليهم بعض الضباط من الحرس الجمهوري . كان جميع أعضاء السرية حاقدين على صدام حسين ويعتبرونه مسؤولاً عن الهزائم التي لحقت بهم وكانت مخابرات صدام تشعر بذلك ، حيث كانوا مجردين من اسلحتهم في مناسبات كهذه .

كان ردود فعلهم مشابهاً للآلاف من التكريتيين الذين انتشروا في انحاء الساحة مذعورين بعد ان فتح الحرس الخاص النيران من بنادقهم الرشاشة على الحاضرين ، ولولا ما شهدوه قبل دقائق ، لكان تصرفهم مختلفاً ، لاصطفوا مذعنين ، لا حول لهم ولا قوة لمواجهة مصيرهم . أما الان فالامر مختلف تماماً . لقد رأوا بأم عينيهم ما حصل ، ما زال الطاغية مرمياً على الارض دون حماية او حراسة ، وقد مد يديه في حركة يحمي وسطه الذي دمرته الرصاصة . . . وفجأة بدأ أحد الجنود بالضحك . . . وتبعه آخر . . . حتى انتاب جنود سرية المدفعية الثقيلة نوع من الهيستريا .

وبحركة لا شعورية انفجر الحقد الدفين على النظام وحراسه فهجم الجنود على من تبقى من الحرس الخاص ، ونالوا منهم بكل الاسلحة التي استطاعوا الوصول اليها .

وما أن رأى الحاضرين من التكريتيين شجاعة هؤلاء الجنود حتى تجمعوا حول صدام يهتفون «خائن تكريت» .

كان هاورد وماكدونالد وزيغلر يراقبون الاحداث وهم لا يصدقون ما يشاهدون ، انتفاضة تلقائية ضد صدام وحمايته! .

- «ترى ماذا يعملون الآن؟» تمتم هاورد وكأنه يتسآل مع نفسه .

مجموعة صغيرة من المدنيين غنموا بسيارة جيب عسكرية وهم الان يتجهون الى وسط الساحة ، يتبعهم مجموعة كبيرة من الغوغاء وهم يهتفون بصوت عالي . وفجأة تفرق الناس ليفسحوا المجال لسيارة الجيب ان تقترب من المنصة .

ولشدة الزحام لم ير الثلاثة في المخبأ ماذ ا يحصل في الساحة ، وفجأة ارتفع هتاف في الساحة .

- « سحل! سحل! سحل!»

عبرت سيارة الجيب الحشد الذي كان موجوداً أمام المنصة وبدأت تدور في ساحة الاستعراض ، تجر جسم صدام الذي كان مربوطاً بقدميه بحبل الى سيارة الجيب .

- «يا الهي» صاح ماكدونالد . . . وراقب الرجال الثلاثة سيارة الجيب وهي تسحب جثة صدام بسرعة فائقة . . . وهي ترتطم بالاحجار والاثاث وكل ما اعترض طريقها .

- «آن الأوان أن نرحل» قال هاورد .

وبسرعة فائقة جمع الرجال الثلاثة ادواتهم وعبوها في الحقائب التي كانوا سيحمولها على ظهورهم . كان هتاف الجماهير في الساحة القريبة يصم الآذان .

كان الغبار يتصاعد بكثافة حول ساحة الاستعراض . . . الى درجة لم يعد الرجال الثلاثة قادرين على رؤية ما يجري هناك . كانت الصور تتوالى في مخيلة ماكدونالد ، بينما سارع هاورد وزيغلر خارجين من المخبأ ومتوجهين صوب حقول النخيل المجاورة .

وفي الافق البعيد بدأ صراخ صدام يتلاشى تدريجياً . . . الى أن انقطع تماماً .

القسم الثالث

. . . وزال الظـل

٦٣

لم تُظهر صور JSTARS سوى وصول الطائرة المروحية عند الساعة الثامنة وتسعة وعشرون دقيقة بتوقيت العراق . ثم وصلت آخر الصور من الاقمار KH عند الساعة الواحدة والنصف بتوقيت واشنطن ونظر اليها كيرْون وقال :

– «انظر يا والتر ، فمن المؤكد بأن هناك ست سيارات ملتهبة هنا! انظر الى هذه السيارة الصغيرة . انها تدور حول هذه الفسحة هنا ، اما بقية العربات فلم تتحرك من مكانها . فما السبب لذلك؟ ولماذا تشتعل هذه السيارات؟

كان والتر سورنِنْ محتاراً لما شاهده وقال : «حسناً يا جون . لنحلل الموضوع ، قبل عشرين دقيقة كانت الامورمنتظمة . ثم جاءت الطائرة المروحية ولنقل بأن راكبها كان صدام حسين الذي جاء لتفقد قواته . ثم بعد خمس عشرة دقيقة هناك سيارة صغيرة تدور بمسار دائري وهناك ست عربات ملتهبة . فما الذي يحصل؟»

اجابه كيرْون بثقة : «لا بد انه قتل . فهل هناك تفسير آخر؟»

– «ربما جرت محاولة لاغتياله . وهناك سؤالان في ذهني هما اولاً كيف تمكنت جماعة صغيرة من الاجانب تحقيق ذلك؟ وثانياً هل قتل صدام فعلاً؟»

وأجابه كيرْون بدون تردد : «لقد قتل يا والتر»نظر اليه الدب بدهشة وقال :«وكيف عرفت ذلك؟»

فأجابه كيرْون وهو يصيح بحماس : «لم تتحرك الطائرة المروحية ، ولم تتحرك العربات الاخرى . فلو كان صدام ما يزال على قيد الحياة ، لخرج من هذا المكان بسرعة لقد قتل . لقد نجحوا!»

وتعالت صيحات الفرح من مجموعة المحللين في الغرفة فرفع الدب يده وصرخ فيهم :

– «اسكتوا! فهذه ليست مناسبة للاحتفال ، طبعاً لن يأسف احد لمقتل هذا الوغد ،

الا أن هناك قضايا اخرى في الميزان . لقد نجحنا بعملنا لحد الان ، الا أن عملنا لم ينته بعد .

فيجب علينا متابعتهم وانني لواثق بأنكم ستتمكنون من ذلك . هيا الى العمل!»

٦٤

هرب الثلاثة من مكان الحادث بسرعة دون أن يتخذوا أية اجراءات للتستر ، فقد كان رأي هاورد ، بأن العودة الى سياراتهم بسرعة فائقة هي اهم من أية اعتبارات اخرى . لم يحملوا معهم سوى اسلحتهم ، وكان هاورد يأمل أن يبدوا وكأنهم فئة من رجال الامن باللباس المدني . على كل حل ، فلم يلتقوا باحد ، اذ كان معظم سكنة تكريت قد حضروا المهرجان . وكان هاورد قلقاً بعض الشيء من عملية عبور الطريق الرئيسي كما كان في السابق ، الا أن الطريق كان خالياً من السيارات تماماً وعبروه بسهولة .

وعند الساعة التاسعة والربع اقتربوا من موقع السيارتين فاخرج هاورد جهازاً للارسال وقال فيها كلمة واحدة باللغة العربية «ثلاثة» . وجاء الرد بصوت بورن باللغة العربية أيضاً «اربعة» . وبعد خمس دقائق وصلوا الى المرتفع حيث مخبأ السيارتين ، وعند اقترابهم اشار هاورد بابهامه بأن العملية قد نجحت فاستقبلوه بحفاوة . ثم جاؤوا لهم بكمية من المياه ليغتسلوا وليبدلوا ملابسهم المتسخة التي كانوا يرتدونها لفترة ثلاثين ساعة في المخبأ الصغير وقال زيغلر «يجب أن نعلق قطعة في هذا البلد تقول «تحت ادارة جديدة» . لا اعرف من سيخلفه ، الا انني استطيع القول بأن نهايته كانت صعبة للغاية» .

وشرح لجماعة بورن ما جرى ، وعند الساعة التاسعة والنصف كانوا قد استعدوا للرحيل في السيارتين اللتين تغيرت مظهرهما تماماً ، اذ لم يكن هناك سبب للتخفي ، وصلوا الطريق العام واتجهوا فيه شمالاً نحو بيجي عند الساعة التاسعة وخمسة واربعون دقيقة .

وفي واشنطن كان ارتياح جون كيرْوِن كبيراً عندما التقطت JSTARS حركة السيارتين .

٦٥

كان الطريق خالياً من السيارات تماماً ، وكان بورن يقود السيارة الاولى وكان مضطرباً فقال لهاورد : «هل تتوقع أن تتم مطاردتنا بالطائرات؟»

فأجابه هاورد : «لا اعلم . ربما عمت الفوضى لفترة ويكونون مشلولين عن العمل . لقد شاهدنا بعض الطائرات المروحية طراز هند قبل موعد بدء المهرجان ، الا انها اختفت حال وصول صدام ومحتمل أن تكون لديهم اوامر بعدم الاقلاع لغاية ذهابه . وربما كان الطريق خالياً لنفس السبب . من يعلم؟ فقال بورن :

– «الحرس الجمهوري . هناك المئات من الجنود . من سيتكلم هذه المرة؟»

وأجابه هاورد : «لقد جاء دوري واتبعني انت فقد احتاجك لا تخرج من السيارة يا داني»

وتوقفت السيارتان امام الحاجز ونزل بورن وهاورد ليواجهوا عدداً من الجنود الذين وجهوا عليهم بنادقهم .

***

قال كيرْوِن بحزن «لقد قبض عليهم يا والتر . لقد نالوا منهم هذه المرة انظر!»

ونظر الدب الى الشاشة وبدا الامر واضحاً ، فقد سارت المجموعة نحو حاجز كبير على الطريق وقال بهدوء «اريد تصويراً من KH يا جون ، ولتكن المعالم واضحة قدر الامكان» .

واستمر بمراقبة الشاشة وايقن بأن كيرْوِن كان على حق ، فلا شك بأن هذه العربات الكثيرة العدد هي عسكرية ، لقد وصلوا اذن الى نهاية طريقهم .

***

نظر العقيد حسن عمير الى الملازم الذي دخل عليه بمقر القيادة وقال له بانزعاج «ماذا

تريد؟»

فأجابه الملازم بسخرية وهو يشير بإتجاه الطريق «أجانب . تعال» .

- «ماذا تعني؟ أي أجانب؟ ولتقف على استعداد عليك اللعنة لا تنسَ مع من تتكلم!»

وأجابه الملازم صالح مسعود وهو يبتسم بسخرية «انكليزي . . يريد أن يكلمك . . سيدي»

وقف العقيد وهو مندهش وتبع الملازم ليشاهد رجلين غريبين واقفين بقرب السيارة الاولى فإبتسم العقيد قائلاً لملازمه :

- «ألم تكن قد شاهدت مثل هذه السيارات من قبل؟ هل فحصت اوراقهم؟ لا؟ حتى هذه الامور البسيطة هي أكثر من قابليتك؟ ارجع الى موقعك ايها المغفل فسأقوم بذلك بنفسي»

ذهب الملازم صالح مسعود وهو مكفهر الوجه . واقترب العقيد من السيارتين وخاطب الرجلين قائلاً «صباح الخير» .

أجابه بورن بطلاقة «صباح النور»

وتكلم العقيد باللغة العربية قائلاً «اهنئك على طلاقتك باللغة العربية . سيسهل ذلك من حديثنا . هل يمكنني الاطلاع على اوراقكم الرسمية؟»

وأجابه بورن : «بكل تأكيد أيها العقيد . فلدينا كل اوراقنا بالسيارة الثانية وستجد بأن كل شيء على ما يرام» .

- «هل تتفضل . .؟» واشار الى السيارة الثانية ، فسار هو والعقيد نحوها .

قام زيغلر بفتح شباك سيارته وقال «أهلاً» فقال له بورن بالانجليزية «الاوراق يا مايك»

- «طبعاً» وأخرج زيغلر الملف من داخل السيارة وسلمها للعقيد . أخذها العقيد وأخذ يتفحصها ومن خلفه ثلاثة جنود يقفون بإستعداد ، فقال لبورن : «ومن اين جئتم يا سيد بورن؟»

- «لقد جئنا من بغداد إيها العقيد»

ثم قال العقيد وهو يتكلم باللغة الانكليزية

- «يا مستر بورن ، يؤسفني أن أخبرك بأني اتمكن من التكلم بلغتكم ، ومن القراءة

ايضاً . فقد اطلعت على مثل هذه الاوراق مؤخراً فقد جاءنا المستر كاي قبل بضعة اسابيع وأذكر بأنه كان مصدراً للازعاج . وكانت اوراقه منتظمة ، مع شديد الاسف . الا أن اوراقك هي ليست كذلك . فلا تخولك هذه الاوراق حق التواجد بهذه المنطقة من العراق» ونظر الى بورن بنظرة اتهام وقال «وما رأيك بكل ذلك يا مستر بورن؟»

وكان هاورد قد استغل فرصة اطالة العقيد بكلامه لان يقترب ببطء شديد ليحجب المجال بين العقيد والجنود الثلاثة . تحركت يد العقيد نحو مسدسه عندها همس زيغلر : «لا تفعل ذلك ايها العقيد» وقام باخراج بندقيته من الشباك» . فهذه بندقية كلاشنكوف مع كاتم للصوت ولو قمت بتحريك عضلة واحدة في جسمك فسأقتلك هل فهمتني؟»

فأجابه العقيد حسن عمير وهو يهمس بدهشة : «نعم»

وقال له هاورد : «حسناً . لنجرب اولاً أن نقوم بعمل بسيط . سأعطيك إشارة بعد لحظات وأريد منك عندئذ أن تلتفت ببطء نحو هؤلاءالجنود وتطلب منهم أن يعودوا الى مواقعهم . ولا تفكر بتحذيرهم ، فأن السيد بورن يفهم العربية بطلاقة ، كما تعلم ، وستؤدي اشارة صغيرة منه الى مقتلك فوراً ، هل انت مستعد يا أيها العقيد؟»

- «نعم»

- «حسناً . . نَفّذ الآن»

«والتفت العقيد وقال «أنتم الثلاثة ، أرجعوا لمواقعكم»

ورجع الجنود ، ثم قال هاورد «هذا جيد أيها العقيد . اما الآن فسنقوم بالسير ببطء نحو السيارة الاخرى وسيراقبك السيد زيغلر من هنا ، ويمكنك أن تشاهد السيد ماكدونالد بالسيارة الاخرى ، وهو يحمل بندقيته أيضاً . أتراه؟»

- «أراه» .

- «حسناً ، لنسِر الى هناك اذن . وعند وصولك أريدك أن تقف وظهرك الى الباب الامامية . أفهمت؟»

فهز العقيد برأسه ومشوا بضع خطوات الى السيارة الاولى ، ثم انحنى هاورد قليلاً ليتكلم من خلال الشباك وقال : «يا داني ، أريدك أن توجه بندقيتك الى رأس العقيد ولو قال لك جوني أن تقتله فاقتله فوراً . ولاننا يا عقيد سنجرب شيئاً أكثر تعقيداً . دعني أشرح لك ما سنقوم به» .

أستمع العقيد لشرح هاورد المفصل وهز رأسه بالموافقة ولكنه قال «لا أمل لك بالنجاح فيما تريد»

ابتسم هاورد وقال «لن نخسر شيئاً يا عقيد ، مثلما تعلم جيداً . نحن مستعدون للموت ، فهو أفضل بكثير من أن تلقوا القبض علينا . ولكننا لو متنا فسنقتلك أولاً ولا توجد ضرورة لذلك لو قمت أنت بتنفيذ أوامرنا هل فهمت؟»

- «فهمت»

- «حسناً . لتعط أوامرك الان»

- «هل أنت متأكد بأنك تريد هذا الضابط بالذات . .؟»

- «لقد كان شاكاً بنا وأريده حيث يمكنني رؤيته . ليأت حالاً ليستلم أوامره منك»

فالتفت العقيد وهو يرتعش وأشار لأحد الجنود الواقفين بالقرب من الحاجز وقال «إذهب وأحضر الملازم صالح مسعود فوراً» وركض الجندي فوراً ليعود بعد دقائق مع الملازم .

وحين سماعه لاوامر العقيد أكفهر وجه صالح مسعود وجرب أن يقاطع كلامه ، الا أن العقيد وجد نفسه بين تهديد هاورد ، وقلة احترام الملازم فإنفجر يصرخ بغضب «اسكت نفذ أوامرك! اذهب لتهيئة العربات الان!»

فما كان من الملازم الا أن ينفذ فسأل هاورد «أكان كل ذلك صحيحاً يا جوني؟»

- «كل شيء كان كما طلبت»

- «حسناً هيا يا عقيد . لقد أحسنت فعلاً لحد الآن . والآن ستجلس هنا بالقرب من السيد بورن وسنكون أنا والسيد ماكدونالد في المقعد الخلفي . أخبر الملازم بأننا سنقود القافلة ، ويتبعنا هو بالعربة المصفحة وستتبعه سيارتنا الثانية أما الشاحنتان فسيكونان الى خلف القافلة . هل فهمت؟»

- «اذا كانت هذه هي رغبتك»

نظر اليه هاورد وقال بخشونة «هذه هي رغبتي»

وعندما أعطيك الامر ، احضر كل القادة وأخبرهم بما سنقوم به بشكل مقنع وربما لن نقتلك» ، وبعد مضي عشر دقائق أكتمل عدد القافلة وكانت كل شاحنة تحمل خمسة عشر جندياً . ثم جاء الملازم ومعه عريفان فقال لهم «لهؤلاء الاجانب الصلاحية للذهاب

الى الحدود الاردنية الى نقطة طريبيل ثم لعبور الحدود وقد قررت أن ارافقهم بقافلة اعتيادية لأضمن وصولهم بشكل آمن وسيقوم الملازم عزيز علي بقيادة الوحدة لغاية عودتي وسيكون ذلك صباح الغد . والان ارفعوا الحاجز»

قاموا بتنفيذ امره ورحلت القافلة .

والتفت أوشر الى أكفورد وقال :

- «يبدو اننا نجحنا بالعبور» .

***

نظر جون كيرْوِن الى صور الـ JSTARS وشاهد قافلة العربات تتحرك . ثم انتبه بأن احدى السيارتين (اللاندكروزر) تتقدم القافلة ، وتوقع بأن الجماعة قد أُسرت ولكنه لم يستطع أن يجد تفسيراً لما يحصل على الارض! . لماذا لم يقاوموا ولو قليلاً بعد أن كانوا قد تجاوزوا العديد من العراقيل وشارفوا على النجاة؟ التفت جون كيرْوِن الى معاونه وطلب أن يتابع سير القافلة على الـ JSTARS .

وراح كيرْوِن يدرس صور الـ KH مرة اخرى ، والساعة تشير الى العاشرة وسبعة وثلاثون دقيقة صباحاً بتوقيت العراق وكانت هذه هي اول مرة تظهر فيها السيارتان بوضوح النهار . لقد تغير فيها شيء ما ، ولم يستطيع ان يشخص ما هيّة التغيير . فالتفت الى سورنن وقال :

- «هل قيل لنا بأن سيارتي الاسعاف كان لونها اخضر يا والتر؟»

- «هكذا اخبرنا الرجل في السعودية» .

- «طبعاً لا يمكننا معرفة الالوان من صور الـ KH ، الا انني افترض العربات العسكرية العراقية هي خضراء ، ولذلك فان هاتين السياراتين هما بلون آخر» .

- «ربما كانت العربات العراقية باللون الترابي»

- «لا يهمني ذلك . فهاتان السيارتان افتح لوناً منها حتى لو كانت ترابية اللون . أعتقد بانهم أعادوا طلاءها»

- «وماذا لو فعلوا؟ وعلى أية حال كيف لهم أن يقوموا بذلك وسط الصحراء؟ ولماذا لجأوا الى هذا الاجراء؟»

فأجابه كيرْوِن «لا بد ان لديهم خطة ما . لماذا اذن يسيرون بإتجاه الحاجز بوضوح

النهار؟ كان بإمكانهم أن يسيروا ليلاً كما فعلوا في السابق . لقد تأكدت الآن أن لديهم مخططاً ذكياً آخر!»

فأجابه الدب بهدوء : «اسمع يا جون . ما هي الفائدة أن تكون السيارتان بألوان أخرى؟ سيلقى القبض عليهم في جميع الاحوال أليس كذلك؟»

فقال كيرْوِن : «ألم يذهب ضابط الـ CIA من الرياض الى بدانه؟ ألم يخبرنا هو بأن السيارتين كانتا باللون الاخضر؟ دعني أكلمه الآن!»

- «حسناً يا جون . ولكني لا أفهم ما تريده»

قام كيرْوِن بالاتصال بالسفارة الامريكية في الرياض وتكلم مع القن كننغز . فأجابه ضابط المخابرات الامريكي على اسئلته حول مشاهداته في بدانه وأخبره مرة ثانية عن الورشة والسيارة الرابعة فيها والتي كانت قد استخدمت للتمرين على استعمال جهاز رش طلاء اخضر وكان هناك لون آخر .

وضع كيرْوِن السماعة وهو مازال محتاراً من الامر وقال :

- «الطلاء الابيض يا والتر . لماذا يكونون قد استعملوا ذلك . أية وحدة عراقية تستعمل الطلاء الابيض . .؟»

ثم صرخ بحماس «يا الهي ، هؤلاء الرجال الشجعان! يالها من رواية! لقد إنتحلوا شخصية فريق التفتيش للامم المتحدة!»

٦٦

جلس العقيد حسن عمير في السيارة اللاندكروزر الامامية وهو يفكر بما جرى له . فقد أيقن بعد فوات الآوان بأنه قد اخطأ بسماحه للاحوال بالتدهور الى هذا الحد ، ولكن الاجانب كانوا قد فاجأوه فعلاً ، ثم فهم أحدهم للغة العربية كان قد حدد كثيراً من قابليته على القيام بشيء .

لم يشك لحظة في عزمهم على قتله لو كان قد أظهر نوعاً من المقاومة . وكان المدعو هاورد على حق من ناحية ما سيفعله به رجال المخابرات العراقية لو قبضوا عليه . أما هو فكان مشمئزاً من المخابرات ومن أساليبها وفي نظره فأن تصرفات مجموعته اشبه بالحيوانات المتوحشة . كما أنه كان يكره صدام حسين ونظامه ، وما كان إخلاصه هو ومعظم رفاقه للرئيس يتعدى الكلام ، الكلام الذي لا يعنيه احد .

فقد كان الجميع يكرهون صدام ، الجميع عدا الاغبياء وأشباه البشر من أمثال صالح مسعود الذي ما كان يوماً سيترقي من رتبة عريف دون إنصياعه المطلق للحزب الحاكم . هؤلاء الذين فرحوا بالانباء التي كان قد زفها اليهم قائدهم عن الانتصار الكبير الذي حققه العراق ضد الحلفاء .

ولكن العقيد كان محتاراً بأمر هؤلاء الجواسيس الاجانب . فمن يكونون؟ ومن أين جاؤوا بهذه العربات للامم المتحدة؟ فقد كانت مقنعة حقاً ، وتحمل اشارات الامم المتحدة وحرفي (UN) سوداوي اللون على الابواب وأعلاماً زرقاء .

فهل جاؤوا من بغداد حقاً؟ فالطريق الى الجنوب يؤدي الى سامراء وكان العقيد قد أرسل بسريته لحراسة محطة بيجي للكهرباء ، أما بقية فرقته ، (فرقة توكلنا على الله للحرس الجمهوري) فما زالت في كركوك تتصدى للاكراد البؤساء . وكانت سرية أخرى قد قطعت الطريق شمالي سامراء . فلا بد لهؤلاء الجواسيس أن يكونوا قد

إلتحقوا بالطريق في نقطة الى الشمال من ذلك ربما في الدورة أو . . يا الهي! تكريت! .

لا بد أن لإحتفالات اليوم علاقة ما بالموضوع . قد يكون صدام نفسه قد زار تكريت اليوم .

كان ذلك هو تفسيره الوحيد . فهل قام هؤلاء بمحاولة لأغتيال الرئيس؟ وقام هاورد بقطع سلسلة أفكاره وقال :

- «ماذا حصل هنا يا عقيد؟ وأشار الى بناء مهشم داخل سور حديدي»

لا أعرف . دمار الحرب . لماذا تسأل؟»

«مجرد حب للاستطلاع» وكان هاورد يبتسم اذ أنه قد شاهد ملامح الرجل الهرم وهو يشير الى مكان المنحنى ويشرح حادثة القصف الصاروخي لمجموعة من المتفرجين . وفرح هاورد حينما أدرك بأن الرجل الكهل قد نجا بحياته ، وبعد نصف ساعة إستدار بورن وخرج عن الطريق قبل وصولهم الى النهر بقليل . فسأله العقيد :

- «أين نذهب الآن؟»

- «ان الجسر قد دمر يا عقيد . علينا أن نعبر بالعبارة»

- «وكيف تعرف ذلك؟»

- «من الصور الجوية يا عقيد»

- «فهمت»

التفت بورن للعقيد عند وصولهم الى نقطة العبور وقال له : «اخرج من السيارة ببطء يا عقيد ولو نزل أحد من الجنود فأمرهم بالبقاء بعرباتهم»

وكان هناك عريف يدير العبّارة وعند مشاهدته لضباط من الحرس الجمهوري يريدون العبور فتح الابواب بسرعة ولم يتكلم أحد بكلمة أثناء عملية العبور . وفي الجانب الاخر كانت قرى حديثة والحقلانية وبني ظاهر تعج بالناس . واندهش العقيد عندما قام هاورد بإضاءة الانوار الزرقاء على سقف السيارة وتشغيل جهاز التنبيه ، فهرع الناس للخروج من طريق القافلة الغريبة الشكل . وعند الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، كانت القافلة على طريق الرطبة يقتفون نفس أثر دخولهم قبل ثلاثة أيام . كان هاورد مرتاحاً من الامور عدا مشكلة العقيد ، فمن الجائز انه تمكن مراجعة الموضوع بذهنه وعليهم اذن أن يستمروا بمراقبته .

٦٧

نظر رئيس القسم لكيرْوِن وقال :

- «هل انك متأكد من ذلك؟»

- «في غاية من التأكد يا سيدي ، هل أريك نتائجي؟»

- «تفضل»

أشار كيرْوِن الى صور الستلايت وقال :

- «ها هم عند الحاجز يا سيدي . توقفوا هنا لعبور النهر وقد قمنا بمتابعتهم منذ ذلك الحين»

- «وكيف عرفت بأنهم ليسوا قيد التوقيف؟»

- «لسببين يا سيدي ، الاول هو انهم لو كانوا قد اعتقلوا لأعيدوا الى بغداد في الاتجاه المعاكس وثانياً انهم يقتفون أثر طريق دخولهم ولا يجوز أن تكون هذه صدفة»

- «نعم يا سيدي . أتفق معك تماماً»

فهز مارتن فاغا رأسه وقال : «أعتقد بأنكما على حق لاعتقادكما بأنهم قد انتحلوا هوية فريق للامم المتحدة . فلو لم يكن الامر كذلك لقتلوا على الفور من قبل رجال الجيش العراقي مجرد وجودهم داخل العراق .

وبالاضافة الى ذلك لن يقوموا بمخالفة احدى أقدم القواعد العسكرية لو لم يكونوا قد غيروا مظهرهم تماماً واصبحوا فعلاً وحدة عسكرية اخرى . فالقاعدة العسكرية هي ألا يخرج الفريق من منطقة العدو بنفس طريق دخوله مهما كلف الامر ، ويجب المرور بطريق آخر ولا بد أن هؤلاء الرجال على علم بذلك ولن يجازفوا بالمرور بنفس الطريق مرتين إلا في حالة تغير هويتهم ومظهرهم كلياً» .

ابتسم واستمر بحديثه قائلاً : وسأقول مرة اخرى يا كيرْوِن ، بأنك قد أبدعت بعملك

بهذا الموضوع ، وأنت أيضاً يا والتر . وسأذهب الآن لاحضر اجتماع مجلس الامن القومي وسأخبرهم بآخر التطورات . ولابد بأنهم سيندهشون لسماعهم عن سيارات الامم المتحدة ، ولا أعتقد بأنكم تجهلون مدى خطورة هذه المعلومات ، فكشفها سيؤدي الى فضيحة كبرى . على كل حال استمروا بالمراقبة وأشكركم على جهودكم» .

وغادر المكتب متجهاً الى مقر الاجتماع .

٦٨

جلس الرجل الطويل النحيف ذو الشعر الاحمر على رأس الطاولة الطويلة وكانت عيناه الصغيرتان تنظر بوجوه رفاقه ولاحظهم وهم ينظرون اليه والرعب ظاهر على وجوههم . كانوا خائفين ، بلا ريب ، ما عدا وزير الخارجية الاسبق الذي كان يبتسم . أم هل كان هو خائفاً أيضاً؟ فقد صعقوا قبل دقائق بالخبر وخيمت عليهم غمامة من الرعب . فعليه اذن أن يتحرك بسرعة ، كالافعى ، عليه أن لا يعطيهم فرصة للتفكير والمناورة . فقد كان ذلك أمله الوحيد .

وكان قد كسب نصف المعركة ، اذ جلس الآن على الكرسي ، ذلك الكرسي الذي لم يجرؤ أحد من قبل الجلوس عليه ، ولم تكن معاني جلوسه هذه خافية على الاخرين ، فقد نظروا اليه بدهشة وهو جالس هناك عندما دخلوا القاعة ، ولا بد أنهم عرفوا أطماعه على الفور .

كان هو نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة ، والوريث التلقائي للمنصب ، ولكنه كان على يقين بأن الامر لم يكن كذلك . فلو كان لاحدهم أن يسمع بالخبر قبله لجرب هو أن يجلس على الكرسي بدلاً منه هو ، عزت ابراهيم الدوري! . إلا أن سعدي طعمة عباس ، (وزير الدفاع الاسبق) ، كان قد سمع بالخبر اولاً . فقد كان عزت قد قضى وقتاً طويلاً ينمي علاقته معه ، وأوهمه بأن نفوذه هو ذو تأثير على مكانته السياسية . وكان ولاء سعدي قد تأكد له بعد أن كان عزت قد نشر اشاعة حول حالته الصحية مفادها أنه سيحتاج في القريب العاجل الى عملية جراحية كبيرة وسيحين موعد تنازله عن منصبه ، وسيكون تنازله لسعدي طعمة عباس . التفت اليه عزت وقال : «يا أخ سعدي لقد فجعنا لسماع هذا الخبر . هل لديك ما تضيفه؟»

– «لا مع الاسف يا أخ عزت ، فالتفاصيل ما زالت مبهمة» . وشرح بعض المعلومات

التي وصلت الى سمعه ، ونظر عزت الى الجانب الآخر من الطاولة وشاهد أن اثنين من رفاقه كانا في غاية من التوتر . كان حسين كامل وعلي حسن المجيد وزير الدفاع الذي خلف سعدي غاضباً لانه لم يكن قد سمع بالخبر قبل الآخرين والاخر النائب الاول لرئيس الوزراء طه ياسين رمضان وكان هو الاخطر ، حسب رأي عزت . وأيهما يا ترى كان سينفجر أولاً؟

ضرب طه ياسين بيده على الطاولة وألقى نظرة مسمومة بإتجاه سعدي طعمة عباس وقال : «أتعني بأن هذا كل ما تستطيع قوله؟ بأن الاخ الحبيب الرئيس قد أغتيل وهناك انتفاضة؟ انتفاضة؟ في تكريت؟ ماهي الادلة على ذلك؟ وما هي الاجراءات التي تتخذونها؟»

وصرخ حسين كامل ، وهو زوج أبنة صدام حسين قائلاً :

- «ولماذا لم أُخبَر بذلك فوراً؟» ونظر عزت ابراهيم الى وجهه وقد بانت مشاعر الخوف تطغي على مشاعره الاخرى ، اما صراخه هذا فكان مجرد اسلوب للتمويه على ذلك . فقد كان خائفاً بكل وضوح .

وانهالت الاسئلة على سعدي طعمة عباس ولم يتمكن من الاجابة عليها بشكل مقنع . أما عزت فلم يقل شيئاً . وبعد فترة رفع يده وقال :

- «اخواني ورفاقي أعضاء مجلس قيادة الثورة ، يؤسفني أن أقول بأن هذه الاخبار صحيحة على الرغم من وجود نقص في تفاصيل الحادث . ويجب علينا أن نرغم أنفسنا على التصديق بأن القائد المناضل صدام حسين قد وقع ضحية لمؤامرة غادرة . أستطيع أن اؤكد لكم بأنه قد سافر الى تكريت صباح اليوم ، وأنه لم يعد الى بغداد في الموعد المحدد ولم تعد طائرته المروحية بل قيل انها قد دمرت . وكما قال الاخ سعدي طعمة عباس ، فقد فشلنا في المحاولات للاتصال بقائد الامن الخاص في تكريت . الا أنه كان هناك شهود لأحداث اليوم . فقد نجا بحياته قائد الفوج الثالث لفرقة المدينة المنورة للحرس الجمهوري وتمكن من الهروب مع بعض أفراد قيادته . وقد أجرى كبار رجال المخابرات تحريات معهم . وقد روى كافة الرجال نفس الرواية قبل أن يتم اعدامهم . تكريت هي في حالة فوضى وقد أرسلت القوات لاخماد الانتفاضة ، فقد أمرتُ بمحاصرة المدينة ولن تصدر أية معلومات عن الحادث إلاّ عن رئيس الفرقة وسيقوم هو

بابلاغ هذا المجلس بالاحداث مباشرة» .

وألقى عزت بنظرة اخرى على وزير الدفاع علي حسن المجيد ، الذي كاد ينفجر غضباً لسماعه بفقدان نفوذه على قواته . ابتسم له عزت ابتسامة عريضة وقال له «لقد وثقت يا أخ حسن بأنك ستتفهم حاجتي لاستعمال نفوذي كنائب القائد العام للقوات المسلحة دون اللجوء اليك . لقد فهمت بأنك كنت منشغلاً بأعمال مهمة . . في شارع الخلفاء» .

وكشر عزت عن أنيابه الصفراء . فقد كان يعلم عن محل تواجد حسين كامل . وفجأة اصفر وجه حسين كامل وبدت عليه علامات الدهشة والتعجب . فقد كان عزت مسروراً لحصوله على هذه المعلومات التي كان يجهلها حتى قصي ، الابن الاصغر لصدام حسين والمسؤول عن الأمن الخاص لصدام . فلم يجرؤ أحد على اخبار قصي بأن زوجته كانت على علاقة بزوج أخته ، ولكنه كان هو على علم بالموضوع .

وتكلم حسين كامل بعد برهة وقال : «لقد كنت محقاً بلا شك بإتخاذك هذا القرار يا أخ عزت» .

فقال له عزت : «أشكرك ، فالسؤال البسيط الذي يواجهنا اذن هو : ما هي الخطوات التي يجب اتخاذها لتجنب تفجر الوضع الداخلي؟ الجواب ، حسب ما أعتقد ، هو بسيط ايضاً ، يجب أن تكون هناك استمرارية في القيادة . ويجب أن تكون القيادة في غاية من القوة أثناء هذه المرحلة الصعبة التي يمر بها شعبنا العظيم ويجب أن نتمكن من قمع كل حركات التمرد أينما حصلت . وفي هذه الظروف المفجعة ، فأنه من دواعي سروري أن أخدمكم أنتم يا اخواني وأتوقع منكم دعم القيادة بحسب ما تتطلب الظروف» .

ها هو اذن قد أفصح عنها . لن يشك أحد بعد بطموحه . ونظر كالصقر الى وجوه رفاقه الجالسين حول الطاولة .

وجاءت اولى علامات التمرد من جهة غير متوقعة ، حيث علق وزير الداخلية ساخراً «لا أعتقد بأن أحداً منا سيشك ، يا أخ نائب الرئيس ، بأن البلاد بحاجة الى قيادة قوية . المسألة هي بكل بساطة ، أن نحدد تلك السياسات التي ستتطلب القوة والخبرة» .

وقد اندهش عزت لما سمعه . فلم يكن متوقعاً لاعتراض بهذا الشكل من قبل علي حسن المجيد .

علي حسن ابن عم صدام وكان عزت قد فهم ما يقصده بتعليقه هذا . فقد كان هذا الكلب المسعور قد أظهر وحشية لا مثيل لها بعدة مناسبات . فكان سجله حافلاً بالقوة والبطش ، فهو الذي أمر بالهجوم على الاكراد بالاسلحة الكيمياوية عام ١٩٨٨ ، وهو أيضاً الذي أختاره صدام ليكون محافظاً على الكويت بعد غزو عام ١٩٩٠ . فقد أشرف ، بمعونة أحد جلاوزته ، علاء حسين علي على انتهاك حرمة «المحافظة التاسعة عشرة» ، ثم عين بمنصب وزير الداخلية ليشرف على قمع التحركات الشعبية في الشمال والجنوب والتي كانت قد انطلقت عقب هزيمة صدام على يد جيوش الحلفاء . فكان أكثر أعضاء القيادة خبرة في إخماد الانتفاضات الشعبية ، فهل يحاول ترشيح نفسه للرئاسة الآن؟ لم يعتقد عزت بأنه سيفلح فله أعداء كثيرون ولن يَدَعُوه يستولي على السلطة . وعلى الرغم من غضبه لتلقيبه بنائب رئيس الجمهورية ، فقد قرر عزت أن يترك الباب مفتوحاً أمام الآخرين ليعرقلوا أمور ترشيحه .

وفعلاً ، بدأ طه ياسين رمضان هذه العملية . فقال :

- «ان أخانا وزير الداخلية محق في قوله من ناحية واحدة ، فإن الخبرة في تنفيذ الحكم لهي من أهم المتطلبات . إلا أن الخبرة بالامور الداخلية وحدها لن تكفي فلنا أعداء سيحاولون إستغلال الظروف المفجعة التي حلت بالعراق . وعلينا أن نواجه المعتدين الاجانب مقتدين بمبادئ القائد الراحل صدام حسين ولذلك سنحتاج الى قائد يتمتع بالخبرة بالشؤون الداخلية والخارجية ايضاً» .

اندهش عزت الدروي لسماعه هذا الكلام . فقد وضع طه ياسين رمضان نفسه بين يديه دون أن يرشح نفسه هو للرئاسة ، اذن فقد تكلمت كافة الشخصيات الطموحة وقد انتهى النقاش! سيكون ترشيحه مقبولاً .

وفاجأه طارق عزيز نائب رئيس الوزراء والابتسامة على شفتيه . «لقد أحسن الاخ طه بكلامه . وفعلاً ، فإن الخبرة المطلوبة هي كبيرة جداً . ولذلك أعتقد بأن منصب رئيس الجمهورية يجب أن يظل خالياً في الوقت الحاضر» .

تعجب عزت ابراهيم لهذا الكلام ، كما تعجب معظم الحاضرين . ولكنه لمح طه ياسين وهو يبتسم وبدت عليه علامات الارتياح فعرف على الفور بأن الرجلين كانا قد اتفقا مسبقاً . خيانة! ولكن ، ما الذي يريدانه؟ واستمر طارق عزيز بكلامه قائلاً : «فان مجرد

النقاش بإحتمال حصول تبدل في الرئاسة بهذا الشكل سيؤدي الى انفجار سياسي ، لا أقصد بأنه لا يوجد أحد منكم يصلح للمنصب بل على العكس فانني سأتشرف بخدمة عدد من السادة الحضور بأية صفة يختارونها لي ، بل أن مجرد حصول تغير ولو ظاهرياً سيؤدي الى كارثة سياسية في الاوضاع الراهنة . فمهما كانت قوة الرئيس الجديد فان منصب الرئاسة نفسه سيهتز ، ولذلك يجب أن نستمر بدون أية تغيرات ظاهرة» .

صرخ عزت : «هذا هراء! كيف نستمر وصدام نفسه قد مات؟»

لم يتوقف طارق عزيز عن الابتسامة والتفت الى طه ياسين رمضان قائلاً «اخي طه ، كم من الطواغيت لدينا؟»

وابتسم طه قائلاً : «هناك تسعة ، منهم خمسة يشبهون الاخ القائد بشكل عابر وكانوا يستعملون في المواكب الرسمية فقط لمنح الشعب فرصة القاء نظرة خاطفة على قائدهم الحبيب . وهناك اثنان يتمكنان من القيام بالمراسيم والظهور امام عدسات التلفزيون ليثبتوا للشعب بأن القائد العظيم لا يخاف من الاختلاط بأبناء شعبه ، أما الاثنان الاخران فهما احسن من الاخرين وقد اجريت عليهم عدة عمليات جراحية ، الاول هو الطاغوت بكر عبد الله» .

فصرخ عزت ابراهيم «وهو قد مات ، فقد قتل اليوم مع رئيس الجمهورية» .

اندهش طه ياسين واصفر وجهه وقال : «وكيف عرفت ذلك؟»

مثلما عرفت عن حادثة الاغتيال طبعاً . من استجواب الشهود . على كل حال فلماذا الكلام عن الطواغيت الآن؟ ما هي الفائدة من ورائهم؟ يجب التخلص منهم»

وقال طه «بالعكس ، فقد أصبحوا مهمين لاستقرار العراق . وقد قمنا أنا والاخ طارق عزيز اليوم بمناقشة هذا الموضوع . تأخرت البعثة الدبلوماسية الايرانية في عودتها من تكريت . والحقيقة فان الانباء عن الطاغوت بكر عبد الله هي مؤسفة ، ولكننا سنتمكن عن الاستعاضة عنه . الموضوع المهم هو أن الاخر ، وهو الطاغوت محسن هاشم ما زال تحت تصرفنا ، وهو أحسنهم على الاطلاق» .

وقال عزت وكان الارتباك ظاهراً عليه «وماذا بالضبط تريدون عمله؟»

«بكل بساطة ، فلن يصدر أي بيان عن حادثة الاغتيال . بل ، لن يصدر أي بيان على الاطلاق . وبعد مضي يومين او ثلاثة سنقوم بتصوير فيلم يمثل فيه الطاغوت محسن

هاشم دور الرئيس . فهو مقتدر من ذلك وقد أشرفت على تدريبه بنفسي تنفيذاً لاوامر أخينا الراحل صدام حسين ، الذي كان يريده أن يحل محله في اداء المراسيم المتكاثرة التي بدأت توكل الى سيادته رحمه الله دون أن يضطر هو للحضور شخصياً . لن يعرف أحد عن الموضوع . ثم سنقوم بإعدام كل الخونة والشهود ومن يعتقد بأنه قد سمع بأحداث اليوم . كما نقوم بإعدام كل من سيعمل بعملية التحقيق بالحادث . وسيأخذ الطاغوت محل الرئيس» .

فقال عزت ابراهيم مرتبكاً «وهل يحضر هذا الطاغوت اجتماعات هذا المجلس؟»

«طبعاً لن يحضر ، فسيتلقى الاوامر منا فقط»

«ومن سيوصل له هذه الاوامر؟»

«لا أهمية لذلك . طبعاً ستكون الاوامر نفسها مهمة ، إلاّ أن عملية إيصال الاوامر ليست كذلك . وعلى كل ، لو كنت مهتماً بذلك الى هذا الحد ، فلماذا لا تقوم أنت بإيصال الاوامر بنفسك؟»

خيم السكوت على الجميع لسماعهم هذه الاهانة الكبيرة التي كان طه ياسين قد وجهها لعزت الذي كاد ينفجر غضباً وصرخ بصوت عالٍ :

«هذه الفكرة في غاية من السخافة! يا لها من خيال! لَن تفلحوا بهذا! وهل سيحمل هذا الطاغوت مسدس السيد الرئيس ايضاً؟»

فضرب طه ياسين الطاولة بيده صارخاً «لا! ليس ذلك ، فالقانون يجب أن يراعى ، وعلى الطاغوت أن يفهم بأنه مجرد خادم للمجلس ، وألا يتعامل بطريقة خاصة تدعو لنفسه أية أهمية سياسية . وربما بعد مرور بضعة شهور ، ولو كان سلوكه جيداً فسيسمح له بحمل المسدس ، ولفترة محدودة فقط ، من أجل الحفاظ على المظهر العام . يجب أن تنجح هذه الخطوة يا أخ عزت ابراهيم ، لانها لو فشلت فأن مصيرنا كلنا هو . . الموت!»

٦٩

لم يكن الملازم صالح مسعود يشعر بالارتياح . بل كان قلقاً ومتوتراً ، اذ أنه لم يكن يفهم معنى مرافقه الحرس الجمهوري لهؤلاء الاجانب . وكان قد لمس من جنوده مشاعر مماثلة ، مشاعر كان بامكانه استغلالها للانتقام من العقيد حسن عمير . فكم كانت كراهيته للعقيد المغرور . وها هو ، جالس بالسيارة المريحة يتبادل أطراف الحديث مع هؤلاء الاجانب وقد تركه هو ، بالمصفحة الروسية الصنع ، التي تلتهب الحرارة في داخلها ويكاد دوي ماكنتها العالي يفقده صوابه . لقد قرر الملازم ان يأخذ المبادرة ، سوف يتحرك بعد نصف ساعة من الآن ويوقف القافلة .

ولم ينتبه الملازم بأن القافلة قد مرت من الرطبة وبأنها اتجهت جنوباً .

أما العقيد حسن عمير فقد انتبه فوراً لما جرى ، اذ كان ينوي التحرك ضد جماعة هاورد عند نقطة طريبيل . أما الآن فهم يتجهون جنوباً نحو الحدود السعودية . كان عليه أن يفكر سريعاً بخطة بديلة .

٧٠

بخلاف مرؤسه العنيد ، فقد أحس العقيد حسن عمير مباشرة بما حدث له ، وكانت الحادثة قد فاجأته فعلاً . لم حصل أي نقاش بين هاورد وبورن ولم يكن هنالك أي مؤشر بأنهم سوف لن يسلكوا الطريق الى طريبيل والذي يعتبر المسلك المنطقي لأية جماعة تحاول ترك العراق .

وفجأة غيروا اتجاههم نحو الجنوب ، فتلاشت خططه التي كانوا ينوي اعتمادها لاعتقال هؤلاء الجواسيس عند وصولهم الى طريبيل وكان عليه أن يفكر بشيء جديد ، إلا أنه قرر أن يتصرف وكان لا يعلم أنهم غيروا اتجاههم ، لئلا يثير شكوكهم . كما كان يأمل في قرارة نفسه أن لا يتورط الملازم صالح مسعود بإثارة الشبهات . . أو حتى باستخدام المدفع الرشاش الذي كان يحمله .

نظر العقيد حسن الى هؤلاء الاجانب فرآهم يقومون بعمليات غريبة . فقد هم سائق السيارة بإرتداء خوذة غريبة الشكل كانت قد الصقت بها ما يشبه عدسات التكبير ، وأخذ السائق يعدل عدسات الرؤية الليلية بعد أن كان قد وضع الخوذة على رأسه ببطء . وكان هاورد ، الجالس الى الخلف منه يرتدي خوذة مماثلة ، وهنا حدث شيئان في آن واحد تقريباً ، حيث توقفت الشاحنة الخلفية فجأة ، مما لفت نظر بورن فقرر العقيد على الفور بأن الفرصة قد أتيحت له للتحرك . فقد تكون هذه هي الفرصة الوحيدة له لأن ينبه رجاله ويلقي القبض على هؤلاء الجواسيس ، فمد يده بسرعة وسحب عجلة القيادة بشدة فخرجت السيارة عن الطريق . كان بورن قد تفاجأ تماماً بهذه الحركة حيث انشغل بتعديل العدسة ، أما هاورد فكان مستعداً وقام على الفور بتسديد ضربة قوية من جانب كفه لرقبة العقيد وأفقده وعيه .

لم تدم الحادثة أكثر من أربع ثوان إلاّ انها أدت الى إبتعاد اللاندكروزر مسافة سبعين

ياردة عن بقية القافلة التي كانت قد توقفت . فقال هاورد : «إرجع الى الخلف يا جوني . إرجع ببطء .أتوقع مشاكل! استعد للخروج من السيارة يا داني ، عندما أعطي الاوامر» .

وكان كل من زيغلر وأكفورد وأوشر قد أدركوا فوراً بأن الامور قد تأزمت ، إلاّ أنه انتظر بسيارته وقال وهو متوتر .

- «لا تتحركوا . لنتحرّ الامر أولاً» .

وخرج الملازم صالح مسعود من مصفحته فور توقفها . فقد قرر أن العقيد يعترض على الموضوع بأكمله ، وانتظر عودة سيارته الى الطريق لبضع ثوان ، ثم قرر أن يشغل الوقت في إفهام هؤلاء الاجانب في السيارة الثانية عن مشاعره ومشاعر جنوده تجاههم . فذهب الى السيارة وصرخ لزيغلر «اخرجوا من السيارة!» .

سحب زيغلر مسدسه على الفور واطلق النار على رأس الملازم ، وقال «اخرجوا الآن» ، فقفز الرجال الثلاثة بخفة من السيارة ، تاركين جثة الملازم ممدة على الارض بجانبها .

وكان العريف في الشاحنة الاولى مقاتلاً في الحرب العراقية - الايرانية وكان قد تعرف على صوت الكاتم الخافت وقال لرجاله «اخرجوا على الفور» وهمّ بالخروج بسرعة ولكنه ما أن أخذ خطوات قليلة الى الخارج حتى قتل من انفجار قنبلة يدوية كان قد رماها أكفورد .

وفي تلك اللحظة ، وقبل أن يتمكن الجنود في الشاحنة الثانية من الخروج ، فقد كان هاورد قد نزل وبيده قاذفة الصواريخ RPG7 ، استلقى على الارض وصوبها على الشاحنة الثانية وانفجرت على الفور ، وفي تلك الاثناء كان بورن يوجه قاذفة القنابل اليدوية على المصفحة التي نشب فيها حريق وتفجرت مع من فيها من جنود .

أستمر أكفورد وأوشر باطلاق النار من بنادقهم الرشاشة من طراز كلاشنكوف على الشاحنتين ، ولم يترك مجال للجنود للفرار حتى قتلوا داخل الشاحنتين . التفت زيغلر الى ضوء الشاحنتين وأطلق عليهم النار ، فأطبق ظلام دامس على المنطقة . لم يبق سوى ضوء السيارة المصفحة ، إلاّ أنها كانت تؤشر بالاتجاه المعاكس . أما سائق السيارة المصفحة ، فقد نهض بصعوبة بعد أن أصيب في الانفجار الأول وصعد على السيارة ، ثم بدأ يرمي بشكل عشوائي باتجاه سيارة هاورد اللاندكروزر ، والتي كانت ترجع خلفاً باتجاه المصفحة . ثلاث اطلاقات أصابت اللاندكروزر فخرجت عن الطريق ثم انقلبت

واشتعلت فيها النيران .

شعر ماكدونالد فجأة بألم شديد في ساعده الايمن . كانت الضربة من الشدة بحيث سقطت بندقية الرشاشة وسقط هو الى الوراء ، رأساً على عقب ودارت به الدنيا ولم يشعر بشيء لبضع ثواني ، وعندما أفاق من غيبوبته ، كانت السيارة مستقرة على السقف ، استجمع ماكدونالد قواه واستطاع ان يخرج من الباب الامامية التي كانت الآن في أعلى السيارة! أما هاورد فاستطاع أن يركل الباب الخلفية للسيارة ، وقبل أن يخرج منها ، أخذ معه قاذفة الصواريخ (RPG-7) ، وانبطح على الارض وصوبها باتجاه ناقلة الجنود المصفحة . أحدث انفجار المصفحة دوياً هائلاً وأنطفأت أنوارها ، وقتل السائق على الفور .

إلاّ أن الحظ لم يحالف جوني بورن فقد أصيب هو الآخر إصابة بالغة في ساقه . أما الاطلاقة الثالثة فكانت قد أصابت العجلة الخلفية للسيارة مما أفقدها توازنها ، فانقلبت وتدحرج العقيد حسن الذي كان غائباً عن الوعي وبقي تحت حطام السيارة المحترقة .

أما زيغلر وأكفورد وأوشر فقد التحموا مع بقية الجنود بتبادل الرصاص . . التفت ماكدونالد ليبحث عن زميليه ، فاستطاع أن يشخص هاورد ، إلاّ أنه لم يجد أثراً لبورن . . ثم نظر الى السيارة اللاندكروزر التي بدأت تحترق . . وأدرك أن بورن مازال في السيارة . استطاع داني ماكدونالد من تخليص جوني بورن من السيارة وسحبه الى نقطة آمنة .

رد يا داني» .

- «ماذا نعمل الآن يا جوني؟» .

- «ليس هنالك ما يمكن عمله الآن ، فليس باستطاعتي أن أحرك ساقي . . وعلينا ان نمكث هنا فترة لحين انجلاء الامور» . وهكذا أعادوا ارتداء النظارات الليلية . . واستمروا في مراقبة الموقف .

استنفذ أكفورد كل القنابل اليدوية التي بحوزته ، فعاد يزحف الى سيارته ليأخذ ما تبقى فيها . . وما أن مد يده ليأخذ بضعة رمانات ، حتى أنهال عليه وابل من الرصاص . . اضطره أن يختفي تحت السيارة . . وخلال ثواني الهدوء استطاع أن يشخص مصدر الاطلاقة ، ورمى باتجاهات بضعة قنابل يدوية .

لم يبق سوى ثمانية من أصل خمسة وثلاثون جندياً عراقياً ، وكان العريف المسؤول

يحاول تقصي مصدر النيران ، وفجأة حالفه الحظ حيث انفجر اللاندكروزر الذي كان يقل طاقم هاورد ، وأضاءت ما حولها . . فرأى أشباحاً في ظلام الليل وفتح عليها نيران بندقيته الرشاشة (كلاشنكوف) ، ورأى شخصاً يصاب ثم سقط على الارض بدون حراك . تبع ذلك اطلاق بالاتجاه المعاكس وتهاوى الجنود الواحد تلو الآخر .

- «مايك؟» صاح هاورد
- «هنا ، اني بخير»
- «جوني؟»

وأجابه بورن والالم ظاهر على صوته :

- «هنا ، لقد أصبت بساقي»
- «وكيف حالك؟»
- «لم ينكسر العظم»
- «جيد ، داني؟»
- «هنا ، لقد اصبت بيدي»
- «توني؟»
- «هنا»
- «بوب؟»

لم يجب أحد فقال أكفورد «اعتقد بأنه هناك سيدي» . وكان اوشر قد اصيب بثلاث اطلاقات وقتل على الفور . فقال هاورد :

- «حسناً ، لقد انتهى الامر . اذهب يا مايك وتأكد من حالة العربات» .

قال أكفورد «يا لسوء الحظ . فقد أوشكنا أن نصل الى النهاية بسلام» .

٧١

تتبع كيرْوِن أحداث القافلة بقلق . فقد كانت القافلة قد توقفت قبل أكثر من عشر دقائق وظهرت الاحداث بوضوح في صور الاقمار الصناعية . فلقد حصل نزال ما بين الطرف العراقي و«فريق الامم المتحدة» لسبب مجهول ، وقد أدى ذلك الى تدمير كل او معظم العربات في القافلة ، وكان كيرْوِن قد تأكد من ذلك من خلال قراءاته للاشعاع الحراري الصادر عن العربات ، إلاّ أنه لم يكن يعرف بدقة حجم الخسائر .

وكان كيرْوِن قد تأسف لفشل المجموعة على الرغم من معرفته بأنهم كانوا سيُلقى القبض عليهم في جميع الاحوال حال عبورهم الحدود السعودية . ولكنهم كانوا مجموعة من الرجال الشجعان الذين تمكنوا من تجاوز أكبر العقبات ، وكان قد تعاطف معهم كثيراً ، وكان يأمل أن ينجوا بحياتهم على أقل تقدير . أما الآن فيبدو بأنهم قد قتلوا جميعاً ، إلاّ اذا كانوا قد تغلبوا على العراقيين! هل كان ذلك معقولاً؟ سيتوصل الى معرفة ذلك عن قريب! .

كان ينتظر بفارغ الصبر تحرك احدى العربات . هل ستكون الشاحنة ام اللاندكروزر؟ فلو تحركت الشاحنة فسيعني ذلك أن العراقيين قد تمكنوا منهم . وفجأة صاح له معاونه قائلاً :

«يا جون! أن JSTARS قد أظهرت حركة!»

فسأله كيرْوِن بحماس «أهي الشاحنة ام اللاندكروزر؟»

- «انها الشاحنة»

وعرف كيرْوِن فوراً بأن مخاوفه قد تأكدت . ثم قال معاونه : «انها تتجه جنوباً»

- «جنوباً؟ هل قلت جنوباً؟ أمتأكد انت؟»

- «نعم متأكد»

فصرخ كيرْون «اتبع هذه الشاحنة»
فقد نجحوا اذن . الحمد لله! فالعراقيون ما كانوا سيتوجهون جنوباً نحو الحدود .

***

كان أكفورد يقود الشاحنة على الرغم من كون احدى عجلاتها مفرغة من الهواء . فكانت قد دمرت سيارات اللاندكروزر من أثر نيران الجنود العراقيين .

فأمر هاورد بأن يحرق ما تبقى منها وقاموا بالاستيلاء على الشاحنة ، وهي العربة الوحيدة التي كان يبدو عليها انها صالحة للاستعمال . فلم يكن هاورد يريد البقاء في موقع القتال ، بل قرر الهروب منها على الفور . وقال لأكفورد :

- «استمر بالسير قدر المستطاع يا توني ، فأريد الابتعاد عن هذه النقطة بقدر ما يمكن» .

- «سأبذل قصارى جهدي يا سيدي»

وقال زيغلر ، موجهاً حديثه لهاورد «ان أندي قادم في طريقه الينا يا آد . هل أخبره عن موقعنا؟»

- «ليس الآن يا مايك . سيستغرق أكثر من نصف ساعة للوصول الينا ، وسنستمر نحن بالمسيرة لبضعة أميال الى أن نلاقي محلاً مناسباً للتوقف»

- «حسناً»

- «كيف حال جوني وداني؟»

- «داني بخير ، ولا ينزف كثيراً . لكنني قلق على حالة جوني . لقد ضمدت جراحه إلاّ ان نزيفه أكبر . ولا يزال فاقداً للشعور في ساقه»

- «هل انكسرت عظامه؟»

- «لا أعتقد ذلك»

- «يجب أن نستمر بالمسيرة وعليه أن يتحمل»

ثم التفت هاورد لزيغلر وقال له :

- «هل لدينا جثث بعض العراقيين معنا في الشاحنة؟»

- «نعم . اثنان من الذين لم يتمكنوا من النزول منها ، وكنت على وشك التخلص منها»

- «لا تفعل ذلك ، فسنحتاجها»

- «لماذا؟»

- «أعتقد بأنهم ينتظروننا في السعودية يجب علينا اذن أن نتخلص من الطائرة هناك ونجد طريق آخراً للخروج»

فسأله زيغلر «وما الذي دعاك ان تفكر بذلك؟»

وأجابه هاورد «لقد تأكدت بأن الضربة الجوية على المخزن لم تكن عراقية» .

***

كان آمر القاعدة الجوية بجنوبي الرطبة قد اندهش لمشاهدته منظر الضابط وهو يهرع باتجاهه وقد بدت عليه علامات التوتر .

- «سيدي ، لقد حصل تمرد»

- «ماذا ، اشرح الموضوع»

فأخبره الضابط بأنه قد شاهد ، وهو بطريق عودته الى الرطبة ، أثر إنفجار كبير على مسافة ميلين من القاعدة ، وقد تناثرت جثث القتلى بكل مكان . استغرب وغضب الآمر لسماعه هذا النبأ وقال :

- «وماذا كانوا بفعلون هناك . لم نكن نتوقع قدوم قافلة هذا الاسبوع»

- «لا أعلم يا سيدي إلاّ أن الحرس الجمهوري لا يخبرونا عن تحركاتهم مسبقاً»

- «هل قلت الحرس الجمهوري»

- «نعم سيدي ، فهناك عشرون او ثلاثون من القتلى»

- «سأعلن حالة إنذار على الفور»

- «نعم سيدي»

ركب الآمر سيارته بسرعة واتجه نحو برج المراقبة ، واستقبله هناك ضابط العمليات وتبعه الى الداخل وقال الآمر «اتصل بقاعدة H3 على الفور»

«نعم سيدي» وأدى ضابط العمليات التحية العسكرية وخرج بسرعة . فقد كان الآمر يعتقد بأن هذا هو الحل الصحيح ، اذ لم تكن هناك بمطار الرطبة الجنوبي سوى طائرات للنقل ، أما قاعدة H3 فتتواجد فيها الطائرات المروحية هند MI24 .

***

دخل مساعد كيرْوِن وبادر «لقد قامت الاواكس بالعثور على الطائرة الايلندر يا جون!

انها تعبر الحدود الان بإتجاه العراق»

- «اعطني موقعها الحالي وأريد أن أعرف موعد وصولها للهدف»

وكان كيرْوِن قد توقع ذلك منذ أن توقفت الشاحنة . فهم ، بلا شك يسلكون خطة الطوارئ ، اذ لا يمكن أن يكون هذا الموعد قد خططوا له من قبل ولن يطلبوا من الطيار عبور الحدود لو لم يكونوا بحاجة ماسة لذلك . ولكن كيف كانوا قد اتصلوا بالطائرة؟ ذهب كيرْوِن ليكلم سورنن وقال له : «هل تأكدت بعدم وجود أية اتصالات لاسلكية من هذا القطاع يا والتر؟»

- «لقد قيل لي بأن الاجهزة لم تكشف عن أية إتصالات»

- «لا شيء إطلاقاً؟»

- «لا شيء سوى الاتصالات المتوقعة باللغة العربية . فهناك عدة قواعد جوية في المنطقة ويمكننا مراقبتها جميعاً»

- «هل يمكننا التأكد مرة اخرى؟ ربما كان هناك إتصال من خارج القواعد . فأن الشاحنة قد توقفت وهي بإنتظار الطائرة»

أجرى الدب إتصال مع مركز الاستخبارات الالكترونية ثم قال :

- «لا شيء يا جون . فقد كان هناك إتصال بالعربية الى الجنوب الغربي من قاعدة الرطبة الجنوبية ، وكان هناك اتصالاً بلهجة حماسية بين قاعدة الرطبة الجنوبية وقاعدة (H3)»

- «وماذا قالوا؟»

- «لقد قامت الرطبة بطلب دعم جوي ، وربما كانوا قد انتبهوا الى المعركة بين هؤلاء الرجال وأفراد الجيش العراقي»

- «لم أكن أقصد هذه الاتصالات . . بل تلك التي صدرت عن الشاحنة . لنطلب الترجمة الانجليزية لهذه المحادثة»

- «لقد فهمت ما تقصد ، أنت تعتقد بأنهم كانوا يتكلمون باللغة العربية» ورفع السماعة مرة أخرى وقال «يا ادي ، والتر مرة اخرى ، هل يمكنك أن تزودنا بترجمة انجليزية للمحادثة التي جرت من الموقع في جنوب صحراء الرطبة؟ نعم ونسخة من التسجيل الصوتي . وهل يمكنك إستشارة اخصائي في اللغات لتحليل اللهجات؟

أشكرك يا ادي» ثم وضع السماعة قائلاً «قال بأنه سيبعث طلبنا بأقرب وقت ممكن»

***

قاربت الطائرة المروحية هند MI24 من الوصول الى موقع الحادث وكان طيارها محتاراً مما سمعه . فلم يكن يعلم أن الحرس الجمهوري هنا؟ ولماذا كانوا قد تورطوا بهذا الشكل؟ يبدو بأن هناك تمرداً كبيراً وكان ذلك مقلقاً للطيار . فقد كان يحب الحياة الهادئة . وكانت حياته في H3 هادئة فعلاً نسبةً الى ما كانت في الناصرية او البصرة . ففي الناصرية مثلاً ، كان قد كلف بمهمة صعبة للغاية وهي ملاحقة المدنيين والعسكريين الهاربين الذين كثيراً ما أظهروا شجاعة فائقة بالتصدي له . ولكنهم كانوا يجهلون مدى مناعة طائرات الهند للاطلاقات النارية . فقد كانت الاسلحة الخفيفة لا تؤثر بدرعها الحصين إطلاقاً . وكان هو يتمتع أحياناً بمتابعتهم وهم يجربون كل ما بإمكانهم في ايقافه . وقاطع ملاح الطائرة سلسلة أفكاره قائلاً :

- «نقترب من الهدف . كيلومتراً واحداً»

ثم شاهدها الطيار مباشرة . أربع عربات محترقة ، كما جاء في التقرير . وكانت الجثث متناثرة على أثر ما يبدو انه مجزرة وحشية . وأين هم المجرمون؟ ثم سأل الملاح» ماذا ترى في الرادار؟»

- «لا شيء سوى طائرة واحدة قادمة من الجنوب على مسافة اثنين وعشرين ميلاً»
- «طائرة؟ من الجنوب؟ ما هو نوعها؟»
- «لا أعرف ذلك ، اذ أن الذبذبة متقطعة . انها تطير على ارتفاع منخفض»

فقال الطيار «لنكشتف الامر . لا توجد أية قواعد في هذه المنطقة وقد تكون هذه الطائرة تخص المجرمين المسؤولين عن هذه المجزرة»

واتجهت الطائرة المروحية هند جنوباً بسرعة فائقة .

***

كان ذراع ماكدونالد يؤلمه ألماً شديداً ، وكان بورن مستلقياً بجنبه ووجهه يلتوّى من الالم ، فقد كانت اصابته أسوأ بكثير . نظر اليه ماكدونالد ولكنه لم يكلمه . فقد كانا في حالة من التشاؤم لمستقبلهم الذي يبدو بأنه كان سيبدأ بمستشفى في السعودية ثم فترة طويلة في احدى سجونها . فقد كادت أن تنجح العملية تماماً ، ولكن . .

وصاح أكفورد : «أعتقد بأني أسمع صوت الطائرة الآن يا سيدي»

وقال هاورد : «حسناً ، الاضاءة الآن»

وبعد مضي فترة قصيرة ، مرت الطائرة على مسافة قريبة منهم .

***

هبطت الطائرة . انها طائرة خفيفة ذات محركين وهناك عربة واقفة بقربها»

– «والمسافة؟»

– «كيلومتران»

فقال الطيار الملاح «اضرب العربة بصاروخ AT-3 ثم استعد لضرب الطائرة بالبندقية ١٢,٧٠ مم فلنلهو بعض الشيء»

صوب الملاح صاروخاً من نوع AT-3 المضادة للدبابات بعد أن وصلوا على مسافة كيلو متر واحد .

***

لم يكن ماكدونالد قد سمع قدوم الصاروخ ، لغاية ما اصابت الشاحنة على مسافة أربعين ياردة منه . كاد الانفجار يذيب معدن الشاحنة من شدة الحرارة ، فنظر من خلال عدسة الرؤية الليلية وشاهد الطائرة المروحية . وصرخ بورن «انها طائرة! طائرة هند! هيا يا داني! ارمها ببندقيتك فإطلاقاتها هي الوحيدة التي ستحرق معدن الهند!»

وأجابه ماكدونالد وهو يصرخ :

– «لا فائدة من ذلك! فلقد دمرت البندقية في اللاندكروزر»

وكان هاريس قد قفز من الطائرة الايلندر ليشاهد الشاحنة وهي تشتعل ، ثم شاهد أكفورد وزيغلر وهم يفتحان نيرانهما الى الهواء . فركض اليهما صارخاً : «ماذا حصل؟»

فصرخ أكفورد «أعتقد انها طائرة هند»

– «وهل هنالك سلاح استعمله؟»

– «هناك بالقرب من جوني وماك»

وركض هاريس نحوهم . أما دينارد فلم ينتظر لحظة واحدة وحرك الطائرة . فكان قد شاهد الهند من خلال عدسة الرؤية الليلية وعرف أن لا أمل له أمامها أرضاً أو جواً ، فقام بتحريك الطائرة في مسار حلزوني لعله يتمكن من كسب بعض الوقت لغاية ما

يتمكن رفاقة من تدمير الطائرة .

شاهد طيار المروحية محاولات الطائرة البائسة وابتسم . ستكون هذه القضية مسلية حقاً! ارتطمت الاطلاقات النارية بجسم الطائرة دون جدوى . فكان قد مر بمثل هذه التجربة من قبل . اوقف الطائرة عن مسيرتها وهي محلقة بالهواء وبدأ يصوب البندقية بتأنّ .

وصل هاريس عند هاورد الذي كان يعد الـ RPG7 وصرخ «أعطني هذا ، فأنني متميز في تصويب الـ RPG7» فهز هاورد برأسه وسلمه السلاح ثم اعد صاروخاً ثانياً لها .

وضعها هاريس على كتفه وصوبها بإتجاه المروحية .

شاهد الملاح بريقاً من الضوء يمر على مقربة منهم وسط الظلام وصاح : «صاروخ!» . لم يكن الطيار قد شاهد شيئاً ما . فقد كان يركز على الطائرة وهي تترنح بمسارها الغريب وقال «أي صاروخ؟»

- «لقد فلتنا منه . اني متأكد من ذلك»

وقلق الطيار . فكان هذا هو موضوعاً آخر تماماً ، وعليه علاجه فوراً . فحرك طائرته الى الامام ، إلاّ أن الصاروخ الـ RPG الثاني كان أسرع منه فإنفجرت الطائرة وسقطت أرضاً واندلعت فيها النيران .

نظر هاريس وهاورد الى الطائرة المحترقة بصمت . ثم قال هاريس «لقد كنت سريع بإعداد القذيفة الثانية يا سيدي»

- «والاهم من ذلك ، فقد كان تسديدك رائعاً يا ميل . هيا بنا الى الطائرة»

٧٢

تابع كيرون الاحداث الجارية جنوب مدينة الرطبة منذ باديتها ، وعلم بعد ان وصلته الترجمة الانكليزية للمكالمات العربية بين الوحدات العراقية الأرضية وبين أقرب مطار ، ان الطائرة المروحية التي طلبوها هي من طراز (MI - 24 HIND A) ، كما راقب بفزع ملحوظ الشاشة التي تنقل أمامه صوراً من القمر الصناعي لأرض المعركة ، شاهد الطائرة السمتية العراقية تنقض على طائرة أيلندر حال هبوطها على أرض الصحراء . وفي اللقطة التالية اختفت الطائرة السمتية من على الشاشة ، ولم يستطع كيرون ان يشرح لنفسه ما الذي حدث بالضبط ، وكان عليه ان ينتظر خمسة وعشرين دقيقة أخرى لكي يشاهد بقية الشريط .

وبغض النظر عن التفاصيل ، تأكد كيرون من ان الفريق استطاع ان يصيب الطائرة السمتية ويسقطها . وعندما عاد البث مجدداً الى الشاشة رأى الطائرة أيلندر تقلع مرة أخرى ، وكانت على بعد خمسة وثلاثين ميلاً من الحدود ، ماذا سيفعلون الآن؟ والى أين سيتوجهون عندما يعبرون الحدود؟

فكر كيرون في احتمالين معقولين ، اما أنهم يحاولون الطيران عبر الحدود السعودية الى الأردن ، واما ان يهبطوا في السعودية ويسلكوا طريق البر مرة أخرى . تأمل كيرون كلاً من الاحتمالين وغض النظر عن الاحتمال الاول بسرعة ، حيث لا شك لو أخذوا بهذا الاحتمال فسوف يفتقد الرادار السعودي أثر الطائرة ، وأنه سيضطر إذا ما قَبضَتْ عليه السلطات السعودية ان يشرح سبب اختفائه ، كما لم يكن هنالك اشعار للسلطات السعودية بخط طيران الايلندر . لذا فمن غير المعقول ان يخترقوا الاجواء السعودية الى بلد آخر دون متابعة أو رصد .

إذن ، فليس لديهم خيار آخر إلا ان يهبطو في السعودية والسؤال الذي كان يواجه

كيرونِ هو أين يهبط هؤلاء الشياطين؟! وبعد تحليل قصير توصل كيرون الى ان الطائرة ايلندر ستهبط في نفس المكان الذي أقلَعتْ منه في السعودية وان السيارة الثالثة ستكون في انتظارهم ، إلا ان المشكلة هي ان طائرات الاواكس الاستطلاعية لم تستطع تشخيص نقطة الاقلاع ، لربما لأنهم كانوا يطيرون على ارتفاع واطئ ، وحاول ان يستعين بأقمار صناعية أخرى لمعرفة مكان اقلاع الطائرة ، فلم يهتدِ الى ذلك ، وقرر أخيراً ما عليه إلا ان ينتظر عشرين دقيقة أخرى لحين هبوط الطائرة ايلندر ولقاء رقابها مع سائق السيارة الثالثة ، وعندها سوف يستمر في متابعتهم . . ربما!!

أعاد كيرون سماع شريط الكاسيت الذي أرسله له قسم الانساط ، فالصوت الأول الذي سمعه كيرون باللغة العربية كان صادراً من النقطة التي كانت تقف فيها الشاحنة ، وكان القلق والتوتر بادياً على صوت المتكلم . وكان تعليق المترجم ان المتكلم كان يجيد اللغة العربية بطلاقة ، لكنها لم تكن اللهجة السعودية .

يساور الشك المترجم ، حيث رغم طلاقة اللهجة ، فإنها كانت صادرة من شخص غير عربي الأصل ، ومع ان طيار الأيلندر كان يتكلم العربية ، إلا انه بالتأكيد لم يكن عربي الأصل ، بل شخصاً انكليزياً يتقن اللغة العربية .

وأكد المترجم ان الصوت المنبعث من الطائرة كان لشخص تعلم اللغة العربية نتيجة لاختلاطه بالعرب المحليين ، احتمال انه تعلمها خلال خدمته العسكرية في بلد مثل البحرين أو عُمان .

لم يهتم كيرون بكل هذه التفاصيل ، لكن كل الذي أراده هو اعادة سماع صوت هؤلاء (الشجعان) الذين تابعهم كالظل عن طريق الأقمار الصناعية يا لها من مناسبة! وأعاد سماع شريط الكاسيت للمرة الرابعة .

– «من أنتم؟ ومن تكونوا؟» قالها بصوت خافت . . وهو يستمع لصوت المتكلم الأول «سوف لن يُقدّر لي ان التقي بكم أبداً . . لكنني على استعداد أن أضحي بالغالي والنفيس لأعرف هويتكم!!» .

٧٣

- «ثماني دقائق ونصل يا اد . سأطير على ارتفاع أعلى الآن» .
ونظر هاورد الى دينارد وبدت عليه علامات التوتر الشديد ، وكان وجهه شاحباً والعرق يتصبب من جبينه فقال له هاورد .
- «استعد يا اندي ، اترك الطائرة تطير بجهاز الطيران التلقائي والبس مظلتك» .
- « لا داعي لذلك»
- «وماذا تعني بذلك؟»
- «لقد أصبت»
ونظر اليه هاورد مرة اخرى وكان وجهه يلتوى من شدة الالم .
- «يا الهي! أندي لم لم تقل شيئاً؟ اين؟»
- «في المعدة ، لقد نزفت كثيراً ولم أعد اشعر بأرجلي» . ثم ابتسم وقال «لقد انتهى أمري يا إد»
- «لا تيأس يا أندي! نتمكن من انقاذك»
وصرخ دينارد بوجهه : «لا . . .» ، وأخذ يسعل بشدة واختفى صوته وبات يتكلم بصعوبة بالغة .
- «ان جهاز الطيران التلقائي قد دمر . لقد أصابتنا الطائرة المروحية اللعينة ، اقفزوا من دوني ، سأعطيكم الاشارة»
- «اترجاك يا أندي ، لنهبط بالطائرة سأخذك للمستشفى لا يمكن أن أتركك»
وهمس دينارد «لا يا إد ، فأنا لا أحب السجون ، اذهب أنت بلغ تحياتي لكْرِس»
وحزن هاورد حزناً شديداً ولكنه ذهب الى الجانب الخلفي للطائرة وأخذ يستعد للقفز . كان يأمل بأن يتمكنوا من الهبوط بالطائرة ، إلاّ أن أمرهم قد كشف وأصبح أمر

قفزهم من الطائرة ضرورياً . فكان قد أخبرهم هاريس عن قصة إنكشاف الامر في جدة .
نظر الى الاخرين وكانوا قد استعدوا أيضاً ولم يكونوا على علم بما قد جرى لدينارد ، وفتح زيغلر الباب وبدأ الرجال برمي كافة أسلحتهم ومعداتهم منها ، لتتهشم على أرض الصحراء . وانتظر هاورد لاشارة من دينارد ، وعند رؤيته لها . ضرب ماكدونالد على كتفه وقفز الاخير بمظلته . ثم قفز من بعده الاخرين وكان زيغلر وهاورد قد ساعدا بورن بخروجه من الباب . التفت هاورد ونظر لوجه دينارد للمرة الاخيرة ثم قفز ، واختفت الطائرة الايلاندر في ظلام الليل الدامس .

٧٤

كان كيرون مرتبكاً لما شاهده على شاشات المراقبة ؛ الشاشة الخاصة بالقمر الصناعي أولاً والتي تابع عليها الشاحنة المحترقة وطائرة الهليكوبتر ، ثم الشاشة الخاصة بالأيواكس الذي تابع مسار الطائرة أيلندر . فالطائرة لم تتبع المسار السابق ، حيث أنها لم تعد الى نفس القاعدة التي أقلعت منها . أين ستهبط الطائرة؟ المهم أن الحافلة ستكون ، أينما هبطت الطائرة . كان كيرون متأكداً أن القمر الصناعي JSTARS سوف يتمكن من متابعة الطائرة ، الى أن يُتخذ القرار باعتراضها .

خمن كيرون أيضاً أن القوات الجوية السعودية المسؤولة عن مراقبة الطائرات قد تابعت الطائرة أيلندر على شاشات الرادار السعودي . لكن الذي كان يدهش كيرون ، هو عدم محاولة الطائرة أيلندر إخفاء مسارها عن الأيواكس . فقد أشارت تقارير الأيواكس أن الطائرة أيلندر تطير الآن على ارتفاع عشرة آلاف قدم ، بينما كان (الأيواكس) ويلاقي صعوبة في السابق على متابعة مسار الطائرة حيث انها كانت تحلق على ارتفاعات منخفضة جداً .

ظهرت معلومات جديدة على شاشة كيرون . الطائرة أيلندر عبرت الآن طريق التابلاين متجهة الى صحراء النفود . توقعها كيرون أن تهبط قبل الآن ويلتقي ركابها مع حافلة تنتظرهم على الحدود ، إلا أن ذلك لم يحصل! أين تتجه الطائرة الآن يا ترى؟ لاشك أن القوة الجوية السعودية ستعترضها الآن . . . يا لها من حماقة يرتبكها هؤلاء . . لأول مرة! .

أعاد كيرون النظر في الشاشة . . وفكر قليلاً في الموضوع . ترى هل يمكن أنه نظر الى الموضوع من زاوية خاطئة؟ فهذا الفريق لم يسبق وأن ارتكب حماقة طوال المهمة . هل يمكن للطائرة أن تسير بشكل تلقائي؟ وهذا يعني أن الفريق قد ترك الطائرة . . ولكن

كيف ومتى؟ كان كيرون متأكداً من شيئين ، الاول أن أحداً لم يترك موقع الشاحنة المحترقة والهليكوبتر والثاني أنهم عبروا الحدود العراقية بالطائرة . . فماذا حدث خلال هذه الفترة؟

- «جيري!» صاح كيرون لاحد مساعديه بانفعال ملحوظ «أطلب من القمر الصناعي JSTARS مراقبة تحرك أية عربة أو حافلة على طول مسار الطائرة منذ أن عبرت أيلندر الحدود العراقية! أريد أن أتابع كل التحركات خارج الطريق العام! إبدأ بطريق التابلاين . . لاشك لدي الآن إنهم قفزوا من الطائرة!» .

وبعد دقيقتين ظهرت المعلومات على الشاشة ، وعلى الفور استنتج كيرون أن هذا الفريق على درجة عالية من الذكاء ، فقد سجل القمر الصناعي JSTARS الاحداث بدقة . الصورة التي ظهرت على الشاشة لحافلة تترك منطقة الميرة التي تحتوي على مدرج قديم حوالي ثلاثة أميال عن طريق التابلاين العام .

كانت الصورة واضحة ، والحافلة كانت على الجانب السعودي ، واستطاع كيرون بمقارنة بعض الادلة أن يستنتج أن الحافلة كانت سيارة اللاندكروزر الثالثة التي استخدمها الفريق اساساً .

***

كان الهدوء يخيم على الرجال السبعة الجالسين في سيارة اللاندكروزر . نبأ مقتل دينارد صقعهم جميعاً . كان بالمر يقود الشاحنة ، بينما جلس بجوار كل من أكفورد وهاريس بينما جلس الآخرون في المقاعد الخلفية ، حاول بالمر أن تكون قيادته هادئة قدر الامكان نتيجة للاصابات البالغة لبعض اعضاء الفريق ، ولم يكن هاورد يفكر بالتوقف على الطريق الصحراوي .

كان داني ماكدونالد وزيغلر في مؤخرة السيارة وكان الأخير قد ضمد جراح ساعد ماكدونالد ثم حقنه بابرة مخدرة في الذراع لتخفيف الألم .

كانت الرصاصة التي تلقاها ماكدونالد في ساعده قد خرقت العضلة وتركت جرحاً كبيراً . إلا أن زيغلر عالج الجرح ببعض المطهرات وضمدها بشكل فني تدل على خبرة في مجال الاسعافات الاولية .

أما جوني بورن فقد كان نائماً على المقعد الخلفي للسيارة وقد مدد ساقه المجروحة

باتجاه هاورد . وعندما وجوده على الطريق الصحراوي بعد أن قفز من الطائرة بالمظلة (الباراشوت) ، كان فاقد الوعي ، ربما من شدة الألم نتيجة كسر في رجله . أول عملية قام بها هاورد هو شد الساق من أعلى الركبة لمنع النزيف واجراء اسعافات أولية وزرقه السوائل المغذية عن طريق الوريد . فقد كان هاورد يأمل أن يتماثل بورن الى الشفاء بما يسمح له العبور خلال مطار جدة دون ان يثير شكوك رجال الأمن أو موظفي الخطوط الجوية عن عدم لياقته الصحية للسفر جواً .

***

دينارد ، الذي كان مصاباً إصابة قاتلة ، التزم بتوجيه الطائرة أيلندر لتطير على ارتفاع ثابت وباتجاه خط مستقيم ، ومع أنه كان يلفظ انفاسه الاخيرة ، إلا أنه ظل يراقب مؤشر الارتفاع . كانت الطائرة تفقد من ارتفاعها مائة وخمسون قدماً لكل دقيقة طيران . وكانت الآن على ارتفاع سبعة الآف قدم عن سطح الارض وعلى هذه المعدلات . . فانها سترتطم بالارض الصحراوية خلال خمسة واربعون دقيقة . . ربما أكثر من ذلك بقليل ، إذا ما بقيت تفقد الوقود بالمعدلات الحالية . . نتيجة لاصابة خزان الوقود .

لفظ دينارد النفس الاخير بعد سبع عشرة دقيقة لعبور الطائرة لطريق التابلاين ، أما الطائرة أيلندر فقد أستمرت بالطيران ، كما توقعها ولكنها كانت تهبط تدريجياً . وفجأة دخلت مطباً هوائياً جعل مقدمة الطائرة تميل الى الأسفل ، ومع هذه الحركة المفاجئة تدحرجت جثة دينارد الى مقدمة الطائرة وارتطمت بعصا الموازنة . اندفعت الطائرة بسرعة فائقة نحو الارض بحركة حلزونية وبعد أقل من دقيقة ارتطمت بالارض في نقطة صحراوية نائية شمال غربي سقاقا (سكاكا) ، واشتعلت فيها النيران .

نقلت طائرة الأواكس خبر الحادث الى جهاز المراقبة الجوي السعودي ، وسرعان ما انتقلت وحدات من القوة الجوية والجيش السعودي الى محل الحادث للتحقيق . وصلت أولى طائرات الهليكوبتر الى مكان الحادث بعد خمسة واربعون دقيقة ، ولكنها وجدت أن الطائرة ومن فيها قد احترقوا تماماً ، وعند وصول بقية المفارز تم إطفاء ما تبقى من حريق وبدأت الفرقة المختصة بالتحريات بمساعدة الانوار الكاشفة .

وفي الحطام المحترق وجدوا آثار لثلاث جثث محترقة ، دينارد وجنديين عراقيين ، وفي صباح اليوم التالي وجدوا جثة رابعة كانت لأوشر ، إلا أن الفريق لم يستطع أن يشخص

أي منهم ، حيث كانت الجثث قد احترقت بالكامل .

لقد ثبت نتيجة التشريح العدلي أن الاربعة قد توفوا نتيجة لاصابتهم بطلقات نارية ، فافترض المحققون أنهم كانوا يحاولون الهرب من العراق . . كما افترضوا ان الشخص الذي كان قريباً من مقود الطائرة هو الطيار ري سوليفان! .

٧٥

خيم الصمت على الرجال السبعة وهم جالسون داخل اللاندكروزر ، اذ أنهم قد فجعوا عند سماعهم عن مصير دينارد . وكان ماكدونالد ، على الرغم من ضيق المكان ، يشعر بنشوة غريبة ، اذ أن زيغلر كان قد ضمد الجرح في ساعده ثم قام بإعطائه جرعة من مخدر المورفين للتخفيف من الالم .

أما بورن فقد كان مستلقياً خلف المقاعد وكان هاورد قد بذل جهده لتضميد الجرح في ساقه ، إلاّ أنه كان قد نزف بشدة وكان على وشك ان يفقد وعيه . كان هاورد قد عالجه بالمغذي لشريانه وتمكن بذلك من موازنة ضغط الدم إلاّ أن بورن كان سيحتاج الى أن تجرى له عملية جراحية خلال الاربع والعشرين الساعة القادمة . نظر هاورد الى وجهه الشاحب ، وفكر بموضوع الخروج من المطار ، فقد كان على بورن أن يستعيد نشاطه ليتمكن من المرور بالجمارك بدون أن يلفت الانتباه لحالته .

***

كان دينارد على وشك الموت ، إلاّ أنه بذل جهوداً جبارة للسيطرة على الطائرة بعد أن قفز رفاقه منها . كان على وشك أن يفقد وعيه وكان نظره ضعيفاً ، إلاّ أنه تمكن من تغيير برنامج السيطرة في الطائرة لكي تخفض من ارتفاعها بمقدار مئة وخمسين قدماً بالدقيقة ، وكان ذلك سيعني بأنها ستظل محلقة بالجو لفترة خمس وأربعين دقيقة أخرى . ثم فقد وعيه تماماً .

وتوفي دينارد ، بعد عبوره فوق الطريق العام في الشمال بحوالي سبع عشرة دقيقة ، وبعد عشر دقائق أدى إختلال مفاجىء للضغط الجوي الى إندفاع جثته الى الامام وإرتطام رأسه بعتلة السيطرة . فهوت الطائرة وانفجرت في الصحراء في منطقة نائية شمالي غرب سكاكه .

وعند تفتيش السلطات السعودية لحطام الطائرة وجدوا أربع جثث كانت قد احترقت تماماً ، واستنتج الكشف الطبي بأنهم كانوا مصابين بعيارات نارية أثناء محاولتهم للهروب من العراق . واستنتج رجال الامن السعودي بأن الطيار كان هو الرجل الذي كانوا يجتمعون عنده . . رَي سوليڤان .

٧٦

جلس جيمس انسل ، رئيس مكتب الشرق الاوسط في الـ CIA بمكتب نائب الرئيس ، ليقرأ له آخر تقارير النشرات الاخبارية ، فقال له النائب :

- «وهذه هي التقارير الحرفية؟»

- «نعم سيدي»

وقال النائب «لقد كان تقرير وكالة الانباء الايرانية مفصلاً ، وتطابق التفاصيل فيه لما نعرفه عن فرقة الاغتيال وتحركاتهم . فيقولون بأن صدام قد تعرض لمحاولة اغتيال ، ولم تقل بأنه قتل . وكان ذلك عند الساعة الثامنة بتوقيت العراق ، وكان قد قتل دبلوماسياً ايرانياً آنذاك . فلماذا يقولون بأن صدام قد تعرض لمحاولة اغتيال ويذكرون وقتاً محدداً لذلك أيضاً؟ وهل يمكننا أن نتأكد من صحة هذه التقارير؟»

هز انسل برأسه قائلاً : «يبدو بأنه يؤكد صحة الاشاعة القائلة بأن السفير الايراني الجديد للعراق قد اختفى . فقد كان على موعد في السفارة السويدية في بغداد ولم يحضر . ولم يكن تفسير السفارة الايرانية لهذا التأخير واضحاً . وجرت آنذك اتصالات مكثفة بين السفارة الايرانية وطهران وما زلنا بصدد تحليلها . فيبدو اذن بأن التقارير هي صحيحة»

وقال النائب : «ولكن ماذا عن هذا التقرير الاخر؟ فقد قامت الحكومة العراقية بنفي هذه الاخبار ووصفتها بانها اشاعات مغرضة . ثم قامت بنشر صور لصدام وهو يترأس اجتماعاً لمجلس قيادة الثورة ، وهناك تقارير تقول بأن مهرجانات الاحتفال بعيد ميلاده قد جرت في كافة المدن العراقية» .

فأجابه انسل : «هذا ما نتوقعه من وكالة الانباء العراقية ، فلا اذكر بأني سمعت كلمة صادقة واحدة تصدر عنها ، فهي جهاز بث للدعاية فقط . وعلى كل حال فلو كان صدام

قد اغتيل فعلاً ، فلن يخبروا احداً بذلك إلاّ بعد مرور فترة من الوقت على اغتياله كما يجب اختيار من يخلفه قبل الاعلان عن موته ، اذ أن هناك احتمالاً لنشوب اضطرابات وقد تؤدي الى انتفاضة شعبية كبيرة . فيجب اتاحة فرصة ملائمة للرئيس الجديد لأن يثبت اركان حكمه .

وقال النائب «اتفق معك . والذي قد اقنعني بذلك هو أن تحليلك يطابق تقارير دائرة الاستطلاع الوطنية عن تحركات فرقة الاغتيال» .

وقال انسل «هذا هو ما اقنعني ايضاً»

ثم وقف نائب الرئيس وهو يتأمل المنظر من خلال الشباك وسأل بصوت هادئ :

– «ولماذا الساعة الثامنة صباحاً؟ أليس هذا وقتاً غريباً للاغتيال؟ ولماذا كان صدام قد اقام احتفالاً بهذا الوقت المبكر؟»

فأجابه انسل : «حرارة الجو»

– «ماذا؟»

– «ترتفع درجة الحرارة في تكريت بعد الساعة العاشرة صباحاً في هذا الموسم . وربما كان صدام يفكر بتأثير الجو على قيافة جنوده أثناء المهرجان ، فقرر أن تكون الاحتفالات في وقت يكون الجو فيه ما زال بارداً نسبياً» .

فقال : «لقد فهمت الان ، اشكرك يا جيمس . علي الآن أن اقابل رئيس الـ CIA قبل اجتماعه مع رئيس الجمهورية» .

***

– «يا سيادة الرئيس ، أن رئيس الوزراء ميجور ينتظرك على الخط»

– «شكراً» قام رئيس الجمهورية الامريكية برفع السماعة وقال «جون؟ جورج هنا . اعتذر اذا كنت قد ايقظتك»

واجابه جون ميجر والنعاس ظاهر على صوته : «لا بأس يا سيادة الرئيس . وكيف يمكنني مساعدتك؟»

– «لا بد انك قد سمعت ، يا جون ، بأن وكالة الانباء الايرانية قالت بأن صدام حسين قد ضرب يوم امس . أن الجماعة هنا قد اقتنعوا بصحة هذا التقرير» .

استيقظ ميجور كلياً وقال : «اصحيح هذا؟ وهل هم واثقون من ذلك؟»

فأجابه الرئيس «يصعب عليهم أن يجزموا بذلك ، إلاّ أن الادلة تتفق مع نتائج مشاهداتنا للعملية التي قامت بها هذه العصابة التي اقتحمت الحدود العراقية . والسؤال هو ما الذي سنقوم به الان؟ على الصعيد السياسي يمكن أن نتوقع تجزئة العراق ، أما من الناحية العملية فعلينا أن نقرر اسلوب معاملة هؤلاء القتلة ، وارحب برأيك بهذا الخصوص» .

فكر ميجور لبرهة وقال : «ستكون الاوضاع السياسية سائبة اذا كان صدام قد قتل فعلاً ، وسيعتمد الامر على من سيخلفه . اذا كان رجل قوياً آخر فسيتمكن من الحفاظ على وحدة العراق» .

وقال الرئيس «هذا هو احتمال ، ولكننا لا نعتقد بأن هناك رجل آخر بهذه القوة . وربما كان انكار بغداد لهذه الاحداث خير دليل على ذلك ، فلو كان هناك رجل قوي لتحرك الان» .

- «ومن سيخلفه حسب رأيك؟»

- «نعتقد بأن هناك اربعة مرشحين اقوياء ، لو كنا قد اهملنا اولاده عدي وقصي فهم مجرد اشقياء . المرشح الاول المهم اخوه برزان الذي يعمل بمنصب الممثل الدائم لدى الامم المتحدة في سويسرا . وفي ظروف اخرى لاستولى على الحكم إلاّ أنه الآن خارج البلاد . وما رأيك انت به؟»

واجاب رئيس الوزراء «اتفق معك ، ، فان القيام بمحاولة انقلابية من الخارج نادراً ما تنجح»

فأجابه الرئيس «ماذا تعني بذلك؟ ألم تنجح هذه المحاولة؟»

- «لقد فهمت . تعتقدون اذن بأن برزان من ورائها؟»

«طبعاً لا ، ولم اقصد ذلك . . على كل حال لننظر بقائمة المرشحين . المرشح الثاني هو طارق عزيز وزير الخارجية أثناء الحرب ونائب رئيس الوزراء الان . لا نعتقد بأن له القاعدة الشعبية او القسوة اللازمة للتخلص من منافسيه . الثالث هو طه ياسين رمضان نائب رئيس الوزراء . فهو أذكى من الاخرين ولذلك نتصور بأن موقفه حرج . أما الرابع فهو عزت ابراهيم نائب رئيس الجمهورية ويمثل الخط المحافظ وله مكانة مناسبة . نعتقد بأنه سيتقدم هو لترشيح نفسه «هل تتفق مع ذلك؟»

وقال ميجور «لا ، قد يكون محافظاً إلاّ أنه لا يتمتع بالدهاء المطلوب للمحافظة على المنصب لفترة طويلة . ثم هناك تقارير تقول بأن صحته متدهورة»

وقال الرئيس «نتفق مع هذا التحليل يا جون . لن يتمكن من الحفاظ على المنصب ولن يحفظ الوحدة الوطنية»

- «لا يمكننا قول ذلك ، فقد لعب دوراً خدمياً لصدام إلاّ أن ولاءه المطلق له قد يجعله يتبع نفس اساليبه للحفاظ على السلطة والوحدة الوطنية . لو دام»

«حسناً فلنقل أنه لن يدوم . فالمشكلة آنذاك ستكون الانفجار في الشرق الاوسط لو تجزأ العراق الى ثلاث دويلات السنة في الوسط ، والاكراد في الشمال ، وعرب الاهوار في الجنوب . لا نعتقد بأن هذه الدويلات ستدوم ايضاً» .

فصححه ميجور قائلاً : «الشيعة ، يجب أن لا ننسى بأن نسمي عرب الاهوار هم الشيعة . ، واننا لو اسميناهم عرب الاهوار لظهروا للرأي العام كضحايا ابرياء وسوف يتحتم علينا حمايتهم . أما عبارة الشيعة فتتمتع بسمعة سيئة اذ انها توحي بالتطرف ولا يريد احد أن نساعدهم» .

وكان بوش قد انزعج لهذه المحاضرة من رئيس الوزراء وقال «حسناً ، الشيعة اذن . ولكن ذلك يؤيد ما اقوله . فالايرانيين هم شيعة ايضاً وستكون لهم حجة للتدخل لمساعدتهم وهذا امر خطير» .

فأجابه ميجور «الاوضاع في ايران قد تحسنت . فبعد قيامهم بانتخابات ، فاز السيد رفسنجاني وهو سياسي معتدل ولا نعتقد بأنه سيلجأ الى الاساليب الارهابية»

وقال الرئيس «نحن لسنا متفائلين بذلك ولا نعتقد بأن الامور قد تغيرت كثيراً»

- «لا اتفق معك يا سيادة الرئيس فالوضع الايراني الآن احسن بكثير مما كان في عهد الخميني»

فقال بوش «اذن سنكون على خلاف بهذا الشأن . إلاّ انني أعتقد بأن علينا مواجهة ايران كجبهة متحدة واعتقد بأن علينا عرض مساعدتنا لرفسنجاني ، فلم نستفد من معاداة الخميني . ولو تحسنت علاقتنا بايران ربما تمكنا من اقناعهم من الاعتدال» .

- «تبدو هذه سياسة معقولة ، وربما يلتقي وزراء خارجيتنا بهذا الشأن» .

وقال بوش «حسناً ، والآن يجب أن نتفق على ما سنفعله بهؤلاء القتلة ، ستلقي الـ

CIA القبض عليهم قريباً . فما العمل؟»

فاجابه رئيس الوزراء «اقترح إحالة الامر للسلطات السعودية»

فاندهش الرئيس وقال : «ماذا؟ اتعني اننا نسلمهم الى السعوديين؟»

- «نعم . فقد خالفوا هؤلاء القانون السعودي واعتقد اننا يجب ألاّ نتدخل»

- «هل تعلم بأن سجلات محادثاتهم كشفت بأن اثنين منهم يتكلمون بلهجة انكليزية؟»

فاجاب ميجور بحزم «ومع ذلك أعتقد بأننا يجب ألاّ نتدخل . فمحاكمتهم هناك ستغطي على الكثير من التفاصيل لأن المحاكم السعودية ليست مثل محاكمنا . فلو حكم عليهم بالاعدام مثلاً قد نطلب تخفيف الحكم الى السجن مدى الحياة ولكننا لن نطالب بالافراج عنهم لأن ذلك قد يثير حساسيات السلطات السعودية» .

وقال الرئيس «الا اننا كنا نريد معرفة الجهة المسؤولة عن الموضوع»

- «ونحن كذلك . إلاّ أن ذلك لن يغير شيئاً ، فالذي حصل قد حصل ولندع العدالة تأخذ مجراها»

- «شكرا» على هذه الحادثة ، يا جون ، وسأكلمك مرة ثانية قريباً» .

- «تصبح على خير يا سيادة الرئيس»

وضع جورج بوش السماعة وهو محتار من الامر . ربما كانت الـ CIA محقة بتحليلها بأن الانجليز من وراء المحاولة . من يعلم؟ حسناً لو كان رئيس الوزراء مرتاحاً لحبس عملائه بالسجون السعودية ، فليكن الامر كذلك .

٧٧

لـم يتمكـن هـاورد مـن النـوم لحظة واحـدة ، اذ كـان يـفكـر بـحادث القـصف الجـوي للمخزن ، التي كانت قد اثارت شكوكه بأن امرهم قد كشف . أما الآن فاصبح متأكداً من ذلك . التفت الى زيغلر وقال : «ماذا تعرف عن المراقبة الجوية يا مايك؟»

«قصدك التصوير من الجو؟»

«نعم . فقد كانت فرضيتنا لحد الآن بأن الطائرة قد كشفت من قبل الرادار السعودي ، ولكن ماذا لو كانت هناك وسائل اكثر تطويراً للمراقبة» .

«أتعني الاواكس؟ نعم هذا ممكن فالسعوديون لديهم الاواكس»

«لم اكن افكر بالسعوديين يا مايك»

وأجابه زيغلر مندهشاً «يا الهي! أتعني . .؟»

«نعم ، فلم اجد تفسيراً آخر للاحداث ، أعتقد بأننا كنا تحت المراقبة منذ المراحل الاولى ولسبب ما ، كانوا يحابوننا ايضاً ، وحادثة المخزن خير دليل على ذلك والسؤال هو ، لو كانوا يستخدمون الاواكس ، فما هي حدود امكانياتهم؟ هل يتمكنون من متابعة السيارات ايضاً؟»

«لا أعتقد ذلك ، إلاّ انني اتفق معك يا اد ، فقد كانت الضربة على المخزن في غاية من الدقة واعتقد بأنهم قد استعملوا الصواريخ الموجهة بأشعة الليزر والعراقيون لا يمتلكون مثل هذه الاسلحة» .

وقال هاورد «هذا هو رأيي . هل تتمكن اجهزة الرصد الامريكية من متابعة السيارات؟ وهل كانوا يتابعونا؟ اني أعتقد بأنهم كانوا وما زالوا يتابعون كل تحركاتنا فهذا هو التفسير الوحيد لحادثة المخزن» .

«لا اعرف شيئاً عن آخر التطورات التكنولوجية ، إلاّ انهم كانوا قد تمكنوا من متابعة

الدبابات العراقية أثناء حرب الخليج من خلال اجهزة شبيهة بالاواكس . ولعلهم ، اذ كانوا متمكنين من متابعة دبابات . .؟»

فاتخذ هاورد قراره وقال : «حسناً ، لنفترض اذن ، بأنهم يراقبوننا بطريقة ما ، في الوقت الحاضر . وسيكون مخططنا الجديد كالآتي» .

***

صاح كيرْون بالدب قائلاً «لقد مروا للتو بالوجه دون أن يتوقفوا فيها ، واين هم الآن رجال الـ CIA ؟»

– «دعك من ذلك . كل الذي عليك هو أن تتبع هذه السيارة اللاندكروزر بدقة ، اذ أن الزحام في الشارع سيشتد قريباً» .

– «لن يكون ذلك بالامر الصعب ، فان JSTARS اصبح متفرغاً لهم تماماً» .

واستمر كيرْون بالنظر الى شاشته وشاهد السيارة وهي تتجه نحو ينبع وجدّة . فهل سيسلكون طريق البحر أم هل يستمرون الى جدة؟ وفجأة توقفت السيارة لفترة عشر ثوان أو أقل ، فهل كانوا يبدلون السواق؟ ولكن السيارة استمرت بمسيرتها ، بسرعة ابطأ هذه المرة وكان ذلك بالقرب من نقطة وصول القارب الصغير الى ساحل السعودية ، فهل سيتوقفون هناك؟

وبعد خمس واربعين دقيقة تعجب كيرْون لوقوف السيارة بهذه النقطة بالذات . فسوف يسلكون طريق البحر مرة اخرى! نعم . لقد توقفت السيارة بالقرب من الساحل ولم تكن هناك سيارة اخرى بالمنطقة .

وبعد خمس دقائق كانت هذه المعلومات قد وصلت الى الفين كننغز الذي كان بسيارته متجهاً الى الشمال من ينبع ، نظر الى الخارطة واكتشف بأنه لن يصل نقطة توقف اللاندكروزر ، قبل ساعة من الزمن وهذا يعني بأنهم قد يتمكنون من الوصول الى القارب . ولكن هذه المرة سيختلف الامر ، اذ أن القوات البحرية الامريكية ستقوم بمتابعتهم بالطائرات المروحية التي ستقلع من احدى البواخر الحربية بالمنطقة . لا أمل لهؤلاء الرجال الان .

***

ولكن كيننغز كان يجهل بأن الباب الخلفي لسيارة اللاندكروزر كانت قد فتحت قبل

ذلك الوقت بساعة واحدة ، اي قبل وصولها الى الوجه بقليل ، وكان زيغلر قد قفز منها بعد أن كان قد ارتدى بعض الملابس الاضافية لوقايته من اثر الاحتكاك . وقد اخذ معه آخر العدسات للرؤية الليلية وركض لمسافة ستة كيلومترات الى مطار الوجه ، ولم يكن يتوقع بأن يستغرق ذلك اكثر من خمس وعشرين دقيقة .

وبعد مسيرتهم لمسافة عشرين ميلاً كان كيرْون قد علم بأن السيارة قد توقفت ، توقع بأنهم يتناوبون على السياقة . وكان هذا هو فعلاً ما جرى ، فقد اخذ هاريس يقود السيارة ، ولكن ما كان كيرْون يجهله ، بل ما كان خارجاً عن امكانية الاجهزة كشفه ، هو أن الجميع ما عدا هاريس قد نزلوا من السيارة بهذه الفترة القصيرة واستمر هاريس بالقيادة .

ثم حملوا بورن وبعض الامتعة التي كانت في السيارة الى جانب الطريق وجلسوا ينتظرون . وجاء زيغلر بعد مضي حوال نصف ساعة من قفزته من السيارة اللانكروزر وكان يقود السيارة التي كان قد استعملها لاستقبال هاورد وماكدونالد عند وصلوهم بالقارب الصغير . ركب الجميع السيارة واتجهوا جنوباً نحو جدّة .

اما هاريس فكان قد سبقهم بحوالي نصف ساعة وحين وصوله للنقطة التي كان هاورد قد وصفها له ، خرج عن الطريق وتوقف . ثم نزل من السيارة وقام بفك القطع الرقمية للسيارة وركض بسرعة بإتجاه الطريق ، اذ أنه كان يريد أن يكون بعيداً عن هذه النقطة عند ركوبه بسيارة زيغلر . وبعد قطع مسافة خمسة اميال وصلت سيارة زيغلر وقفز فيها .

وقال هاورد «لقد ركب يا مايك»

فقال زيغلر وهو يسرع مرة اخرى «هل تعتقد بأننا قد نجحنا؟»

- «لا اعرف ، على كل حال سنرى عند وصولنا جدّة»

وعند وصول كيننغز شاهد السيارة اللاندكروزر واقفة وهي خالية فأتصل بالسفارة لاسلكياً ، وبعد مضي اقل من نصف ساعة شاهد طائرة مروحية وهي تحلق في الافق أثناء بحثها عن القارب . ولكن بعد مضي اكثر من ساعة ، وبعد تأكده من رجال البحرية بعدم وجود أي قارب بالمنطقة ، اكتشف بأنهم قد تحولوا الى سيارة اخرى وهربوا فيها ، ولكنه ما كان سيعلم ابداً كيف كان لهم ذلك وبقي امر انتقالهم لسيارة ثانية بدون أن يتوقفوا لفترة اكثر من عشر ثواني لغزاً بالنسبة اليه والى جون كيرْون .

٧٨

- «يتضح أيها السادة ، ان فريق الاغتيال استطاع ان ينفذ من الشبكة التي أحاطتها بهم وكالة المخابرات المركزية» ، كان هذا التعليق الأخير لرئيس (MI6) «وكالة المخابرات البريطانية» في ختام تلخيصه لما دار في الاجتماع . لم يبد أي من الحاضرين في اجتماع لجنة المخابرات المشتركة أية ملاحظات اضافية .

- «شكراً ، سير آرثر» كانت اجابة المنسق العام للجنة المخابرات .

- «قبل ان نبحث أية خطوات أخرى لمتابعة الفريق والتعرف على اشخاصهم ، قد يكون من المفيد ان نبحث مضاعفات ما قام به هذا الفريق في العراق» . توقف المنسق ، والذي كان نفسه مديراً عاماً سابقاً للمخابرات ، ونظر في وجوه الحاضرين وكأنه يحاول ان يستشف ردود فعلهم : «يجب ان نثبت أولاً . . ماذا حدث فعلاً . . جميع الدلائل تشير وبما لا يقبل الشك ان الرئيس صدام حسين قد أغتيل فعلاً صباح أمس ، فنشرة الأخبار التي أذاعتها هيئة الاذاعة الايرانية كانت دقيقة للغاية ، حيث حددت مكان ووقت عملية الاغتيال . وهذه تتوافق مع المعلومات التي جمعتها الأقمار الصناعية الأمريكية التي كانت ترصد الحادث ، من جهة أخرى لدينا تقارير عكس ذلك وعلى الأخص تلك التي أذاعتها مصادر رسمية في العراق ، حيث أذاعت وكالة الأنباء العراقية ولمرات متتالية تكذيباً لما نقلته وكالات الأنباء من طهران ، كما ان التلفزيون العراقي عرض في نشرات الأخبار صوراً للرئيس العراقي يتصدر اجتماعاً لمجلس قيادة الثورة ، وصوراً أخرى للاحتفالات بعيد ميلاد الرئيس» .

واطبق المنسق العام يديه ، وتنفس بشكل مسموع ثم قال غير صحيحة ، خاصة وان تاريخ هذه المصادر حافل بتلفيق البيانات والاخبار . كما تأكدنا ان الصور التي عرضها تلفزيون بغداد للرئيس العراقي ، هي صور وثائقية التقطت قبل فترة ، فقد أكدت لنا

هيئة الاذاعة البريطانية ان هذه الصور قد أُخذت قبل ستة أشهر على التحديد . . وهذا يعني انه لم تؤخذ صور لصدام حسين البارحة . . يوم عيد ميلاده ، أما صور الاحتفالات التي إدعى التلفزيون العراقي انها التقطت في تكريت ، فقد تأكد لنا أنها أخذت في المحمودية وهي مدينة صغيرة جنوب بغداد . . وقد أكد لنا ذلك أحد الصحافيين الموثوقين الذي زار المدينة قبل فترة ، وهذا يعني على أقل تقدير ان التقارير الواردة من مصادر عراقية رسمية غير موثوق بها ، ويجب اهمالها . اضافة الى ذلك هنالك تقرير آخر لا يمكن اهماله» وتناول المنسق العام صحيفة التايمز اللندنية التي كانت أمامه وأشار الى مقالة فيها «يقول التقرير الصحافي ان عشرات الألوف من الناس احتفلت بعيد ميلاد الرئيس في تكريت ومرت من أمام منصة التحية تهتف بحياته ، وإدعاء المقالة ان الرئيس العراقي لم يحضر الى تكريت خوفاً من احتمالات مؤامرة لاغتياله . عادة يميل المرء الى تصديق مثل هذه التقارير ، لولا ان الصحافي الذي أبرق المقالة كان في القاهرة وليس في تكريت ، وان مصدر الخبر الصحافي هو صحيفة «الجمهورية» الناطقة بلسان الحكومة!!» سكت المنسق العام لوهلة ثم واصل : «لكل هذه الأسباب ، فأنا ميال الى تصديق الأخبار الواردة من ايران عن اغتيال الرئيس العراقي . . . ، والآن أود ان انتقل الى سياسة حكومة صاحبة الجلالة حول هذا الموضوع ، فقد اجتمعتُ هذا الصباح برئيس الوزراء ووزير الخارجية . . .» .

وهنا سرح السيد ماكس غوديل نائب مدير عام (MI5) (المسؤول عن الأمن الداخلي) بأفكاره خارج أجواء الاجتماع ، بينما استمر المنسق العام بشرح السياسة الجديدة التي سوف تنتهجها الحكومة البريطانية تجاه الايرانيين واحتمالات الانفتاح على الحكومة الايرانية .

أما غوديل فكان يفكر بالعملية نفسها . . «العملية إذن نفذها أحد القناصة؟» كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمع بأسلوب التنفيذ ، وكيف ان الشرطة البريطانية لم تصل الى نتيجة مرضية بعد التحقيق ، ولحد الآن ، وكيف ان اسم السير بيتر دارتنغتون (من مؤسسة داركون) ورد لأكثر من مرة خلال التحقيق ، وقرر ان هنالك بعض المعلومات الاضافية يجب ان يتحرى عنها بنفسه .

عاد السيد غوديل يركز على الاجتماع . . وسمع المنسق العام للمخابرات يلخص وقائع

الاجتماع « . . . . هذه باختصار أيها السادة ، خلاصة السياسة المقترحة لحكومة صاحبة الجلالة حول الموضوع . وإذا لم تكن لديكم أية مقترحات أو تعليق ، فسوف انتقل الى الاجراءات التي يجب اتخاذها بشأن فريق الاغتيال . .» .

تدخل غوديل في النقاش وقال «السيد الرئيس . . قد يكون من المفيد لو أخذنا فكرة عن طبيعة الاشخاص الذين قاموا بهذه العملية . ولا شك ان كل مناله رأيه الخاص وكّون قناعته حول الموضوع ، ولكن المهم هنا أن نطلع على رأي قائد القوات الخاصة» .

بدت علامات الاستغراب على وجه المنسق العام . . إلا انه هز رأسه بالموافقة وقال «قد يكون ذلك مفيداً» ، ثم التفت الى الرجل الذي كان جالساً في الطرف الآخر من المائدة وقال «بريگادير؟ هل يمكنك ان تلقي بعض الضوء حول الموضوع؟» .

كانت مداخلة قائد القوات الخاصة مختصرة ولكنها وافية بالغرض؟

- «الأدلة المتوفرة لدينا ، والنتائج التي توصل اليها الفريق تدل على انهم على درجة عالية من المهارة ، واستطيع ان أجزم ان بعض منهم قد خدم في القوات الخاصة ، وانهم نفذوا العملية باندفاع عالي ، ومن الناحية الفنية والحرفية لا يسعني إلا ان أعترف بقدرتهم العالية ، ولكن هنالك شيء واحد ما زال يشغلني حول كل هذه العملية» .

- «نعم . . بريگادير» استفسر المنسق العام «ما الذي يشغلك؟» .

- «السؤال المحير هو من أين حصلوا على معلوماتهم ، فهنالك ندرة من الناس في العالم يستطيعون تنفيذ مثل هذه العملية؟ فأفراد القوات الخاصة يستطيعون من الناحية النظرية تنفيذ مثل هذه العملية ، لكن يجب ان تتوفر لديهم معلومات بنفس الدقة التي توفرت لهذا الفريق ، وأعني بذلك دقة معلومات الفريق عن مكان تواجد صدام حسين . ندرة من الناس يعلمون بذلك!! يجب ان نجد مصدر معلوماتهم!» .

- «شكراً بريگادير ، لا شك بأننا سنحاول ان نجد مصدر معلومات هذا الفريق» إلا ان النقطة المهمة هنا . . ما هي الاجراءات التي يجب اتخاذها إذا عثرنا على بعض أو كل أعضاء الفريق . . المهم هنا ان نحاول ابعاد الشبهة عن تورط حكومة صاحبة الجلالة!» .

سرح غوديل بأفكاره مرة أخرى . . نعم . . يجب ان تُبعد الشبهات عن أي تورط رسمي بالموضوع ، واضح جداً خلفيات الأشخاص الذين نفذوا العملية ، أفراد خدموا سابقاً في القوات الخاصة!

انفض اجتماع اللجنة المشتركة للمخابرات بعد نصف ساعة وبدأ الحاضرون بالمغادرة . توجه غوديل الى سيارته وجلس في المقعد الخلفي . . وبدأت السيارة تتحرك باتجاه مكتبه . شيء ما زال يشغل تفكيره ، لم يستطع ان يجد تفسيراً له . . وفجأة نادى السائق؟

- «جورج . . هلا غيرت اتجاه سيرنا . . توجه نحو إدجوير رجاد» .

- «نعم سيدي» أجاب السائق ، وحول الاتجاه في أول فرصة متوجهاً الى شمال لندن ، حيث تقع منطقة إدجوير .

* * *

بعد ثلاث ساعات ، كان غوديل جالساً في مكتبه . . يشعر بالارتياح وكأنه أنجز شيئاً . رفع سماعة الهاتف وكلم صديقاً له . دامت المكالمة بضعة دقائق سأل غوديل صديقه سؤالاً واحداً ، وتلقى الجواب الذي كان يتوقعه . جرب غوديل ان يجري مكالمتين أخريتين ، لم يحصل على أي جواب في المكالمة الأولى أما الاجابة الثانية فقد جاءت من جهاز التسجيل .

نزل بعدها الى قسم الوثائق ، وسحب ستة ملفات ، عاد بها الى مكتبه وانكب يقرأها الواحدة تلو الأخرى . عندما انتهى من القراءة ، اتكأ باسترخاء على كرسيه ، وبدت نظراته بعيدة . . تحلق خارج غرفته المعتمة .

إنتبه غوديل على صوت طرق على باب غرفته . . انفتحت الباب ودخلت سكرتيرته ، وكان القلق بادياً على وجهها .

- «هل لك ان تسمح لي ببعض الدقائق من وقتك . . لدي قضية تخصني شخصياً أود أكلمك بشأنها» .

- «بكل تأكيد يا جيني . . تفضلي إجلسي» .

ارتاحت السكرتيرة لردة فعل رئيسها ، لا شك انه في وضعية نفسية جيدة . بدأت السكرتيرة بعرض طلبها على غوديل؟

«إحدى أعز صديقاتي تواجه مشكلة صعبة وطلبت مني امكانية مساعدتها . المشكلة تخص خطيبها ، صديقتي هذه تعمل في سلك الشرطة «برتبة ضابطة» كانت جيني تتخبط في سرد القصة ويبدو عليها الارتباك . . «صديقتي لا تعلم من أنت ، ولكن لديها

فكرة بأني أعمل في إحدى مراكز المخابرات في البلد . . وهي تعتقد بأن خطيبها قد تورط في قضية كبيرة وهي لا تعلم ماذا تفعل وتود ان تتكلم معك . .» ، قاطعها غوديل وهو يبتسم .

- «هل تعرفين اسم خطيب صديقتك هذه يا جيني؟» وقبل أن تجيب ، ت٨٣١٤ضشغوديل لوهلة وأخذ إحدى الملفات الستة الموجودة أمامه . . «هل هنالك احتمال ان يكون اسمه جوني بورن . .!» .

٧٩

وصلت جماعة هاورد الى مسافة عشرين ميلاً من نقطة التفتيش الى الخارج من جدة فقال هاريس :

- «لن تكون لنا مشاكل لو تكلمتم معهم بالعربية وتعاملتم معهم باحترام»

- «وهل يدققون بالاوراق»

- «نعم ، يرويدون جوازات السفر»

- «فهناك مشكلة اذن . فلم يختم جوازي ولا جواز داني بتأشيرة دخول سعودية . يجب أن تستعمل جوازي المرحومين بوب وأندي وان نسلم الجوازات كلها دفعة واحدة لعلهم لن ينتبهوا الينا» .

- «حسناً سيدي»

ثم التفت هاورد الى بورن وكان مستلقياً في الخلف وقال له «هيا يا جوني . استيقظ . كيف تشعر الان؟»

وفتح بورن عينيه بصعوبة وكان وجهه شاحباً وقال «اشعر بالضعف إلاّ أن الالم قد خف قليلاً»

- «هذا جيد . اسمع يا جوني سنصل الى نقطة تفتيش قريباً ويجب عليك أن تجلس وتظهر بمظهر اعتيادي لفترة . فهل ستتمكن من ذلك؟»

- «طبعاً ، هل تساعدني بالجلوس؟»

- «ليس الآن يا جوني فلننتظر لغاية وصولنا فلا داعي لارهاقك هيا استعدوا ، اخرجوا ادوات حلاقتكم الكهربائية وحسنوا من مظهركم»

وانتظروا لفترة طويلة حتى يحين دورهم عند نقطة التفتيش ولكن هاورد قام بتطمينهم قائلاً : «انهم لا يعرفون شيئاً عن هذه السيارة . فهم يبحثون عن اللاندكروزر وبعض

موظفي شركة داركون الوهميين . سيكون كل شيء على ما يرام إلاّ اذا قاموا بالتدقيق بصور الجوازات» .

وقال هاريس : «وماذا عن صورة بوب؟ سينتبهون اليها فوراً اذ لا يوجد بيننا من هو اصلع»

- «ان الصورة في جواز سفره قديمة واخذت حينما كان شعر رأسه ما يزال كثيفاً» .

وقام هاورد بمساعدة بورن على الجلوس عند وصولهم النقطة . وقام زيغلر بفتح شباكه وقال بالعربية «السلام عليكم ، كيف حالك؟» واعطى الجندي جوازات سفرهم . نظر الجندي فيها بسرعة ثم اشار لهم بالمرور فالتفت بورن لهاورد وقال :

- «اسمع يا إد ، الألم قد ازداد ولا اعرف ما اذا كنت سأحتمله لفترة اطول . اتركوني هنا ، فلن اتمكن من الصعود الى الطائرة»

فكر هاورد ثم قال : «سأعطيك جرعة اخرى من المورفين ، يا جوني ويجب إلاّ تنسى بالا تتكلم كثيراً . سنجد لك كرسياً للمقعدين عند وصولنا المطار» .

وقال هاريس «وماذا عن جوازات السفر يا سيدي . فأن نخدع شرطياً في شارع امر أسهل بكثير من مواجهة ضابط الجمارك في المطار» .

- «سأقوم بتغيير الصور فيها»

وعند وصولهم المطار قام هاريس بارجاع القطع الرقمية الاصلية للسيارة المؤجرة التي كانت بموقف السيارات ، ثم قام بإعادة السيارة الى مكتب تأجير السيارات ، ثم عاد ليتهيأ للمغادرة .

أما هاورد فقد قام بوضع صورته وصورة ماكدونالد على جوازي سفر دينارد وأوشر والتقى بماكدونالد عند قاعة المغادرة ، وكان قد قرب موعد رحيل طائرتهم فقال له : «هل رحل الاخرون يا داني؟»

فقال ماكدونالد والحزن ظاهر على وجهه «نعم ، وقد شعرت بالغرابة وانا اودعهم بهذا المكان . انهم مجموعة طيبة حقاً وسأفتقدهم كثيراً»

واجابه هاورد بصوت هادئ «كان علينا أن نفترق عاجلاً أم آجلاً . وكان تقسيمنا الى فريقين ضرورياً لأننا كنا سنلفت النظر كمجموعة كبيرة ، ثم اننا نواجه مخاطر اكبر بجوازات سفرنا المزورة ولا داعي لان يتعرض الجميع لهذه المخاطر» .

- «وهل ستقتنع السلطات البريطانية بهذه الجوازات؟»
- «لن يروها مطلقاً . فسوف ننزل في روما اولاً»
وسنقوم هناك باستعمال جوازات سفرنا الاعتيادية» .

وعندما تفحص رجال الجمارك جواز سفر داني شعر هو بنوع من التوتر إلاّ أن الضابط سرعان ما ختم جواز السفر وقال «شكراً يا سيد دينارد . آمل أن تكون قد قضيت وقتاً ممتعاً في بلدنا»

وأجابه ماكدونالد : «نعم ، لقد كانت فترة لن انساها ابداً» .

القسم الرابع

البريق الساطع

٨٠

انعطفت السيارة بعد عبورها جسر «سپين» متجهة الى البيت الصغير في نهاية الشارع . . وتوقفت أمام البوابة ، حيث ترجل منها نائب المدير العام لجهاز الاستخبارات البريطاني (MI5) ، فتح البوابة واتجه الى باب المنزل وطرقه مرتين . انفتحت الباب . . وظهر داني ماكدونالد وقد ضمّد إحدى يديه وشدها بلفاف الى عنقه .

– «أهلاً بك سيدي» بادره داني «هلا دخلت؟!» .

– «شكراً يا داني» أجابه ماكس غوديل ، وتبع داني الى داخل المنزل حيث غرفة الجلوس . كانت الغرفة دافئة بمنظرها ومحتواها وكانت هنالك سيدة شابة ذا شعر أحمر تعلق الستائر في إحدى نوافذ الغرفة ، وعندما شاهدت غوديل يدخل الغرفة توقفت عن العمل .

– «دعني أعرفك على خطيبتي شيلا» إبتسمت شيلا ومدت يدها لتصافح غوديل .

– «أنا سعيد بمعرفتك» قال غوديل مبتسماً «وكيف ترفع على هذا الشاب؟» .

– «أعيش على مقربة من هذا المحل . . في قرية كارفيج . ووالدتي تملك مطعماً وفندقاً في القرية» .

– «وهل تركتي والدتك تقوم باعباء المطعم والفندق لوحدها؟» .

– «كلا سيدي . . إن والدتي في إجازة لمدة ثلاثة أسابيع والفندق مغلق» .

– «أرجو معذرتي . . لم أكن أقصد أن أتطاول عليك . أرجو أن تكون قد ذهبت الى مكان ممتع» .

– «نعم . . لقد سافرت الى إيطاليا . .» أجابت شيلا وهي تبتسم . . والآن هل لي أن أخدمك بقدح من الشاي .

– «هذا لطف منك . . والآن إن سمحتي ، يجب أن أكلم داني على أنفراد» .

استغربت شيلا لهذا الطلب . . ولكن داني طمأنها باشارة واضحة . . فاتجهت الى المطبخ لتغلي الماء . . بينما جلس الاثنان . . . وراح داني يترقب ما سيقوله غوديل! . ولم يدخل للموضوع مباشرة . . حيث عادت شيلا تحمل الشاي وبعض البسكويت ، فشكرها غوديل . . ثم عادت الى المطبخ ثانية . . وبعد وقت قصير بادر غوديل للقول :

- «هل هذا الجرح في يدك خطير؟ وهل استشرت طبيباً اخصائياً؟» .

- «في الحقيقة . . انه جرح بسيط» قالها داني وهو يبتسم .

- «لقد سمعت خلاف ذلك يا داني! . . فالجرح بعمق نصف إنج» قال غوديل وقد تحولت نظراته الى بريق حديدي ركزها على داني! .

- «ومن . . ومن أخبرك بذلك؟» .

- «لقد رأيت صديقاً لك . . يوم أمس» وتوقف برهة ليرى رد فعل داني «شخص يدعى جوني بورن . . ولكنه لم يبح باسمك . . ومع ذلك فقد كنت على علم بما حصل قبل ذلك . . وقد أكدت حالتك وضربة الشمس التي يظهر أنك تعرضت لها . . كل ذلك يؤكد ما سمعته!» .

صُعِقَ ماكدونالد لما سمعه . . وكان يفتح فمه ويغلقه دون أن يصدر منه أي صوت . . وعندما استطاع أن يتكلم بعد جهد جهيد ، كان صوته خافتاً ومشوباً برعشة «ماذا سمعت بالضبط؟!» .

- «لقد اطلعت على معظم العملية ، وأمل أن تخبرني بالباقي» .

- «وماذا سيحدث لي بعد ذلك» تسائل داني بصوت خافت .

- «يعتمد ذلك على ما ستعطيني من معلومات يا داني» .

- «ولكن كيف عرفت بالموضوع . . وما هو الخطأ الذي ارتكبناه . . وكيف أكتشف أمرنا؟!» .

- «مزيج من الامور . . لقد صاحبكم سوء الطالع ببعض الامور ، والامور الأخرى أكتشفناها صدفة ، ولكن سأوضح ذلك فيما بعد . . والآن سأروى لك رواية ، أرجو أن تصححني إذا أخطأت في بعض تفاصيلها» .

هز داني رأسه . . دون أن يعلم ما يقصده ماكس غوديل .

- « لم أكن أعلم كيف توفى أخوك فيرگس» بدأ غوديل حديثه وهو ينظر الى صورة

الشاب المعلقة على الحائط . «يوم الاربعاء الماضي تذكرت باني قرأت خبراً قبل مدة في الصحف المحلية . . ولم أربط بين الخبر وبينك . ولذلك ذهبت الى المكتبة العامة لأبحث عن بعض الاعداد القديمة . فقد كان أخوك فيرگس متزوجاً من فتاة بحرينية . . أليس كذلك؟» ولم يعترضه داني ، فاستمر غوديل في حديثه «ذهب أخوك ليعمل مع شركة للنفط في الكويت والتقى بالفتاة البحرينية فتزوجها وأستقر هناك ، وعند غزو العراق للكويت ، ألقت السلطات العراقية القبض عليه وعلى عائلته وقد عذبتهم المخابرات العراقية ، وماتوا اثناء التعذيب» .

- «نعم هذه هي الحقيقة يا سيدي» قالها داني والألم يحز في نفسه «وأرجوا أن تعلم بانني لم أكن سأوافق على مشاركة هذا الفريق فيما فعلت ، لولا حادثة أخي فيرگس» .

- «أعرف ذلك يا داني» قال غوديل ونبرات العطف والحنان بادية على وجهه ، «لقد كان إد هاورد يعرف بهذا الموضوع ولهذا وقع اختياره عليك ؛ أليس كذلك؟» .

- «هذا صحيح» أجاب داني «كان إد يقول لي بأنه يعرف ثلاثة أسباب تدفعني الى قبول المهمة ، وفد فهمت في حينه بأنه يعني أخي فيرگس وزوجته وابنته . . بالمناسبة كيف علمت من هو إد؟» .

- «صديق لي اسمه هنري ستونر تذكر بأن إد هاورد سأل عنك . لاشك أنك تذكر ستونر ، حيث إتصل بك . . ليضمك الى فريق الرماية الذي كان بصدد تأليفه» .

- «نعم» أجاب داني باقتضاب .

- «سجلات المكتبة الوثائقية للصحافة تؤكد ذلك . إد هاورد طلب أن يطلع على نفس الموضوع في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي . وعندما اتصلت تلفونياً بإد هاورد ، وثم اتصلت بك ، لم أجد إجابة من أي منكما . والآن يا داني خبرني بالضبط ماذا حصل في تكريت؟» .

- «لم يخبرك إد بذلك؟» .

- «كلا . . لم أتكلم مع إد . . وإنما مع جوني بورن . . وأعلم أن جوني كان يحرس الشاحنات وقت الحادث .

ولمدة ساعة كاملة ، سرد داني ماكدونالد تفاصيل الحادث . لم يعترضه غوديل ، فاستمر داني بالحديث وأخبره بفرح شديد كيف لاقى صدام حسين حتفه ، ولكن

نبرات صوته تغيرت عندما أخبره بوفاة اثنان من أعضاء الفريق .

وعندما أنهى داني حديثه ، سأله غوديل ، «وكيف تستطيع اثبات ما تقول؟ كل الذي سمعناه هو من راديو طهران ، ولم تذيع اجهزة الاعلام العراقية أي خبر حول الحادث لا من قريب ولا من بعيد» . سكت داني ماكدونالد لوهلة . . وكأنه يحاول أن يصل الى قرار ، ثم نهض من مكانه واتجه صوب أحد الادراج في الغرفة . . فتحها وأخرج منها مغلفاً يحتوي على صور بالابيض والاسود وسلمها الى غوديل . «لقد كانت لدى هاورد كاميرا تلسكوبية ذات محرك . . كان قد نصبها على قاعدة ثابتة وأخذ هذه الصور» .

نظر غوديل ملياً بالصور وكانت على درجة كبيرة من الوضوح . فالصورة الاولى كانت لمقتل شبيه صدام والثانية لمقتل أحد أعوانه والثالثة لوصول موكب صدام الفعلي . . والرابعة لمقتل الديبلوماسي الايراني . . . والصور البقية كانت لمقتل صدام نفسه .

رفع غوديل رأسه وسأل داني «هل أرسل لك هاورد هذه الصور؟» .

– «نعم وصلت بالبريد هذا الصباح» أجاب داني .

لاحظ غوديل الطمغة البريدية على المغلف . . وعرف أنها جاءت من ايطاليا . . وبدأت الافكار تتسارع في ذهنه . . «ترى هل سافرت والدة شيلا الى ايطاليا للقاء إد هاورد؟» . التفت غوديل مرة أخرى الى داني وسأله :

– «ومن هو الشخص الذي قتلته بالاطلاقة الثانية والذي كان واقفاً جنب شبيه صدام؟» .

– «اسمه علاء حسين علي ، فعند اجتياح صدام الكويت ، كان علاء ضابطاً في المخابرات العراقية ، وعينه صدام رئيساً لوزراء الكويت ولدى معلومات أكيدة بأنه شخصياً أشرف على تعذيب أخي وعائلته» . وقد انطبعت صورته في ذهني . . ولما رأيته على المنصبة . . لم أتمالك نفسي فأصبته في أسفل بطنه متعمداً . . ومات يتلوى من الألم ، وعندما صحت بصوت عالي ، ظن زميلي في المخبأ بأني أصيح «الله» بينما كنت أردد أسم هذا الوغد «علاء» .

كان غوديل يستمع الى داني بصمت ولم يعترضه الى أن أنهى كلامه .

– «سؤالي التالي يا داني . . أريد منك أسماء الفريق الآخرين!» .

أستغرب داني لهذا السؤال وأنشدت تقاطيع وجهه وقال ؛

- «آسف يا سيدي . . فلست على أستعداد لخيانة زملائي ، حاول أن تحصل على أسماء الفريق من مصدر آخر» .

ألتزم غوديل الصمت ولم تظهر عليه أية ردود فعل سلبية وقد كان يتوقع من داني مثل هذه الاجابة .

- «لدي سؤال أخير . . وأرجو أن تفكر ملياً قبل أن تجيبني» وسكت برهة . . ثم انحنى ليكون قريباً من داني وقال ؛

- «هل تعلم مَن كان وراء هذه العملية؟ الشخص الذي أوكل الى هاورد بهذه المهمة؟!» .

فأجابه داني مباشرة ، «كلا . . لم يخبرني هاورد ، في الحقيقة لم يخبر أي منا وكان البعض منا يحاول أن يخمن الجهة التي كانت وراء العملية . . وكان الشعور العام لدى معظمنا أن الحكومة البريطانية كانت وراء العملية» .

أقتنع غدويل بهذا القدر من الاجابة ؛ «طيب يا داني . . أصدق ما تقول . . وقد أعطيتني الاجوبة التي طلبتها منك» . بدى الاستغراب على وجه داني بينما استمر غوديل في كلامه «والآن سأخبرك عن الخطوة التالية وسببها ، ولكن قبل ان استمر بالكلام أرجو أن تعدني بأنك سوف لن تتكلم والى الابد عما فعلته خلال الشهرين الماضيين ، وسوف لن تتكلم عن الجهة التي كانت وراء العملية ، كما أنك سوف لن تكرر الحديث الذي دار بيننا هذا اليوم لأي كائن كان . . هل فهمت قصدي؟» .

وهز داني ماكدونالد رأسه موافقاً «أعدك بذلك يا سيدي» . وأرجع غوديل رأسه الى الوراء مشيراً الى أنه سمع داني .

- «طيب . . كما تعلم فمن الممكن أن نقدمك أنت وجوني بورن وإد هاورد الى المحكمة . . حيث أرتكبتم أكثر من عشرين جريمة هنا ، حسب القانون البريطاني . . هل تفهم قصدي؟» .

- «نعم سيدي» أجاب داني وعلامات الخوف بادية عليه .

- «ومع ذلك» أستمر غوديل ، «فأن أي محامي للدفاع ، مهما أنعدمت مواهبه ، سيستخدم خلفية القضية وتفاصيل العملية نفسها ليجعل منكم أبطالاً بدلاً من مجرمين ، أضف الى ذلك التأثير السيء على العلاقات الديبلوماسية مع عدد من الدول

وخاصة الصديقة منها كالمملكة العربية السعودية . . وبالتالي فان الرأي العام والمحكمة سيكونوا في صالحكم . . ولا أمل لنا في أن نربح القضية ضد فريق الاغتيال . . هل فهمت؟!» .

- «نعم سيدي» أجاب داني .

- «ولهذا» استمر غوديل «فقد قررت أن أوفر على المواطن البريطاني كلفة هذه القضية التي ستكلف ملايين الجنيهات . أضف الى ذلك ذهبت يوم أمس لإستشارة المدعي العام وأخذت معي أحد الاشخاص الذين تهمهم القضية ، وشرحنا الموضوع من كل جوانبه ، وكان رأي المدعي العام . . ان إثارة القضية أمام المحاكم ليس من المصلحة العامة . أما العامل الآخر . . فاني وهذا الشخص الذي رافقني الى المدعي العام نعرف هويتك وأعضاء الفريق . . وأن تحريات الشرطة لم تصل الى نتيجة وأمر وزير الداخلية بغلق الملف! لذا فقد نجوت ورفاقك من القضاء هذه المرة . . ولا داعي أن أحذرك من عدم تكرار مثل هذه العملية . . وإلا ستذهب في ستين داهية!! .

لم يكن داني ماكدونالد يصدق ما يسمع . . غوديل قرر إيقاف التعقيبات القانونية . . فقال بصوت مرتبك «شكراً . . شكراً جزيلاً يا سيدي» .

ابتسم غوديل قائلاً «بالمناسبة جون بورن يهديك تحياته! سوف لن يستعيد كامل استخدامه لساقه ، ولكنه قطعاً سيمشي عن قريب . . وأوكد لم أنه لن يغامر أبداً في حياته . . وأول رحلة له ستكون الى دائرة الاحوال المدنية خلال الاسابيع القادمة . . حيث سيتزوج خطيبته جوليت . . وكما تعلم فانها برتبة ضابط كبير في المباحث الجنائية في لندن . . وهي الشخص الآخر الذي رافقني لدى مقابلتي للمدعي العام» .

- «ومن أين علمت مشاركة جوني بورن في الفريق؟» .

- «كانت مسألة استنتاج بسيطة ، حيث سرعان ما علمت أن إد هاورد متورط في الموضوع . . إنصرف ذهني الى جوني بورن . . حيث كان الأخير يعمل معه في شركته وكان مقرباً اليه . . بالمناسبة يهمني أن التقي إد هاورد مستقبلاً . . فقد برهن أنه صعب المتابعة . . وتوقعي أن الآخرين مثل زيغلر وهاريس وأوشر . . كلهم صعبي المتابعة . . أما الطيار الامريكي سوليفان . . فما زال الامر لغزاً بالنسبة لنا . . ونفس الشيء بالنسبة للشخص الذي التحق معكم من جنوب افريقيا (وكان يعني روديسيا لتشابه اللهجة) . .

ولكن لا أتوقعك أن تخبرني عن ذلك . . ولا أريدك أن تخبرني» . وأستمر غوديل «سوف أتقاعد في الشهر القادم ، وسوف تعطيني هذه القضية شيئاً ألهو به حيث سأحاول أن أربط الوقائع مع بعضها البعض . . عملية رائعة فعلاً . . لننسى الموضوع الآن!» .

وشعر داني ماكدونالد من أن حملاً ثقيلاً قد رفع عن كاهله وبادر . . «لا أدري ماذا أقول . . أنا مدين لك طول حياتي وشاكراً الى الابد . .» .

- «أرجو أن تنسى الموضوع» بادره غوديل «لذا أرى أن احتفظ أنا بهذه الصور» . . وقبل أن يجيب داني ، فتح غوديل حقيبته ووضع فيها الصور ثم أعاد غلقها .

- «ساحتفظ بالصور . . منعاً من أن تقع في ايدي غير أمينة» ثم وقف مودعاً داني ومد يده يصافحه ؛

- «تقبل التهاني مرة ثانية على خطبتك . . شيلا فتاة رائعة ، أمل أن أراك في شهر أكتوبر (تشرين أول) عندما نخرج للصيد ، وحذار من الاطلاقات بعيدة المدى! وكان غوديل يشير الى حادثة اغتيال صدام حسين .

- «أعدك أن لا أتورط بمثل هذا العمل في المستقبل يا كولونيل!» .

٨١

جلس السير بيتر دارتنغتون وحيداً في مكتبه في لندن ، يستعرض الأحداث الهائلة التي مرت به خلال اليوم . . وسوف لن يسنى الخامس من آيار (مايو) ١٩٩٢ .

إذ اعتاد ان ينزل كل صباح الى مكتبه في الطابق الأرضي من منزله الريفي . . وعلى طاولة الكتابة رأى بعض الرسائل ، يعلوها مظروف اسمر معنون اليه ويحمل طوابع ايطالية ، فأخذه الفضول وأسرع بفتح المظروف ، وحينما القى نظرة على محتوى المظروف . . وقلب الصور واحدة تلو الأخرى . . تسارعت دقات قلبه . . فجلس على أقرب أريكة وحاول ان يهدأ أعصابه ، لقد كانت الصور واضحة . . لقطات متتابعة لاغتيال صدام حسين . . . - «يا إلهي . . . لقد نجح إد هاوردا» . . قفز من مقعده وفتح الخزانة الحديدية ليودع فيها الصور . . ثم ، اسرع الى لندن .

ولدى وصوله الى مكتبه . . فاجأته الحادثة الغريبة الثانية . . فلم يفهم لأول مرة علامات الابتهاج الذي استقبل به عند دخوله الى المبنى . . فالكل يبتسم والكل يصافحه مهنئاً . . واستفسر من سكرتيرته عما يجري في المكتب فأخبرته بأن موسسة داركون قد نجحت في الحصول على ثلاث مقاولات كبيرة!! إذن فالكل وفى بوعده . . كان ذلك أولى الافكار التي طرأت له ، لكنه لم يهتم بذلك . . فقد وفى هو الآخر بالتزاماته واحتفل الجميع ذلك اليوم بالنجاحات التي ستحققها الشركة .

وهنا حصلت المفاجأة الثالثة في اليوم ذاته . . فقد دخلت سكرتيرة السير بيتر تعلمه ان هنالك شخصاً يدعى غوديل . . يود مقابلته فوراً ويدعي انه من قوات الشرطة . . وسرعان ما تحقق دار تنغتون من هوية المدعو غوديل وعلم انه ليس من قوات الشرطة بل ينتمي الى احدى أجهزة المخابرات البريطانية . وعندما ترك غوديل مكتب دارتنغتون . . شعر هذا الأخير . . انه يحتاج الى شيء ما لتهدئة اعصابه ، كانت نظرات غوديل ثاقبة

وعينيه الزرقاوتين تكادان لا تفسح المجال لدارتنغتون ليلتقط انفاسه ، كان يشعر وكأنه فَرّاشة ثُبتت على الجدار بمسمار رفيع . لقد كان هذا المدعو غوديل يعرف كل شيء عنه . . عن تورطه بحادث اغتيال صدام حسين . . بالمحاباة في حصوله على المقاولات الثلاث . . بوضع مؤسسة داركون . . بكل صغيرة وكبيرة في حياته الشخصية . وفجأة شعر دارتنغتون بهول ما عمله . . وعمق تورطه مع الاجهزة الشبحية للدولة ، مع أشخاص قد يسببون له مشاكل لا تعد ولا تحصى في المستقبل ، ودفن وجهه بين يديه واستغرق في تفكير عميق .

٨٢

لم تكن الأرض تّسعُهُ من الفرح . . فقد كانت المقابلة مع رئيس الوزراء ناجحة جداً . . وفاقت النتيجة كل توقعاته ، وبينما كان الوزير في سيارته في طريق العودة الى المنزل . . استرجع كلمات الثناء التي كالها له رئيس الوزراء ، فقد هنئه بحرارة على نجاح محاولة اغتيال صدام حسين ، ونوه له بمنصب أعلى في التعديل الوزاري القادم ، أما السيد آشر فكان لا بد من التخلص منه . . حقيقة مؤسفة . . قالها الوزير وهو يفكر بما سيؤول اليه مصير آشر . . رجل مقرف ، جشع ، عديم المبادئ والاخلاق ، ولكن مع ذلك كانت له فوائده . كانت الصحافة والاوساط المالية مليئة بالاشاعات عن الصفقات المالية المشبوهة التي تورط فيها آشر ، ولو ثبت احدها عليه لتطورت الى فضيحة كبرى . . وانكشف امره وأمر المؤامرة ، كان آشر الصلة الوحيدة بينه كوزير في الحكومة وبين عملية الاغتيال ولو اختفت هذه الحلقة لما استطاع أحد ان ينسب الموضوع الى الحكومة!

رائع . . سوف يتولى الأمر بنفسه . . حادث مؤسف في وسط البحر . . فاعوانه لم يرتكبو أي خطأ لدى تنفيذ العملية . . ولم يتركوا أي أثر . . وقد اختلفت التأويلات حول الحادث الذي أودى بحياة آشر ، هل أصيب بنوبة قلبية وسقط في البحر . . أم انه انتحر؟! أخبر رئيس الوزرزء بالحادث . . وبعد ان اختفت آخر حلقة تربط الحكومة بموضوع اغتيال صدام حسين . . وقع على المقاولتين لمؤسسة داركون . لقد أكمل الوزير المهمة من كافة جوانبها! وله الحق ان يشعر بالفخر .

وصلت سيارة المرسيدس أمام منزل الوزير الفخم في ضواحي المدينة . . ترجل السائق وفتح الباب . . وانتظر الوزير ليترجل هو الآخر . كانت درجة حرارة الخارج مرتفعة ، خاصة بعد ان اعتاد على جهاز التكييف في السيارة .

استقبله على باب المنزل أحد الخدم حاملاً قدحاً من عصير الليمون المثلج . تناول

الوزير عصير الليمون بينما تعالى صوت المؤذن في منارة قريبة يدعو المؤمنين لصلاة الظهر . ابتسم الوزير وناول القدح الى الخادم؟ «من غير اللائق ان يتخلف وزير التشريفات في ديوان رئاسة الجمهورية الايرانية عن صلاة الظهر!» . وبينما كان يؤدي صلاة الظهر ، قرأ الوزير الفاتحة على روح السفير الايراني في بغداد والذي استشهد في حادث اغتيال صدام!

القسم الخامس

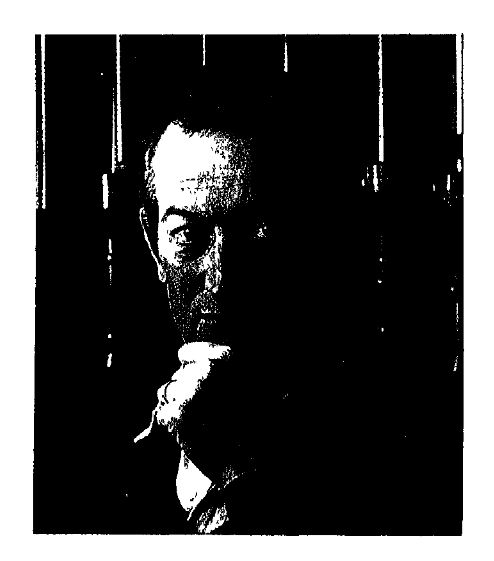
الخـاتـمـة

٨٣

وفي السادس من آيار (مايو) ١٩٩٢ أذاع التلفزيون العراقي نبأ يكاد لا يرقى الى مستوى الدعاية اليومية المعتادة والخاصة بزيارة الرئيس العراقي الى احدى القواعد العسكرية في ضواحي بغداد . كانت اللقطة اعتيادية وقد ظهر فيها الرئيس يستعرض حرس الشرف ، وظهرت في الصورة أيضاً بعض العربات المدرعة . لم يتكلم الرئيس الى أي من الجنود ، ولم يتوقف ليلقي كلمة كالمعتاد ، وانما مر مسرعاً دون ان تظهر على وجهه أية ردود فعل . وقد كان بصحبته عزت ابراهيم ، نائب الرئيس ، والبعض من المساعدين بزيهم العسكري المعتاد . وكان أحد المساعدين يحمل بيديه صحيفة ، تركزت عدسة الكاميرا عليها لتظهر تاريخ واسم الصحيفة «القادسية» ، العدد الصادر في الخامس من آيار (مايو) التقطت هذه الصور كل من تلفزيونات الـ«بي . بي . سي» و«سي . ان . ان» وعدد غير قليل من محطات التلفزة العالمية ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يُشاهَد فيها الرئيس العراقي بعد الاشاعات التي رُوجت مؤخراً عن اغتياله .

ومع ان وكالات الأنباء كانت تتناقل أخبار العراق يومياً ، إلا انه لم يكن هنالك أي أثر لتحركات الرئيس فيها . شاهد هذه اللقطة حوالي ٤٠ مليون شخصاً في مختلف انحاء العالم... ولم يثير الخبر اهتمام معظم المشاهدين ، إلا ان بعض المتخصصين والمتابعين لأخبار العراق... لاحظوا ان صور الرئيس العراقي تنقصها الجرأة والاعتداد بالنفس... الذي كان يبديهما صدام عند زياراته الى القواعد العسكرية ، وان هذا الشخص يسير بخطوات ثقيلة تكاد تكون مصطنعة وينقصها التبختر المعتاد ، أما التفاصيل الأخرى فقد كانت في موضعها ، ولم تكن تنقصه أي شيء . . . ومع ذلك فقد أحس بعض الخبراء ،

نتيجة لمراقبة الصورة، ان هذا الشخص . . . هو في الحقيقة ليس بصدام حسين . أما المختصين بدراسة شخصية الرئيس العراقي فقد لاحظوا شيئاً أساسياً أكد لهم ان الرجل الذي شاهدوه على شاشة التلفزيون ليس إلا أحد أشباه الرئيس، إذ كان ينقصه المسدس الذي لم يفارق صدام طوال حكمه!



الكاتب: ديڤيد ميسن

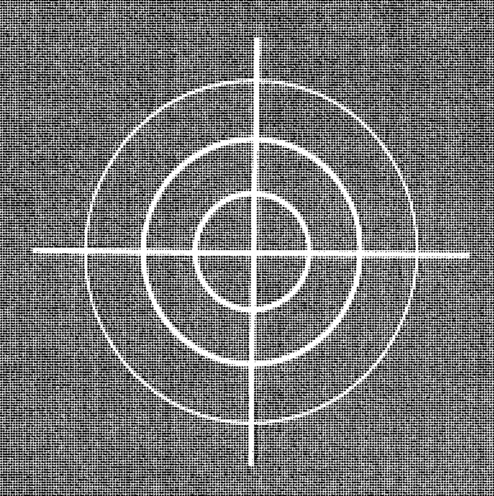
ولد عام ١٩٥١ في بريطانيا وتلقى تعليمه في مدرسة ايتون الخاصة ، دخل الكلية الحربية وتخرج منها العام ١٩٧٠ وألحق بفرقة الحرس الويلزي ، ومن ثم أعيرت خدماته الى الجيش العُماني ، فخدم فيه عامي ١٩٧٤-١٩٧٦ ، وفي عام ١٩٧٥ منح نوط الشجاعة لدوره في علميات حربية في عُمان .

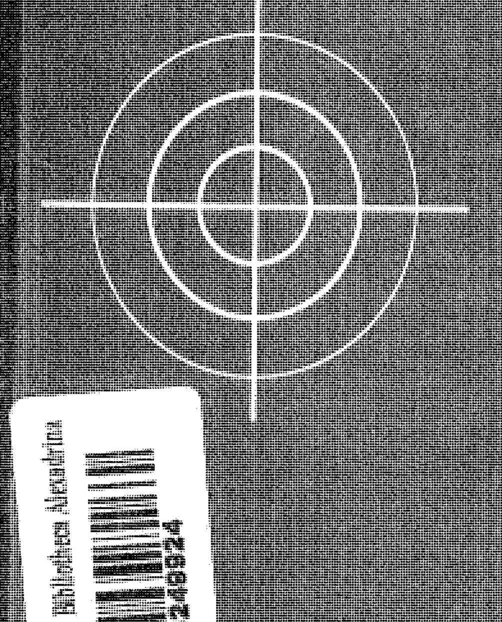
الكاتب قناص ماهر ويجيد الرماية بمختلف الاسلحة . وبعد ان ترك الجيش ، التحق ببعثة استكشاف حول العالم عن طريق قطبي الارض الشمالي والجنوبي . يجيد اللغات : العربية ، الالمانية ، والفرنسية ، زار مدن عدة في العالم . يقطن في مقاطعة أوكسفوردشاير ، ويملك أراضي زراعية شاسعة ، متزوج وله أربعة أطفال . قصة (ظل فوق بابل) هي عمله الروائي الاول .

في نيسان / ابريل ١٩٩٢
دخل تسعة أشخاص الى
المملكة العربية السعودية

بعد اسبوعين ونصف
عبر ستة منهم الحدود
العراقية متوجهين
نحو مدينة تكريت

كانت مهمتهم اغتيال
صدام حسين





هل كان النجاح حليفهم؟
كم بقي منهم على قيد الحياة؟
وما تفاصيل القصة الكاملة؟